



عمادة الدراسات العليا

جامعة القدس

دراسة في المنهج السياسي للرئيس الفلسطيني محمود عباس
" أبو مازن "

مؤيد محمود إبراهيم عبد الوهاب

رسالة ماجستير

القدس - فلسطين

1432هـ / 2011 م

دراسة في المنهج السياسي للرئيس الفلسطيني محمود عباس
" أبو مازن "

إعداد:

مؤيد محمود إبراهيم عبد الوهاب

بكالوريوس علوم سياسية ودراسات دبلوماسية من جامعة القدس -
فلسطين

أشرف: د. عبد المجيد سويلم

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الدراسات العربية
المعاصرة من معهد الدراسات الإقليمية / جامعة القدس

القدس - فلسطين

1432 هـ / 2011 م



جامعة القدس
عمادة الدراسات العليا
الدراسات العربية المعاصرة

إجازة الرسالة
دراسة في المنهج السياسي للرئيس الفلسطيني محمود عباس
" أبو مازن "

أسم الطالب: مؤيد محمود إبراهيم عبد الوهاب

الرقم الجامعي: 20520138

المشرف: د. عبد المجيد سويلم

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ: / / 2011 من أعضاء لجنة المناقشة
المدرجة أسمائهم وتواقيعهم:

- 1- رئيس لجنة المناقشة: د. عبد المجيد سويلم التوقيع :
- 2- ممتحناً داخلياً: د. أحمد أبو دية التوقيع :
- 3- ممتحناً خارجياً: د. عبد الرحمن الحاج إبراهيم التوقيع :

القدس - فلسطين

1432 هـ / 2011 م

الإهداء

إلى من ساهموا في تطور الفكر السياسي الفلسطيني وقضوا من أجل فلسطين :
الشهيد ياسر عرفات، الشهيد عصام السرطاوي، الشهيد سعيد حمامي، الشهيد عز
الدين القلق، الشهيد نعيم خضر.... وكالة الشهداء الذين سقطوا دفاعاً عن القضية
الوطنية.

إلى الشاعر محمود درويش الذي رحل عنا قبل أن يسطر بقلمه قصيدة
الانتصار....

إلى الذين ما زالوا يعيشون حلم الدولة والعودة....

إلى القابعين خلف قضبان من حديد على أمل الحرية، الأسير عبد العظيم عبد الحق
(أبو سيف).....

إلى قدوتي في الحياة العلمية د. عبد الرحمن الحاج إبراهيم د. احمد أبو دية.....

إلى المربي الفاضل الذي بمقام والدي حمدان قنديل، والى عمي المرحوم قنديل
قنديل وابن أخي المرحوم محمود حاتم اللذان رحلا عنا مبكراً.

إلى قدوتي في الحياة والدي الكرام والى زوجتي العزيزة وابنتي ريماس.

مؤيد محمود إبراهيم عبد الوهاب

إقرار:

أقر أنا معد هذه الرسالة بأنها قدمت لجامعة القدس، لنيل درجة الماجستير، وأنها نتيجة أبحاثي الخاصة، باستثناء ما تم الإشارة له حينما ورد، وأن هذه الدراسة، أو أي جزء منها، لم يقدم لنيل درجة عليا لأي جامعة أو معهد آخر.

التوقيع :

مؤيد محمود إبراهيم عبد الوهاب

التاريخ : / / 2011

شكر و عرفان

أتقدم بخالص الشكر والتقدير والامتنان لكل من ساهم بإخراج هذه الدراسة إلى حيز الوجود وأخص بالذكر د. عبد المجيد سويلم الذي أشرف على هذه الدراسة الذي تابع خطوات هذه الدراسة من خلال مساهمته وتوجيهاته وإرشاداته بإتمام هذا العمل وإشرافه المباشر عليه.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الدكتور عبد الرحمن الحاج إبراهيم والدكتور أحمد أبو دية على جهودهم وملاحظاتهم لإنجاز هذه الرسالة.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الإخوة العاملين في مكتب الرئاسة لتعاونهم وإخلاصهم وعلى رأسهم الأخ الطيب عبد الرحيم الذي سهل التوقيت وإجراء المقابلة مع سيادة الرئيس محمود عباس (أبو مازن) بالتعاون مع إدارة جامعة القدس - كلية الدراسات العليا والشكر للأخ العميد سامي مسلم لجهوده .

كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى د. محمد حماد الذي أشرف على تصحيح هذه الدراسة لغوياً وأتقدم بالشكر والتقدير إلى مكتبة جامعة القدس (أبو ديس) ومكتبة جامعة بيرزيت ومكتبة رام الله ومكتبة البيرة لتوفيرهم العدد الكبير من المصادر والمراجع والدوريات .

كما أتقدم بالامتنان إلى مكتب حنين للخدمات الجامعية التي ساهم في طباعة وتنسيق هذه الدراسة واخص بالذكر الأخت ريفا.

مؤيد محمود ابراهيم عبد الوهاب

ملخص الدراسة :

هدفت هذه الدراسة بشكل أساسي التي تمت في رام الله في الفترة ما بين 2010 / 2011م، إلى التعرف والتوضيح لطبيعة وتطور المنهج السياسي للرئيس الفلسطيني محمود عباس (أبو مازن) منذ نشأته عام 1964 وحتى التوجه إلى الأمم المتحدة في أيلول عام 2011م، القائم على الحل السلمي للقضية الفلسطينية استنادا إلى قرارات الشرعية الدولية رقم 194، 242، 338، وبالاعتماد على المفاوضات كإستراتيجية للحصول على حقوق الشعب الفلسطيني المتمثلة بإقامة دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة وعاصمتها القدس الشرقية على 22% من أراضي فلسطين التاريخية وعودة اللاجئين الفلسطينيين من دول الشتات إلى ديارهم والإفراج عن الأسرى الفلسطينيين المعتقلين في سجون إسرائيل، والرفض المطلق الاعتراف (بيهودية الدولة)، وسعت الدراسة إلى توضيح الآليات والخطوات التي اتبعتها الرجل للوصول إلى تحقيق ذلك المنهج، ومدى مساهمة ذلك في الوصول لحقوق الشعب الفلسطيني وذلك من خلال الإجابة على سؤال الدراسة الرئيسي وهو: (ما هو المنهج السياسي للرئيس الفلسطيني محمود عباس تجاه الصراع مع إسرائيل وأدواته).

وقد استند الباحث في اختياره هذا الموضوع إلى كثرة الاتهامات الموجهة إلى محمود عباس من قبل الاحتلال الإسرائيلي وأدواته، لمعرفةهم بأن الرجل متمسك بقوة بحقوق الشعب الفلسطيني، ونهجه السياسي المؤمن بالنضال السياسي والمعركة الدبلوماسية التي تعمل على إخراج إسرائيل وعزلتها في العالم ونزع شرعية الاحتلال الإسرائيلي، والتحدي بمفاهيمه المتعددة ، الذي يتوافق مع المرحلة التي يمر بها الشعب الفلسطيني والمنطقة برمتها، في ظل نظام عالمي تسيطر عليه الولايات المتحدة الأمريكية، الداعم لإسرائيل بكافة أشكال الدعم المتعددة، وانعكاس ذلك الدعم على مسيرة منظمة التحرير الفلسطينية وخياراتها وبدائلها في حال لم تلتزم إسرائيل بقرارات الشرعية الدولية والقانون الدولي.

وقد استند الباحث في دراسته على المنهج التاريخي، والمنهج الوصفي التحليلي، والذي اعتمد على مصادر أولية من تأليف شخصية محور البحث، بالإضافة إلى المقابلة مع هذه الشخصية، وقام الباحث بجمع المعلومات ودراسة الفرضيات واختبارها عبر الرجوع إلى الأدبيات الأساسية وتحليل المعطيات، ومن ثم تم معالجتها بالنقد والتحليل.

وتتبع أهمية الدراسة الحالية في كونها تبحث موضوعا مهما وحيويا بالنسبة للمجتمع الفلسطيني، خصوصا أن المرحلة الحالية تشهد وقائع على الأرض تتعارض مع مفهوم السلام وحل الدولتين، محفوفة بمحاولات إسرائيلية لا تنقطع، تتجسد بالاستمرار بتكثيف الاستيطان في الأراضي المحتلة عام 1967، وفرض الأمر الواقع على الجانب الفلسطيني لفرض تنازلات فلسطينية، وإحراج القيادة الفلسطينية أمام شعبها باستحالة قيام الدولة الفلسطينية من وجهة النظر الإسرائيلية.

استنتجت الدراسة بأن الرئيس محمود عباس قد مثل منهاجا سياسيا متكاملا يتوافق مع النهج المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية، وان المرونة والاعتدال لهذا الرجل ليس إلا نوع من الإبداع السياسي في ظل الظروف المتغيرة، وليست تنازلات مقابل المساعدات المادية التي تقدم إلى السلطة الفلسطينية من المجتمع الدولي وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، ومن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث أن محمود عباس متمسك بقوة بحقوق الشعب الفلسطيني ويسعى للوصول إليها بالطرق السياسية والدبلوماسية، أضف إلى ذلك بان الرجل قد أعاد الاعتبار للقضية الفلسطينية ووضعها من جديد على خارطة السياسة للعالم بواقعية سياسية اقتضتها الظروف الوطنية والإقليمية والدولية الجديدة.

Study of political ideology of the Palestinian president Mahmoud Abbas

(Abu Mazin)

Thesis Supervisor:

Dr. Abdel Majeed Suelim

Abstract:

This study was performed in Ramallah in the period 2010-2011. The main purpose of this study is to recognize and clarify the nature and the development of the political ideology of the Palestinian president Mahmoud Abbas (Abu Mazin) from 1964 until his going to the United Nations in September/2011. His political ideology is based on the peaceful solution of the Palestinian cause according to the resolutions of the international legitimacy numbers are 194, 338, and 242; besides depending on the negotiations as a strategy for obtaining the rights of the Palestinian people. It can be summarized in the creation of independent Palestinian state with complete sovereignty and its capital is Jerusalem over 22% of the lands of historical Palestine, the return of the Palestinian refugees from Diaspora to their homes, the release of the Palestinian prisoners in the Israeli jails, and the absolute rejection of recognizing “the Jewish State”.

The study aims to describe and clarify the mechanisms and steps that President Abu Mazin has followed in order to achieve this ideology, and the extent of the contribution of this ideology in achieving the rights of the Palestinian people through answering the main question of the study which is: (What is the political ideology and its tools of Mahmoud Abbas towards the conflict with Israel?).

The researcher has selected this topic as a result of the huge importance and concerns that the Israeli occupation is putting against Mahmoud Abbas and his ideology, because the Israeli occupation knew and recognized that this

man is strongly adhering to the rights of the Palestinian people, and his political ideology that believes in the political struggle and diplomatic battle that aims towards embarrassing and isolating Israel in the world, and delegitimizing the Israeli occupation, in a manner that is compatible with the phase that the Palestinian people and the whole region are experiencing, considering the international regime that is fully controlled by the United States of America which supports Israel in all levels and forms, and the reflection of this support on different options and alternatives of Palestinian Liberation Organization in the case that Israel did not comply with the resolutions of the international legitimacy and international law.

The researcher depended in his study on the historical approach, and descriptive and analytical approach that is based on primary sources from authorship of Mahmoud Abbas himself, besides interview with him. The researcher has collected information and has studied and tested multiple hypotheses by referring to the basic literature and data analysis, then processing it via criticism and analysis.

The importance of this study is resulted from that fact that it is researching an important and vital subject towards the Palestinian society, particularly in the current phase that faces facts on the ground that contradict the peace concept and the two-state solution, endangered with continuous and persistent Israeli attempts to destroy the peace process, by continuing in intensifying settlements in the occupied Palestinian territories of 1967, the imposition of de facto on the Palestinian side in order to impose Palestinian concessions and compromises, and embarrassing the Palestinian leadership in front of its people because of the impossibility of creation of viable independent state from the Israeli point of view.

The study concluded that Mahmoud Abbas has represented and integrated political ideology that is consistent and compatible with the basic ideology of Palestinian Liberation Organization, and that the flexible, pragmatic, and

moderate mode of this man is a kind of political creativity in the light of the changing circumstances, and are not compromises or concessions in return of the financial aids that are provided to the Palestinian Authority from the international community especially United States of America. One of the most important results and findings that the researcher has reached that Mahmoud Abbas is strongly adhering to the rights of the Palestinian people and tries to achieve them via the political and diplomatic means, in addition to that this man has brought back the consideration and the attention to the Palestinian cause, and has put it back on the international political map via political realism that is caused by the current national, regional, and international circumstances.

قائمة الاختصارات

ح.ق.ع	حركة القوميين العرب
م.ت.ف	منظمة التحرير الفلسطينية
ج.ش.ت.ف	الجهة الشعبية لتحرير فلسطين
ج.ش.د.ت.ف	الجهة الديمقراطية لتحرير فلسطين
ج.ت.ع	جهة التحرير العربية
ج.ت.ف	جهة التحرير الفلسطينية
ج.ن.ش	جهة النضال الشعبي الفلسطيني

بطاقة تعريف بشخص محمود عباس موضوع الدراسة أدناه:

الاسم: محمود رضا عباس (أبو مازن).

مكان وتاريخ الميلاد: فلسطين - صدف - 1935م.

الحالة الاجتماعية: متزوج وله ثلاثة أبناء هم (مازن - ياسر - طارق)

الدراسة:

- أنهى دراسته الابتدائية في صدف ثم هاجر مع عائلته إلى سوريا إثر نكبة عام 1948 حيث أكمل دراسته هناك.
- يحمل إجازة الحقوق من جامعة دمشق.
- تحصل على الدكتوراه في التاريخ من معهد الاستشراق في موسكو، وكانت رسالة الدكتوراه بعنوان: (الوجه الآخر / العلاقات السرية بين النازية والصهيونية).

المؤلفات:

- له أكثر من 18 مؤلفاً منشوراً في تاريخ الصراع العربي - الإسرائيلي إضافة إلى العديد من المقالات. ويعمل على إعداد يوميات القضية الفلسطينية، وقد أنجز منها ما يزيد على 300 مجلد، لم ينشر شيء منها بعد.

النشاط السياسي:

- بدأ نشاطه السياسي في منتصف الخمسينيات بتأسيس جمعية فلسطينية تدعى (أبناء فلسطين في الجامعة) في سوريا عام 1954.
- حصل على عقد عمل في قطر عام 1957، وعمل مديراً لشؤون الموظفين في الإدارة الحكومية.

- شارك في نهاية الخمسينيات في تأسيس حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)، وكان من القلائل الذين اتخذوا قرار انطلاق الثورة الفلسطينية والكفاح المسلح عام 1965.
- بعد حرب حزيران عام 1967 عمل على تأسيس اللجنة العلمية لتصنيع وصيانة الأسلحة.
- في عام 1969 أسند إلى محمود عباس مهمة قيادة التعبئة والتنظيم، فاستقال من وظيفته في قطر وتفرغ للعمل السياسي.
- عضو في المجلس الوطني الفلسطيني منذ دخول حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) منظمة التحرير الفلسطينية.
- تسلم أبو مازن بتكليف من اللجنة المركزية والقيادة الفلسطينية المالية العامة لمنظمة التحرير الفلسطينية بعد حرب أكتوبر عام 1973 حتى عام 1979، واتسم عمله فيها بالشفافية العالية.
- في عام 1977 رفع محمود عباس شعار عودة اليهود العرب إلى بلادهم العربية ولقي هذا الشعار قبولا عربياً من الناحية الرسمية والقانونية والنظرية والعملية.
- أول من طرح فكرة الاتصال مع القوى اليهودية المحبة للسلام داخل إسرائيل وخارجها ضمن حركة فتح.
- في عام 1978 أسس مشروع التوأمة بين المدن الفلسطينية والمدن العربية حيث حقق نجاحاً ساحقاً نظرياً وعملياً.
- عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية/رئيس دائرة العلاقات القومية والدولية منذ العام 1980، وتولى العديد من المسؤوليات الأخرى مثل:
 - رئيس الجانب الفلسطيني في اللجنة الفلسطينية - الأردنية المشتركة.
 - رئيس الجانب الفلسطيني في اللجنة الفلسطينية - السوفيتية (فيما بعد الروسية) المشتركة.

• رئيس اتحاد جمعيات الصداقة الفلسطينية.

- بعد إطلاق المجلس الوطني الفلسطيني لمبادرة السلام الفلسطينية عام 1988، أشرفت دائرته على كافة الندوات واللقاءات التي تمت مع القوى الإسرائيلية واليهودية في أمريكا وأوروبا وغيرها.
- منذ انطلاق المفاوضات العربية الإسرائيلية عام 1991، تولى رئاسة لجنة متابعة المفاوضات بشقيها الثنائي والمتعدد.
- في 1993/9/13 وقعت اتفاقية السلام الفلسطينية- الإسرائيلية في البيت الأبيض، وكان لأبو مازن الدور الكبير فيها (موقع الاتفاق).
- عام 2003 تم تعيين محمود عباس كأول رئيس وزراء في فلسطين.
- أمين سر اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية منذ العام 1996 وحتى انتخابه رئيساً لمنظمة التحرير الفلسطينية في العام 2004.
- بعد وفاء ياسر عرفات، وفي عام 2005 تم انتخاب محمود عباس رئيساً للسلطة الوطنية الفلسطينية، ورئيساً لمنظمة التحرير الفلسطينية، ورئيساً لحركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح).

1. الفصل الأول

1.1 خلفية الدراسة

المقدمة

كان الكفاح الفلسطيني جزءاً من المقاومة العربية القومية، أولاً ضد الحكم التركي في أواخر القرن التاسع عشر، وثانياً ضد الاستعمار البريطاني والفرنسي في المنطقة في أعقاب الحرب العالمية الأولى. إن الإرث الذي خلفه الحكم العثماني الطويل، وعواقب الاستعمار الأوروبي للمنطقة من بلقنة سياسية، وتبعية اقتصادية وتخلف، وتعطيل في تطور المؤسسات، ثم الاستيطان الاستعماري اليهودي الصهيوني في فلسطين، كل هذا أطلق حركة الاحتجاج العربي وأقام عناصر السياسة القومية العربية ومن ثم الإسلامية. وهكذا كانت الحرب العالمية الثانية وما رافقها من سقوط الإمبراطورية العثمانية تعتبر بالنسبة إلى الشرق الأوسط بمثابة الحد الفاصل الذي وجه مصير المشرق العربي، وبضمنه فلسطين، في القرن العشرين.

لقد دخلت بريطانيا منذ عام 1915 في ثلاث اتفاقيات رئيسية ومتناقضة مع ثلاثة أطراف مختلفة: الحكومة الفرنسية، وزعيم الثورة العربية الشريف حسين، ورئيس الحركة الصهيونية في بريطانيا اللورد روتشيلد، وذلك خلال سنتين اثنتين. وتلك الاتفاقيات هي اتفاقية سايكس بيكو السرية 16 أيار 1916، واتفاقيات مكماهون - الحسين 24 أكتوبر 1915، ووعد بلفور 2 تشرين الثاني 1917، إن هذه الاتفاقيات مجتمعة حولت المشرق العربي وفلسطين من حال إلى حال.⁽¹⁾

¹ سميح، فرسون، فلسطين والفلسطينيون، ترجمة عطا عبد الوهاب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2003، ص 115.

مرّ الصراع الفلسطيني _ الإسرائيلي بعدة مراحل. بدأت بظهور الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في أواخر القرن التاسع عشر ثم اشتد ذلك الاستعمار بعد الحرب العالمية الأولى خلال الانتداب البريطاني على فلسطين (1921 - 1948) وتمثلت المقاومة الفلسطينية للاستيطان اليهودي الأوروبي وللهجرة والانتداب بالثورة الفلسطينية (1936 - 1939) ضد السلطات البريطانية، ثم تمثلت بحرب (1947 - 1948) في الداخل الفلسطيني واليهود الإسرائيليين وانتهت هذه المرحلة بتدمير فلسطين وتفكيكها وتشريد شعبها في آفاق الأرض.

وكانت المرحلة التالية من هذا الصراع هي مرحلة (تعريبه) إلى صراع بين الدول العربية وإسرائيل وبلغت ذروتها بحرب عام 1967 التي أسفرت عن هزيمة سريعة لجيوش الدول العربية القومية التي وعدت بتحرير فلسطين. لقد أخفق "تعريب" الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي في تحرير فلسطين أو في حل القضية الفلسطينية، إلا أن ذلك التعريب أدى إلى ظهور منظمة يسيطر عليها الفلسطينيون وهي منظمة التحرير الفلسطينية ولم تكتف المنظمة بوعدهم بتحرير فلسطين بل وعدتهم كذلك بثورة اجتماعية من خلال كفاح شعبي مسلح. لكن منظمة التحرير الفلسطينية سرعان ما تلقت ضربة قوية في الأردن في 1970-1971.

وفي حرب تشرين الأول/ أكتوبر عام 1973 ضد إسرائيل اعتمدت مصر وسوريا على وسائل عسكرية تقليدية في محاولة لتصحيح عدم التوازن الاستراتيجي القائم بين إسرائيل والدول العربية القومية. لم تنجح تلك الحملة إلا نجاحاً جزئياً. بعد ذلك أظهرت الدول العربية استعداداً للتفاوض من أجل التوصل إلى حل سياسي⁽²⁾. بعد حرب أكتوبر عام 1973 تمخضت نتائج مهمة وتاريخية بالنسبة للقضية الفلسطينية، فقد شهر تشرين أول أكتوبر عام 1974 إقرار مؤتمر القمة العربية السابع الذي عقد في الرباط، الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً شرعياً ووحيداً للشعب الفلسطيني.

تبنت منظمة التحرير الفلسطينية، في الفترة التي تلت الحرب العربية - الإسرائيلية عام 1973 "سياسة المراحل"، حيث أبدت المنظمة استعدادها للقبول بمبدأ التسوية السياسية مع إسرائيل القائمة على الحل مرحلي، متخليّة بذلك عن إستراتيجية التحرير الشامل لفلسطين من خلال الكفاح المسلح. في الدورة الثانية عشر للمجلس الوطني الفلسطيني في القاهرة، في حزيران 1974، تقدمت القيادة الفلسطينية لمنظمة التحرير ببرنامج سياسي جديد أصبح يعرف بـ "برنامج النقاط العشرة"،

2 سميح، فرسون، فلسطين والفلسطينيون، مرجع سابق، ص 523 - 524.

دعا من ضمن أمور أخرى، إلى إقامة سلطة الشعب الوطنية المستقلة المقاتلة على كل جزء من الأراضي الفلسطينية التي يتم تحريرها، وفي إشارة إلى قبول منظمة التحرير الفلسطينية مبدأ الحل السياسي، نصت النقطة الثانية في البرنامج المرحلي على تمسك المنظمة بحقها في أن تناضل بكافة الوسائل، وعلى رأسها الكفاح المسلح، لتحرير الأراضي الفلسطينية.

أما على الصعيد الدولي، فقد وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة في الدورة 29 عام 1974، بأغلبية كبيرة، على إدراج القضية الفلسطينية كبنء مستقل في جدول أعمالها بعد انقطاع دام أكثر من 20 عام، والاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني والطرف الأساسي المعني بقضية فلسطين. وفي ذات العام منحت الجمعية العامة للأمم المتحدة، في قرارها 3237، منظمة التحرير الفلسطينية صفة مراقب في الهيئة الدولية⁽³⁾. ولكن إسرائيل والدول المؤازرة لها ظلت على تعنتها السابق. وهذه الأخيرة، وبينها بالطبع الولايات المتحدة، رفضت اعتبار منظمة التحرير ممثلة للشعب الفلسطيني وما برحت تُصورها كمنظمة إرهابية مكرسة لتدمير إسرائيل.

برز خط يتزعمه محمود عباس وعصام السرطاوي وسعيد حمامي مندوب فلسطين في إنجلترا وعز الدين القلق مندوب فلسطين في فرنسا ونعيم خضر مندوب فلسطين في بلجيكا، يدعو إلى العمل على الاتصال بالقوى الإسرائيلية لإجراء حوار معها للوصول إلى السلام. وتم توجيه هجوم عنيف لهذا الخط من مختلف الأوساط الفلسطينية والعربية الرسمية والشعبية آنذاك. وفي دورة المجلس الوطني الثالثة عشر في آذار عام 1977 وبعد ثمان وأربعين ساعة اتخذ المجلس قرارا إيجابيا يشير إلى أهمية العلاقة والتنسيق مع القوى اليهودية الديمقراطية، والتقدمية المناضلة داخل الوطن المحتل وخارجه ضد الصهيونية كعقيدة وممارسة وتؤكد نفس القرار في الدورة الخامسة عشرة عام 1981 والسادسة عشرة عام 1982 والدورة التاسعة عشرة عام 1988 ومؤتمر حركة فتح الخامس عام 1989. وهكذا أصبحت الاتصالات ذات طابع شرعي محمي بالقرار الصادر عن المجلس الوطني الفلسطيني⁽⁴⁾.

شهدت السنوات اللاحقة تطورات إقليمية ودولية أثرت بشكل كبير، في مواقف المنظمة الفلسطينية من المبادئ التي تحكم تحقيق التسوية السياسية في المنطقة، وكان من أهمها زيارة الرئيس

3 محمد، اشتية، تحرير، موسوعة المصطلحات الفلسطينية، فلسطين 2009، ط2، المركز الفلسطيني للدراسات الإقليمية، ص 219.

4 محمود، عباس، أبو مازن، طرق أوسلو، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، لبنان، 1994، ص 27-28.

المصري أنور السادات إلى إسرائيل في أواخر عام 1977، والى إجراء محادثات سلام منفصلة بين مصر وإسرائيل في إطار مؤتمر كامب ديفيد أسفرت عن التوقيع على معاهدة بين البلدين في مطلع عام 1979.

في العام الأول للانتفاضة الفلسطينية 1987، تقدمت منظمة التحرير بمبادرة سلام جديدة تستند إلى قرارات المجلس الوطني الفلسطيني في دورته التاسعة عشر في الجزائر، في عام 1988 تضمنت المبادرة الفلسطينية قيام دولة فلسطينية إلى جانب دولة إسرائيل على أساس القرار الدولي 242، أي على حدود 1967، وشكلت هذه المبادرة تطوراً في الفكر السياسي الفلسطيني ونقطة تحول كبيرة في موقف منظمة التحرير الفلسطينية عن إستراتيجية الحل المرحلي السابقة من زاويتين، الأولى: إن قيام الدولة الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة هو حل نهائي، وليس مرحلة أولى نحو التحرير الشامل، والثانية: هي في التمسك بالنضال السياسي دون الكفاح المسلح كوسيلة لتحقيق الأهداف الإستراتيجية للشعب الفلسطيني⁽⁵⁾.

عام 1991 شهد مرحلة مفصلية في الفكر السياسي الفلسطيني تمثلت في قبول منظمة التحرير الفلسطينية المشاركة في مؤتمر مدريد بوفد فلسطيني من غزة والضفة الغربية بدون القدس وفلسطيني الخارج وتحت مظلة الوفد الأردني، حيث تمخض عن مؤتمر مدريد مفاوضات ثنائية بين الأطراف المشاركة كما أسفرت المفاوضات السرية بين منظمة التحرير الفلسطينية برعاية نرويجية عن اتفاق حول صيغة إعلان المبادئ بين الطرفين سبق توقيع اتفاق واشنطن عام 1993، وتم تبادل الاعتراف بين رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات ورئيس الحكومة الإسرائيلية اسحق رابين تضمن تخلي منظمة التحرير الفلسطينية عن الكفاح المسلح والتزامها بطرق الحل السلمي للصراع وتعهدا بإلغاء بنود الميثاق الوطني الفلسطيني التي تنكر حق إسرائيل في الوجود مقابل اعتراف إسرائيل بالمنظمة كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني. وهذا يعني أن المنظمة بتعهدا هذا ستلغي كافة أشكال العداء لإسرائيل في الخطاب الفلسطيني.

⁵ محمد، اشتية، موسوعة المصطلحات الفلسطينية، مصدر سابق، ص341-342.

2.1 موضوع الدراسة:

تتناول الدراسة المنهج السياسي للرئيس الفلسطيني محمود عباس في مراحل النضال الفلسطيني منذ انطلاقة الثورة الفلسطينية وإعلان الكفاح المسلح ضد الاحتلال الإسرائيلي لتخليص الأراضي الفلسطينية من ذلك الاحتلال، وخصوصاً بعد وضوح الرؤيا لدى محمود عباس ورفاقه بالسلاح بعدم جدوى الاعتماد على الأمة العربية فقط لتحرير فلسطين دون دخولها في المعادلة السياسية والعسكرية وبشكل مباشر، وكيف تعامل الرئيس (أبو مازن) مع كل مرحلة يتحقق فيها شيء من الانتصار العسكري أو السياسي أو يحدث فيها إخفاقات ونكسات، مروراً بحرب عام 1967 التي خسر فيها الفلسطينيون والعرب ما تبقى من أرض فلسطين، وأصبحت فلسطين "موحدة بالكامل" ولكن تحت الاحتلال الإسرائيلي، وصولاً إلى حرب أكتوبر عام 1973 التي لم تحقق النتائج المطلوبة فيها، حيث كان للرئيس وجهة نظر ورؤية حول كافة الأحداث، وكذلك اتفاقات كامب ديفيد عام 1979 وزيارة أنور السادات للقدس وإلقائه خطاب أمام الكنيست الإسرائيلي حيث كان للفلسطينيين والعرب وأبي مازن من ضمنهم رؤيا في هذا الموضوع وصولاً إلى اتفاقات مدريد وأوسلو وما بعدها.

3.1 مبررات الدراسة:

إن هذه الدراسة حسب علم الباحث هي الدراسة الأولى التي تتناول دراسة المنهج السياسي للرئيس الفلسطيني محمود عباس (أبو مازن) في مراحل مختلفة من حياته النضالية، ونظراً لأهمية دور الرئيس ولأهمية أفكاره السياسية ولأثرها البالغ على القضية الفلسطينية وعلى جوانب متعددة من حياة المواطن الفلسطيني وخصوصاً في هذه المرحلة، مرحلة التحول من الكفاح المسلح إلى مرحلة النضال السياسي للحصول على الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، والتخلص من الاحتلال الإسرائيلي والعيش بحرية واستقلال، فإن هذه الدراسة تعالج العديد من الجوانب السياسية للمنهج الذي اتبعه الرئيس محمود عباس، وتأثيرات تلك الأفكار على جوانب الحياة كافة، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن المواطن الفلسطيني والعربي أحوج ما يكون إلى دراسات تسلط الضوء على الرؤية والمنهج السياسي لأصحاب القرار الفلسطيني في مراحل حياتهم المختلفة وذلك للوقوف على ما يجري على الساحة الفلسطينية والعربية والدولية فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية، وكذلك للإطلاع

على حجم الضغوط والتأثيرات بشكل عام على أصحاب القرار والتي تعتبر شخصية الرئيس الفلسطيني (أبو مازن) من أهمها.

- الرغبة والاهتمام الشخصي لدى الباحث بهذا الموضوع وخاصة أن الباحث مهتم جداً بأفكار ورؤية ومنهجية حل الصراع العربي - الإسرائيلي بالوسائل السلمية والتفاوض بعيداً عن الحل العسكري.

4.1 أهمية الدراسة:

تأتي أهمية هذه الدراسة من الأسباب التالية:

1. يتناول الدارس موضوعاً هاماً وحيوياً بالنسبة للمجتمع الفلسطيني خصوصاً أن المرحلة الحالية تشهد مفاوضات سلام محفوفة بمحاولات إسرائيلية لا تنقطع، تهدف إلى إبقاء النشاط الاستيطاني على حاله وكذلك محاولة انتزاع تنازلات فلسطينية جديدة فيما يخص الثوابت الفلسطينية المعروفة لدى المجتمع الفلسطيني برمته.
2. ستنشكّل الدراسة رافداً هاماً من روافد المعرفة حول المنهج السياسي للرئيس الفلسطيني محمود عباس (أبو مازن)، خصوصاً وأن نسبة كبيرة من أبناء الشعب الفلسطيني ليس لديهم المام كافياً بالمنهج السياسي للرئيس الفلسطيني (أبو مازن) حتى أن بعض المواطنين لديهم أفكار سلبية حول موضوع النهج السياسي للرئيس ودوره، كما أن الكثيرين لديه أفكاراً مسبقة عن أن الرئيس الفلسطيني محمود عباس معتدلاً أكثر من اللازم.

5.1 هدف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة لتحقيق هدف رئيسي وهو التعرف على المنهج السياسي الذي يتبعه الرئيس الفلسطيني محمود عباس وما هي الآليات والخطوات التي اتبعتها للوصول إلى تحقيقها ومدى مساهمة ذلك المنهج في الوصول لحقوق الشعب الفلسطيني، كما وتسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- 1- أن يوضح طبيعة المنهج السياسي للرئيس محمود عباس منذ نشأته.
- 2- معرفة مدى القبول والرفض من قبل منظمة التحرير الفلسطينية لهذا المنهج منذ طرحه.
- 3- التعرف إلى العقبات التي واجهت الرئيس محمود عباس في التطبيق والممارسة.

6.1 مشكلة الدراسة:

كثيرة هي الاتهامات الموجهة للرئيس الفلسطيني محمود عباس (أبو مازن) وغالبا ما يكون وراء تلك الاتهامات أطراف محلية وإقليمية ودولية، وذلك لمعرفتهم بأن محمود عباس ثابت على حقوق الشعب الفلسطيني ونهجه السياسي المؤمن بالنضال السلمي والتحدي بمفاهيمه المتعددة والتي من ضمنها النضال السياسي الذي يتوافق مع المرحلة التي يمر بها الشعب الفلسطيني والمنطقة برمتها وخصوصاً بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وبروز الولايات المتحدة الأمريكية كقطب واحد مسيطر في هذا العالم وداعم لإسرائيل بكافة أشكال الدعم وانعكاس ذلك الدعم على مسيرة الثورة الفلسطينية وخياراتها، ومن ثم تطرح الدراسة سؤالاً أساسياً هو: " ما هو المنهج السياسي للرئيس محمود عباس تجاه الصراع مع إسرائيل؟".

7.1 أسئلة الدراسة:

ستحاول الدراسة الإجابة على الأسئلة التالية:

- هل نهج الرئيس محمود عباس (أبو مازن) منذ تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية الذي كان أحد مؤسسيها نهجاً سلمياً، وهل كان هذا النهج مناسباً للدور المنوط بالمنظمة؟
- هل لقي منهج الرئيس (أبو مازن) معارضة من مؤسسي المنظمة أم أيد من بعض مؤسسيها؟
- كيف كان منهج الرئيس (أبو مازن) السلمي وما مضمون هذا النهج؟
- كيف تجسدت أفكار الرئيس محمود عباس في سياق الممارسة السياسية؟
- بعد أن تمت الموافقة على منهج التفاوض مع الإسرائيليين من قبل منظمة التحرير الفلسطينية، هل بقي موقف الرئيس (أبو مازن) على الثوابت الرئيسية لمنظمة التحرير أم أنه حصلت تنازلات متوالية تحت ضغوط دولية وعربية وخاصة ما يتعلق باللاجئين والقدس والحدود، وما موقفه من ذلك؟
- ما هي البدائل أمام الرئيس الفلسطيني (أبو مازن) في حال استمرت إسرائيل في رفض وقف الاستيطان والقبول بالشرعية الدولية؟

8.1 فرضيات الدراسة:

- الرئيس محمود عباس مثل منهجا متكاملًا مع النهج المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية.
- الرئيس محمود عباس استمر في التمسك بالثوابت الفلسطينية حسب قرارات الهيئات الشرعية الفلسطينية.
- مرونة الرئيس محمود عباس واعتداله، ليس إلا نوع من الإبداع السياسي في الظروف الجديدة، وليست تنازلات مقابل المساعدات التي تقدم للسلطة الفلسطينية.
- الرئيس محمود عباس أعاد الاعتبار للقضية الفلسطينية ووضعها على خارطة السياسة للعالم بواقعية سياسية اقتضتها الظروف الوطنية والإقليمية والدولية الجديدة.

9.1 منهجية الدراسة:

سيتبع الباحث في دراسته هذه المنهج التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي. فالمنهج التاريخي ضروري ومهم في هذه الدراسة لان المواقف والأفكار السياسية مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالإحداث التاريخية ابتداء من فترة صدور وعد بلفور لليهود بوطن قومي في فلسطين مرورا بتقسيم الوطن العربي برمته ما بين دول الغرب الأوروبي وصولًا إلى يومنا هذا. أما المنهج الوصفي التحليلي فله أهمية كبيرة لأنه ذو صلة بتحليل المواقف المحلية والإقليمية والدولية وربط تلك المواقف السياسية بالأحداث لان المواقف السياسية والأفكار لا تتكون عبثًا وإنما هي وليدة أحداث كبيرة.

10.1 إجراءات الدراسة:

تتطلب هذه الدراسة توفير أدوات البحث من جمع للمعلومات والبيانات من خلال الرجوع إلى المصادر والمراجع المتوفرة في المكتبات المحلية، وسيتناول الدارس بالتحليل والبحث مجموعة من الأدبيات والكتب والمقالات النقدية ذات الطبيعة الجادة الصادرة حول المنهج السياسي للرئيس الفلسطيني محمود عباس (أبو مازن) بالإضافة إلى تحليل تلك المعطيات التي تم الحصول عليها للوصول إلى نتائج جديدة، وهذا لا يغني عن المصادر الأخرى للوصول إلى المعلومة من خلال مواقع الانترنت والوثائق المنشورة بالإضافة لإجراء مقابلة مع الرئيس محمود عباس.

11.1 حدود الدراسة:

أجريت هذه الدراسة استناداً إلى الحدود الآتية:

الحدود الزمانية: تغطي هذه الدراسة الفترة الزمنية الممتدة من عام 1964 وهو تاريخ قيام منظمة التحرير الفلسطينية وحتى عام 2011 وهو تاريخ توجه الرئيس الفلسطيني محمود عباس للأمم المتحدة لنيل عضويتها.

الحدود المكانية: تغطي الدراسة من حيث الحدود المكانية الحيز الذي برزت فيه القضية الفلسطينية بما في ذلك الأراضي الفلسطينية والشتات.

12.1 المعوقات التي واجهت الدراسة:

تتلخص معوقات الدراسة في الأمور التالية:-

1. صعوبة تغطية كافة جوانب الموضوع لعدم توفر المصادر الحيادية التي تنقل الصورة كما يجب أن تكون دون انحياز من قبل المؤيدين أو كيل اتهامات من قبل المعارضين.
2. الانقسام الداخلي الناتج عن انقلاب غزة الذي يخلق حالة من التشويش والضبابية الإعلامية التي من شأنها أن تضع المواطن الفلسطيني العادي في حيرة من أمره فهو لا يعرف من يصدق ومع من يقف وكيف تسير الأمور، إضافة إلى أن الانقسام ولد حالة من الضعف الفلسطيني وعدم المبالاة لدى البعض غير مسبوقه وهذا يشكل صعوبة أمام الدراسة.
3. إن التناقض الكبير ما بين البرنامج السياسي للرئيس الفلسطيني محمود عباس (أبو مازن)، والبرنامج السياسي للحكومة الفلسطينية المقالة من جهة أخرى يزيد من تشويش المشهد السياسي الفلسطيني ويضيف صعوبة أخرى إلى الدراسة.
4. صعوبة إجراء اللقاء مع الرئيس محمود عباس بسبب ضغط العمل والمواعيد الملتهزم بها.
5. التكلفة المادية العالية لإنجاز الدراسة.

13.1: الدراسات السابقة:

أولاً: دراسة للرئيس الفلسطيني محمود عباس (أبو مازن) تحت عنوان (طريق أوسلو)⁽⁶⁾ عام 1994 حول مذكراته عن العملية السلمية والصعوبات التي كانت ولا زالت تواجه المفاوضات الفلسطينية حيث أبرزت الدراسة المؤثرات الدولية والإقليمية والضغط الشديدة التي كان يتعرض لها المفاوضات الفلسطينية.

ثانياً: وفي دراسة للأستاذ جميل هلال بعنوان "النظام السياسي الفلسطيني بعد أوسلو"⁽⁷⁾ تناول فيها التحولات في المجتمع الفلسطيني بعد اتفاق أوسلو، حيث أبرزت الدراسة اتفاقات أوسلو وتبعاتها السياسية والقانونية وتأثير تلك التبعات في محيط الصراع الفلسطيني الإسرائيلي بما في ذلك الدول العربية، إضافة إلى أن الاتفاقات أفرزت إنشاء سلطة فلسطينية لأول مرة على أرض فلسطين والتي غيرت فكرها السياسي المتبني للكفاح المسلح إلى سلطة تتبني الحل السياسي بدلاً من الكفاح المسلح.

ثالثاً: دراسة بعنوان "البحث عن كيان": دراسة في الفكر السياسي الفلسطيني عام 1908 - 1993⁽⁸⁾، للباحث ماهر الشريف، تناول فيها بدايات تبلور الفكر السياسي الفلسطيني أبان التصدي للمشروع الصهيوني في فلسطين. وعالجت الدراسة كذلك كيف واجه الفكر السياسي الفلسطيني فقدان الكيان السياسي عام 1948. وتناولت الدراسة بداية المحاولة للبحث عن كيان سياسي للشعب الفلسطيني فركز على بداية نشأة منظمة التحرير الفلسطينية عام 1964. ركز الباحث جل اهتمامه في محاولة الوصول إلى دراسة مشاريع سياسية فلسطينية للكيان الفلسطيني، من تبني مشروع بناء السلطة الفلسطينية عام 1974، إلى إعلان الاستقلال عام 1988، وإعلان اتفاق المبادئ بين منظمة التحرير الفلسطينية والكيان الإسرائيلي عام 1993. كما تناولت الدراسة تأثير الانتفاضة الأولى على سياسات وتوجهات تلك القيادة السياسية.

⁶ محمود، عباس، طريق أوسلو، موقع الاتفاق يروي الأسرار الحقيقية للمفاوضات، بيروت، 1994.

⁷ جميل، هلال، النظام السياسي الفلسطيني بعد أوسلو، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية "مواطن"، رام الله، 2006.

⁸ ماهر، الشريف، البحث عن كيان: دراسة في الفكر السياسي الفلسطيني 1908-1993، مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية، نيقوسيا، 1995.

رابعاً: دراسة بعنوان "تطور الفكر السياسي الفلسطيني عام 1974 - 1988" ⁽⁹⁾ للدكتور سميح شبيب، وهي دراسة مختصرة عالجت بشكل عابر تحليل الاتجاهات الفلسطينية وتطور الفكر السياسي بعد حرب تشرين الأول/أكتوبر عام 1973 حيث انقسمت منظمة التحرير الفلسطينية على نفسها إلى اتجاهين: الأول رأى أن على المنظمة أن تبدي استعدادها لتحمل مسؤوليتها عن مصير الأرض الفلسطينية المحتلة كمبدأ إقامة سلطة وطنية فلسطينية وان تكون مستعدة تالياً كي تكون طرفاً مباشراً في جهود التسوية السياسية، والثاني: رفض هذا الخيار معتبراً أن قيام مثل هذا السلطة ومشاركة المنظمة في المفاوضات سيكون بمثابة تخلي الفلسطينيين عن حقوقهم التاريخية في وطنهم وقبولهم شرعية الكيان الإسرائيلي والاعتراف به، خلص الباحث إلى أن التطورات أثبتت أن ميزان القوى كان يميل إلى مصلحة الجهة التي راهنت على قبول الحل "الوسطية" وبالفعل تم الاعتراف بالقرارين 242، 338 وتم إعلان الدولة الفلسطينية في المنفى عام 1988.

خامساً: دراسة بعنوان: "تطور القضية الفلسطينية وتفاعلاتها مع البيئة الرسمية العربية عام 1967 - 1973" وقد عالجت هذه الدراسة الظروف السياسية العربية أبان حرب حزيران عام 1967 وكيف أثرت الحرب على دعم الدول العربية للفصائل الفلسطينية ومن ثم تناول دور مصر وسوريا في دعم السيطرة على حركة "فتح" الأمر الذي مكن الحركة من بسط سيطرتها وزعامتها على قيادة م.ت.ف. ⁽¹⁰⁾

سادساً: وفي دراسة للأستاذ احمد صخر بسيسو بعنوان "منظمة التحرير الفلسطينية بين مراحل الكفاح ودروب التسوية" ⁽¹¹⁾ تناولت الدراسة مشاريع التسوية التي طرحت على منظمة التحرير الفلسطينية بمراحل مختلفة بدءاً من مشاريع التسوية ما بين حرب العام 1948 وحرب العام 1967 وانتهاء باتفاقات أوسلو وما تبعها من استحقاقات سياسية كان لها كبير الأثر على المواقف الفلسطينية بشكل عام.

⁹ سميح، شبيب، (تطور الفكر السياسي الفلسطيني 1974-1988)، شؤون فلسطينية العدد 240-241 آذار - نيسان - بيروت، ص.ص 79-98.

¹⁰ اسعد، عبد الرحمن، (تطورات القضية الفلسطينية وتفاعلاتها مع البيئة الرسمية العربية 1967-1973) شؤون فلسطينية العددان 136-137، بيروت، 1983، ص.ص 41-63.

¹¹ أحمد صخر، بسيسو، منظمة التحرير بين مراحل الكفاح ودروب التسوية، مركز صخر حبش للدراسات والتوثيق، رام الله، 2010.

سابعاً: دراسة بعنوان "النخبة السياسية الفلسطينية في المجتمع في فلسطين"⁽¹²⁾ للدكتور تيسير الناشف، عالجت هذه الدراسة أيام الانتداب البريطاني وانتهت بمقارنة بين النخبتين في الفترة ما بين عام 1936 - 1948، كما بحثت الدراسة إعادة ترتيب النخبة وإيديولوجية أعضائها موضحة أن أعضاء النخبة يتبنون توجهات فكرية رئيسية: الوحدة الإسلامية، الوحدة العربية، والوطنية العربية الفلسطينية وترفض "وعد بلفور" وفكرة إقامة دولة يهودية في فلسطين.

التعليق على الدراسات السابقة:

أولاً: تناولت الدراسات السابقة الظروف السياسية المحيطة بالقضية الفلسطينية ومدى تأثيرها على مسار القضية الفلسطينية عامة وعلى مسار منظمة التحرير الفلسطينية خاصة.

ثانياً: عالجت الدراسات فترات زمنية مهمة للغاية بالنسبة للقضية الفلسطينية وحللت الأحداث السياسية التي واجهت م.ت.ف ولكن تلك الدراسات اقتصرت على رصد الأحداث والظروف السياسية للمنطقة العربية دون تحديد العوامل والمؤثرات التي السياسية أثرت على المنهجية السياسية الفلسطينية.

ثالثاً: تناولت الدراسات السابقة القضية الفلسطينية في فترات محددة مع التطرق إلى منهجية بعض الرموز الفلسطينية، ولكن دون أن تخصص بدراسة منهج أي منهم بشكل منفرد ومتعمق.

تختلف هذه الدراسة عن سابقتها بأنها تستعرض المواقف السياسية والمنهج السياسي للرئيس الفلسطيني (أبو مازن)، محللة الأسباب الكاملة وراء كل موقف سياسي أو اتفاقي أو رأي، مسطرة الضوء على حنكة ومقدرة الرئيس (أبو مازن) على التعامل مع المرحلة باستخدامه إستراتيجية التفاوض، أي عدم التفريط بالثوابت وعدم التزمت على القضايا الممكن التفاوض عليها.

أن إدراك الرئيس (أبو مازن) لأهمية ميزان القوى في المنطقة وخصوصاً تفرد الولايات المتحدة الأمريكية بالعالم حيث هي الأقوى والأكثر سيطرة جعل الرئيس (أبو مازن) رجلاً سياسياً مدركاً لحل يحيط به ويشعبه من مخاطر حيث اعتمد أسلوب النضال السياسي بدلاً من الكفاح المسلح على اعتبار النضال السياسي هو الجانب الأقدر للنضال والأصلح لهذه المرحلة والذي من خلاله يمكن الحصول على حقوق الشعب الفلسطيني السياسية والمدنية التي لطالما تنكر لها الاحتلال.

¹² تيسير، الناشف، (النخبة السياسية الفلسطينية) شؤون فلسطينية، ع48، بيروت، 1975، ص. ص131-167.

من هنا تظهر قيمة هذه الدراسة من حيث تناولها وتحليلها للمؤثرات والعوامل الخارجية (المؤثرات الدولية والإقليمية) على الفكر السياسي الفلسطيني عامة وعلى منهجية الرئيس محمود عباس خاصة، ومدى استجابة المنظمة لذلك؟ ولماذا؟

وتبرز قيمة هذه الدراسة كذلك من حيث أسلوبها في تحليل المؤثرات السياسية التي أثرت على الفكر والمنهج السياسي الفلسطيني لتفسر كيف أثرت هذه العوامل والمحددات والمؤثرات الدولية والإقليمية على تحول المنظمة نحو الحل السلمي خاصة أن هذا لم يكن قائماً خلال المراحل السابقة.

14.1 خطة الدراسة:

نظراً لأهمية البحث وحساسيته، لجأت إلى تقسيم البحث إلى أربعة فصول، تناولت في الفصل الأول منها خلفية الدراسة التي استعرضت فيه موضوع الدراسة وأهميتها وهدفها، والأسئلة يجيب عليها، إضافة إلى الفرضيات التي سيتم إثباتها أو نفيها، والصعوبات التي واجهت الباحث أثناء بحثه، بالإضافة إلى استعراض الدراسات السابقة في هذا المجال والتعليق عليها، أما الفصل الثاني تناولت فيه الخلفية التاريخية للصراع العربي الإسرائيلي منذ عام 1948 - 1993، أما الفصل الثالث فهو مخصص للحديث عن منهج محمود عباس من قضايا الصراع وأدواته والفصل الرابع والأخير استعرضت فيه أهم النتائج التي تم التوصل إليها.

2. الفصل الثاني:

الخلفية التاريخية للصراع العربي الإسرائيلي منذ عام 1948 - 1993

1.2 نتائج حرب عام 1948 (النكبة) على الشعب الفلسطيني

لمحة تاريخية:

قررت الحكومة البريطانية سحب قواتها من فلسطين والتخلي عن سيطرتها عليها وتسليم مسؤولية الانتداب إلى الأمم المتحدة، وبعد جهود دبلوماسية عديدة لم يستطيع الفلسطينيون، والدول العربية رد عادياتها. قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة في 28 تشرين الثاني/نوفمبر 1947 الموافقة على القرار رقم 181، والذي قسم فلسطين إلى دولة عربية وأخرى يهودية، وقامت الأمم المتحدة بتقسيم البلاد لمصلحة المهاجرين الوافدين وترجيحها على مصلحة السكان الأصليين، وذلك لخلق أغلبية يهودية في دولتهم المقترحة⁽¹³⁾. وسرعان ما تفجرت الأعمال العدائية بين التنظيمات اليهودية المسلحة والفلسطينيين. كان البريطانيون قد حددوا يوم 31 تموز/يوليو 1948 لانسحابهم النهائي وأخبروا التنظيمات اليهودية المسلحة بذلك سراً، ولكنهم لو يخبروا الفلسطينيين بذلك، ثم انسحبوا في نهاية أيار/مايو وتركوا الفلسطينيين في حالة فوضى، أن البريطانيين، بدلاً من ترتيب عملية عقلانية لنقل المؤسسات المركزية ووظائف الحكومة إلى الأغلبية الفلسطينية أو إلى السلطات المعنية لكل من التنظيمات اليهودية والفلسطينية وفقاً لقرار التقسيم من الأمم المتحدة، قد تخلو في واقع الأمر عن كل شيء، وقد أدت هذه العملية المضطربة إلى البلبلة فيما كانت الحرب الأهلية

¹³ سميح، فرسون، فلسطين والفلسطينيون، مرجع سابق، ص181.

الداخلية بين التنظيمات اليهودية المسلحة والفلسطينيين تتطور سراعاً. كانت الجالية اليهودية، الحسنة التنظيم جداً، في وضع مناسب للغاية لتولي وظائف الحكومة وإدارة مؤسساتها، وكانت قد أقامت مؤسسات موازية مستقلة لإدارة شؤون الحكم طوال عهد الانتداب وبدعم من السلطات البريطانية، أما الفلسطينيون فلم يتمكنوا بعد هزيمتهم عام 1939 من إقامة زعامة مركزية ولا من إنشاء هيكل مدنية محلية تستطيع أن تعبئ الشعب المنهك، وحيث تخلى البريطانيون عن المنطقة العربية، كانوا في حقيقة الأمر قد تركوا للسلطات البلدية في المدن والقرى، التي كانت سلطات غير مهيأة، مسؤوليات ضخمة تتعلق بتوفير الأمن والقيام بأعمال الشرطة وتولي شؤون الدفاع وتزويد الناس بالكهرباء والمياه، وتوفير الخدمات الصحية والتعليمية وغير ذلك من الخدمات الكثيرة، كان هذا المأزق ناشئاً كذلك عن عدم الوحدة في الزعامة السياسية الفلسطينية وعدم الانتظام فيها. وكان الصهاينة قد أسسوا جيشاً بمعنى الكلمة منذ عام 1942 تنفيذاً لأحد قرارات مؤتمر بلتيمور، فيما كانت السلطات البريطانية تقوم بنزع سلاح الفلسطينيين، بلغ عدد التنظيمات اليهودية المسلحة نحو 15 ألف جندي في أوائل عام 1948 ثم قفز العدد إلى 60 ألف في شهر أيار مايو 1948، كانت أغلبية هؤلاء الجنود من أفراد الهاغانا ذات الخبرة التي اكتسبها خلال الحرب العالمية الثانية، أما الباقون فكانوا من المنتمين إلى الجماعات اليهودية مثل أرغون وشتيرن، وجندوا من أجل العمليات العدائية في عامي 1947 و1948 أعداداً كبيراً من المتطوعين العسكريين المحترفين من شتى أنحاء العالم. أما الزعيم الفلسطيني الحاج أمين الحسيني فقد انتظر حتى كانون الأول/ديسمبر 1947، أي بعد صدور قرار التقسيم من الأمم المتحدة وبعد بدء العمليات العدائية، لكي يؤلف قوة من المتطوعين، سميت "قوة الجهاد المقدس" بلغ عدد تلك القوة غير النظامية في شهر آذار مارس/نحو 1600 نفر، وكانت قد تشكلت بعض الميليشيات في المناطق الريفية لم يتجاوز عددهم 750 متطوعاً، ولم يتجاوز عدد كتائب الشباب، مثل "الفتوة والنجدة" بضع مئات من المسلحين وكانت القوات تتلقى أحياناً خلال الاشتباكات دعماً على شكل نجدة، أي "فرعة" من متطوعي القوى. وقد أعلنت الجامعة العربية بعد أن أحست بالفرع من الهجمات اليهودية أن خطة التقسيم تعتبر غير شرعية، ثم قامت تحت ضغط الجماهير بتنظيم قوة عربية من المتطوعين سميت باسم جيش الإنقاذ ودعمت مالياً، وكانت بقيادة فوزي القاوقجي تعد بـ 3830 فرداً عربياً منهم 500 إلى 1000 من الفلسطينيين، غير أن المقاتلين الفلسطينيين والعرب كانوا أقل عدداً من القوات النظامية اليهودية

والمتطوعين من الخارج، كما كانوا أقل تسليحاً، لم يكن الفلسطينيون مستعدين سياسياً ولا عسكرياً للدفاع عن وحدة أراضي بلادهم⁽¹⁴⁾.

في الرابع عشر من أيار/مايو 1948 أعلنت القوات المسلحة اليهودية قيام إسرائيل ما إن مضت إحدى عشر دقيقة على هذا الإعلان حتى بادرت الولايات المتحدة إلى الاعتراف بإسرائيل، وفيما جرى بالقوة خلق دولة يهودية موسعة بمساحة تتجاوز ما قرره قرار التقسيم فإنه لم يعلن عن قيام دولة عربية فلسطينية، وقد وقع التقسيم الشرقي من وسط إسرائيل تحت سيطرة شرق الأردن، وهو الذي جرى ضمه بعدئذٍ والذي يسمى الضفة الغربية إلى مملكة الأردن الموسعة، ووقع قطاع غزة تحت السيطرة العسكرية المصرية، وأصبح مئات الآلاف من الفلسطينيين بعدد اللاجئين في أقسام من فلسطين كانت تحت السيطرة العربية، وفي الأقطار المجاورة. وهكذا لم تعد فلسطين موجودة قط⁽¹⁵⁾.

1.1.2 النتائج التي تمخضت عن حرب عام 1948:

كان من أهم نتائج الحرب العربية الإسرائيلية، عام 1948، أن الفلسطينيين فقدوا كياناتهم السياسي، القانوني، بل هجروا من أرضهم إلى تجمعات متباعدة، لم تكن سبل الاتصال بينها متيسرة، فقد عد من تبقى منهم داخل (إسرائيل) "عرباً إسرائيليين" أي مواطنين في إسرائيل الجديدة.. أما سكان الضفة الغربية، فأصبحوا يحملون الجنسية الأردنية، بعد مؤتمر أريحا، الذي عقد في ديسمبر 1948. وبقي قطاع غزة المتبقي من فلسطين، والذي أعطيت إدارته للحكومة المصرية، من دون أن يُضم إلى مصر، أما الذين اقتلعوا من أراضيهم من فلسطين فقد أطلق عليهم "لاجئون"، سواء في قطاع غزة والضفة الغربية أو البلاد العربية، في سوريا ومصر ولبنان، وأصبح الشعب الفلسطيني في هذه الفترة، مشتتاً في الدول العربية ودول العالم، وأصبحت قضيتهم " قضية لاجئين" ذات أبعاد إنسانية فقط⁽¹⁶⁾.

¹⁴ سميح، فرسون، فلسطين والفلسطينيون، مرجع سابق، ص 183 - 185.

¹⁵ سميح، فرسون، فلسطين والفلسطينيون، مرجع سابق، ص 186.

¹⁶ عبد الله، الأحمر، الأحزاب والتنظيمات الفلسطينية، سلسلة دراسات حزبية 1، مطبوعات القيادة القومية، كانون الأول 2009، سوريا،

أصبح للتنظيمات المسلحة اليهودية جسم سياسي رسمي (دولة إسرائيل) تعترف بهم الأمم المتحدة وعلى الأخص الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، وأصبح هذا الجسم السياسي يتصرف بمطلق الحرية في قضية الهجرة بعد أن احتل أراضي أوسع من أراضي الدولة المقترحة في قرار التقسيم 181 حيث استولت إسرائيل على 77.40% من مساحة فلسطين بينما كان خصص لها مشروع التقسيم 55% من تلك المساحة، إن احتلال الأراضي الفلسطينية ونزوح أكثر من نصف مليون فلسطيني خلق واقعاً جديداً تمثل في المطالبة باستعادة الأراضي ومشاريع إسكان اللاجئين أو مشروع عودة اللاجئين الفلسطينيين، أما نتائج حرب عام 1948 الدولية: غدت المنطقة العربية من أهم مناطق التنازع بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة لمكانتها الإستراتيجية، وزادت المتغيرات الداخلية في الدول العربية حيث كثرت الثورات وظهرت حركات التحرر في العالم العربي رغم بقاء التبعية بعد ذلك في أمور عدة، وخروج قضية فلسطين من يد بريطانيا جعل بإمكان أي دولة أو منظمة عالمية أو حتى شخصية سياسية في العالم طرح مشروع لحل قضية فلسطين، وأصبحت في هذه المرحلة الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي الدولتين العظميين في العالم بدلاً من بريطانيا وفرنسا.⁽¹⁷⁾ في يوم 1948/12/11 أصدرت الجمعية العمومية القرار رقم 194 المتعلق بعودة اللاجئين إلى ديارهم وتعويضهم عن الأضرار التي لحقت بهم وربطت الموافقة على قبول إسرائيل في الأمم المتحدة بموافقة إسرائيل على قبول ذلك القرار، ولقد قبلت إسرائيل في الأمم المتحدة رغم عدم تطبيقها القرار 194. وعلى أثر حرب فلسطين، عام 1948، أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة، في 8 ديسمبر كانون الأول 1949، القرار رقم 302، القاضي بإنشاء وكالة الأمم المتحدة، لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين، في الشرق الأدنى، التي بدأت أعمالها في مايو/أيار 1950، وشملت مسؤولياتها الإشراف وتقديم المساعدة إلى اللاجئين الفلسطينيين، في كل من سوريا والأردن ولبنان وقطاع غزة، وكان إنشاء وكالة الغوث عن وجهة نظر اللاجئين تفریطاً في حقوقهم وهويتهم، وزاد إحساسهم بالأسى أن الأمم المتحدة هي التي أقرت تقسيم فلسطين وتحولت قضية فلسطين من قضية شعب اغتصب وطنه وله حقوقه التاريخية إلى قضية لاجئين المطلوب إغاقتهم⁽¹⁸⁾.

¹⁷ زكريا، إبراهيم، مشاريع تسوية قضية فلسطين من عام 1930 حتى نهاية عام 1991، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1999، ص 49-

50.

¹⁸ تيسير، جبارة، تاريخ فلسطين، دار الشروق للنشر والتوزيع، 1998، رام الله، ص 327.

" كان هم الشعب الفلسطيني، كيف يوفر لقمة العيش، وبعد الخروج من فلسطين أصبحنا لاجئين، والشخصية الوطنية الفلسطينية غير موجودة، وكذلك لا توجد قيادة فلسطينية، ولا يوجد تمثيل فلسطيني، ولا يوجد أي شيء، والمرجعية الوحيدة كانت ما يسمى مؤسسة اللاجئين الفلسطينيين، ووكالة الغوث، هذا ما كان يمثل الشعب الفلسطيني آنذاك، وكان الأمر واضحاً ومقصوداً أن يكون الشعب الفلسطيني هائماً على وجهه، يبحث عن لقمة العيش فقط، وأن لا يخوض في قضايا سياسية، واستمرت هذه الفترة من الضياع في الخمسينيات، وأوائل الستينيات، كانت قضية فلسطين (قضية لاجئين ذات أبعاد إنسانية)، وكل الدولة العربية كانت تتعاطى إعلامياً، وصحفياً، ولفظياً مع القضية الفلسطينية دون أي عمل فعلي".⁽¹⁹⁾

2.2 العمل السياسي الفلسطيني بعد حرب عام 1948 (النكبة)

على أثر طرد الفلسطينيين من ديارهم عام 1948 وتجريدهم من ممتلكاتهم كان من المتوقع أن يصابوا بالصدمة وأن ينشغلوا بمجرد البقاء على قيد الحياة، وقد غدا معظمهم عالة على المجتمع الدولي وعلى الأمم المتحدة بالذات، ولم تستطع حكومة عموم فلسطين الممزقة الأشلاء، وهي التي خلقت اللجنة العربية العليا لعهد ما قبل النكبة، أن تقاوم ضم الضفة الغربية إلى الأردن، أو أن تسترد قطاع غزة من الإدارة المصرية، أو أن توفر زعامة سياسية لها تنظيمها واتجاهها لقيادة اللاجئين المعدمين المنتشرة خارج حدود فلسطين، يضاف إلى هذا أن هؤلاء كانوا مضطهدين سياسياً، كما كان الذين ظلوا في الداخل عرضة لدمجهم في إسرائيل، بيد أن الشلل لم يدم طويلاً، فما أن حل عام 1957 حتى أخذ الشلل يتلاشى بظهور جيل جديد من شباب فلسطين يحملون معتقدات جديدة. وتمثل أحد التيارات الناشطة بما قامت به الدول العربية القومية في الإطار الرسمي، البيروقراطي، من خلال الجامعة العربية، وهذا تيار جرت قيادته من الأعلى نخبة من الفلسطينيين، أما التيار الآخر فكان مختلفاً و عفويًا وشعبيًا ويعمل في الخفاء، حتى ظهر مستقلاً عن غيره في مواقع شتى من تجمعات الفلسطينيين في الشتات.⁽²⁰⁾

¹⁹ محمود، عباس، صفحات مشرقة من تاريخ الثورة الفلسطينية (شهادات تاريخية)، حركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح"، مكتب الشؤون الفكرية والدراسات، رام الله، 2009، ص14.

²⁰ سميح، فرسون، فلسطين والفلسطينيون، مرجع سابق، ص360.

كان عقد الخمسينيات الماضي حافلاً بالنشاط السياسي في أرجاء المشرق العربي بأسره، وكانت الأحزاب والحركات السياسية تتراوح عقائدياً من الأحزاب الشيوعية في اليسار إلى الحركات المحافظة في اليمين مثل حركة الإخوان المسلمين، بيد أن التيار السائد والمتصاعد كان يتمثل بالقومية العربية الوجودية ذات الطابع العلماني، وكانت تلك الأحزاب والحركات، مثل حزب البعث وحركة القوميين العرب والناصريين، ناشطة كثيراً ومتنافسة بعضها مع بعض في أقطار الشرق العربي كلها، وقد انصب تنافسها على النفوذ من الوطن العربي، وعلى الاستقلال العربي، وعلى الوحدة، وعلى القضية الفلسطينية بشكل خاص، أما الأحزاب الداعية إلى الوحدة العربية فلم تقتصر دعوتها إلى تحرير الأقطار العربية بضمها فلسطين من الاستعمار والهيمنة العربية والإسرائيلية، بل كانت دعوتها تشمل تحقيق تنمية اقتصادية مستقلة تقوم على أكتاف العرب. إن الحدود التي رسمت للدول العربية الجديدة كانت تسمح بأن تنتقل عبرها الحركات الاجتماعية والمذاهب السياسية المختلفة ذات البرامج الداعية للوحدة العربية أو الوحدة الإسلامية. وكانت الجماعات السياسية الوجودية تعمل على تجنيد الفلسطينيين في صفوفها⁽²¹⁾.

بعد عام 1948 ظهر في أوساط التجمعات الفلسطينية المشتتة مجموعات سرية كثيرة، كان الأكثر نفوذاً بينها على الإطلاق كل من حركة القوميين العرب (ح.ق.ع) وحركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح"، وقد رُفِعَ لفتح أن تتولى قيادة منظمة التحرير الفلسطينية (م.ت.ف) وقيادة الحركة الفدائية بكاملها في أواخر الستينات، بينما نشأ عن حركة القوميين العرب التنظيمات المنافستان الرئيستان لحركة فتح وهما: الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (ج.ش.ت.ف)، والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين (ج.ش.د.ت.ف)، وتميز كل من حركة القوميين العرب وفتح بعضهم مع بعض بوضوح من حيث مكان النشوء، ومن حيث الخلفية الاجتماعية، كما أنهم نهلوا أفكارهم، إلى حد كبير، من أصول عقائدية متباينة، على الرغم من أن هدفهم كان واحداً: شن حرب لا هوادة فيها ضد إسرائيل واستعادة الوطن السليب، فلسطين.

تبلورت فكرة تأسيس (ح.ق.ع) عام 1951 على يد مجموعة من طلاب الجامعة الأمريكية في بيروت، وكان العنصران المحركات لهذا التجمع جورج حبش، وهاني الهندي، وتطوع كلاهما في جيش الإنقاذ العربي سنة 1948. وفي سنة 1949 كان جورج حبش وهاني الهندي قد انضموا إلى

²¹ سميح، فرسون، فلسطين والفلسطينيون، مرجع سابق، ص361.

"العروة الوثقى" وهي جمعية طلابية في الجامعة الأمريكية في بيروت، وتوليا تحرير النشرة الصادرة عنها، وما لبثا أن ترأسها في 1949-1950، وتعرفا خلالها إلى الذين شاركوا لاحقاً في تأسيس (ح.ق.ع) وفي إغنائها فكرياً، وهم: وديع حداد، أحمد الخطيب، محسن إبراهيم. قد شعر حبش والهندي في أثر الحرب، بمرارة شديدة جراء تفرق العرب وجراء ما اعتبره تعاوناً من قبل الحكومات العربية مع بريطانيا العظمى مع الصهيونيين، وقررا معاقبة أي زعيم عربي يسعى للصلح مع إسرائيل⁽²²⁾، ومقاومة أي نوع من التقارب بين العرب وإسرائيل، قد يسفر عن تسوية غير عادلة للقضية الفلسطينية، ومقاومة محاولات توطين اللاجئين، وتصدت لتلك المهمات جماعات عدة، منها "هيئة مقاومة الصلح مع إسرائيل" التي كانت تصدر نشرة باسم "الثأر" التي راجت رواجاً واسعاً في أوساط الفلسطينيين، حتى عام 1954، لأنها كانت تكشف المحاولات السرية للتسوية مع إسرائيل⁽²³⁾، كما قررا إفشال الهدنة من خلال مهاجمة "المصالح الغربية والصهيونية". وعمداً إلى إنشاء منظمة "كتائب الفداء العربي" السرية بالتعاون مع قلة من الناشطين السوريين ومجموعة صغيرة من الناشطين المصريين المطاردين، وكان مؤسسو "كتائب الفداء" مفتونين بخليط من النماذج الفكرية منها: الأفكار الثورية لجوزيبي غاربيالدي وتشده على "العنف السياسي"، السرية المفرطة لجماعة كاربوناري الإيطالية ولحركة إيطاليا الفتاة، القومية المطلقة والانضباط الحديدي لبسمارك، الأساليب الصدامية التي يتبعها الإخوان المسلمون والحزب السوري القومي. وسرعان ما ضاق جورج حبش وهاني الهندي ذرعاً بالاتجاه الذي اتخذته "كتائب الفداء"، لشعورهما بأنها تمارس العنف من دون الاستناد إلى برنامج واضح وشامل، وكانا يأملان بتطوير الهجمات المسلحة إلى عمل عسكري ضد إسرائيل عبر الحدود.

كان تحرير فلسطين هدف (ح.ق.ع) الرئيسي، ولكن الحركة رأت استحالة تحقيق ذلك ما لم يتم تخليص الدول العربية من "برائن" الاستعمار الغربي، وتوظيف الإمكانيات العربية في المعركة ضد إسرائيل، وآمنت (ح.ق.ع) بضرورة إحداث تغيير شامل في النظم السياسية العربية، مع تشديدها في الوقت نفسه على أن هذا يتطلب تحضيراً سياسياً واسعاً، وكانت الخطوة الأولى في هذا السبيل إنشاء "هيئة مقاومة الصلح مع إسرائيل" التي عملت على تعبئة الفلسطينيين ضد مخططات إعادة

²² يزيد، الصايغ، الكفاح المسلح والبحث عن الدولة، الحركة الوطنية الفلسطينية 1949-1993، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 2002، ص132-133.

²³ زياد، أبو عمرو، أصول الحركات السياسية في قطاع غزة 1948-1967، دار الأسوار، عكا، 1987، ص28.

توطينهم التي قدمها كل من الأونروا والولايات المتحدة الأمريكية في الفترة 1950-1953، وأثبتت الهيئة فعاليتها، إذ أتاحت لـ (ح.ق.ع) إقامة صلات بمخيمات اللاجئين في سوريا والأردن، وتأليف خلايا سرية في أوساطها⁽²⁴⁾.

لم تحقق (ح.ق.ع) توسعها المتواضع، وتعزز مستقبلها السياسي، إلا بعد وصول جمال عبد الناصر إلى زعامة المنطقة، وكانت الحركة في البداية تراه شاب من "الضباط الأحرار" الذين أسقطوا النظام الملكي في تموز/يوليو 1952، لكنها أعجبت بمعارضة عبد الناصر لحلف بغداد سنة 1955، وبموقفه العام المعادي للغرب، والذي عبر عنه في أكثر من مناسبة، وخصوصاً من خلال دوره في مؤتمر باندونغ، ودعمه للثورة الجزائرية، وشجع تأميم قناة السويس سنة 1956، وبروز عبد الناصر كبطل للقومية العربية بعد العدوان الثلاثي على مصر، عملت (ح.ق.ع) على رسم سياستها وإستراتيجيتها وفق سياسته وإستراتيجيته، ورأت (ح.ق.ع) في توحيد القوى العربية شرطاً ضرورياً سابقاً لتحرير فلسطين، وألقت بنفسها في خضم السياسة العربية سعياً وراء إسقاط الحكومات العربية التي اعتبرتها معادية للقويتين التوأم: تحرير فلسطين والوحدة العربية، وهكذا خصصت معظم مجهودها العسكري، حتى وائل الستينات، لمواجهة الحكومات العربية المؤيدة للغرب أو المعادية لعبد الناصر⁽²⁵⁾.

وجد الفلسطينيون فرصة للإعراب عن آرائهم السياسية وللعمل من أجلها وذلك على الرغم من القمع الذي كانت تمارسه بعض الأنظمة العربية القلقة، إن استجابة الفلسطينيين للنداءات الوجدوية الصادرة على الأخص من الناصريين والبعثيين، وكانوا في المعارضة السياسية لأنظمة الحكم المعتمدة على الغرب، المحافظة منها والليبرالية مثل الأردن ولبنان والعراق وحتى سوريا في ذلك الحين، سرعان ما أكسبتهم عداوة أنظمة الحكم العربية التي يعيشون في ظلها وهي الأنظمة التي تدخلت نيابة عنهم في حرب 1948 وخسرتها.

إن مد القومية العربية الوجدوية في عقد الخمسينات الماضي جرف الفلسطينيين حتى باتوا ناشطين سياسياً على الرغم من عدم وجود منظمات فلسطينية مستقلة، بلغ ذلك المد ذروته بعد حرب السويس عام 1956 التي تواطأت فيها إسرائيل مع بريطانيا وفرنسا فغزت صحراء سيناء ومنطقة

²⁴ يزيد، الصايغ، الكفاح المسلح والبحث عن الدولة، مرجع سابق، ص133.

²⁵ يزيد، الصايغ، الكفاح المسلح والبحث عن الدولة، مرجع سابق، ص137.

قناة السويس في مصر عبر قطاع غزة، وقد أدت تلك الحرب إلى تحول عدد من دول المشرق العربي بعيداً عن الأنظمة العربية الميالة نحو الغرب إلى الأنظمة القومية الراديكالية التي التزمت عدم الانحياز دولياً، كما كانت الحرب حافزاً قوياً لنشاط الفلسطينيين، كانت مصر قد شهدت انقلاباً قام به ضباط الجيش في عام 1952 بزعامة جمال عبد الناصر، كما أن الحرب كانت حافزاً قوياً لنشاط الفلسطينيين⁽²⁶⁾، كانت المنطقة العربية تشهد هزات وإضرابات سياسية بعد نكبة عام 1948، فحصل في سوريا عدد من الانقلابات العسكرية، ومرت لبنان في أزمة سياسية عام 1951، وتم اغتيال الملك عبد الله عام 1951، لذا كانت غير مستقرة سياسياً، كما أن الشعب العربي عامة والفلسطينيين خاصة بدأ يبحث عن سبيل للتعبير عن رفضه واقع هزيمة الجيوش العربية عام 1948، وهكذا سارت الحركة الوطنية الفلسطينية في عدة مسارات منها:

1.2.2.1. الانضمام إلى الحركات والأحزاب الوطنية العربية:

كانت قد تشكلت أحزاب وتنظيمات عربية مختلفة في الدول العربية المجاورة لفلسطين، وانخرط الفلسطينيون في العمل السياسي العربي، وبحث الفلسطينيون عن موقع قدم لهم في خضم التيارات المتعددة التي كانت تغمر الوطن العربي والتي مارست نشاطاً سياسياً واضحاً، ولم يقف الفلسطينيون الواعون سياسياً من هذه التيارات موقف المتفرج، واستأثرت باهتمام الفلسطينيين أربعة اتجاهات رئيسية هي: الاتجاهات الإصلاحية (الليبرالية) في الأردن، والأحزاب والحركات القومية، والحزب الشيوعي والاتجاهات والحركات الإسلامية⁽²⁷⁾.

تمثل الاتجاه الإصلاحي في الأردن في حركة المعارضة لضم الضفة الغربية إلى الأردن، وعبر عن هذا الرفض عدد من الأحزاب السياسية، عملت في البدء بشكل سري نذكر منها: حزب البعث العربي الاشتراكي (1949)، وحركة القوميين العرب (1952)، الحزب الوطني الاشتراكي (1954)، ومع تطورات الأحداث وتصاعدها، في الأردن، وإعلان الأحكام العرفية في بداية

²⁶ سميح، فرسون، فلسطين والفلسطينيون، مرجع سابق، ص361.

²⁷ الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، الدراسات الخاصة، المجلد الخامس، ط1، بيروت، 1990، ص117.

الخمسينيات، اضطر كثير من الفلسطينيين العاملين في السياسة إلى العمل السري أو الانتقال إلى أماكن أخرى، لمتابعة النضال السياسي⁽²⁸⁾.

كما انضم عدد من الشباب من فلسطين في أحزاب ذات برامج قومية تبحث عن طريق للتعبير السياسي والتحرير والعودة، فشهد حزب البعث وحركة القوميين العرب إقبالا متزايداً في صفوفهما من جانب الشباب الفلسطيني المثقف، كما استقطب التيار الجماهيري الناصري عدداً آخر من شباب فلسطين، وكان حزب البعث ينادي بالوحدة والحرية والاشتراكية، وهذا النداء جذب اهتمام المثقفين من شباب فلسطين وخاصة الأردن. ولاقى هذا دعماً نشطاً من آلاف اللاجئين، وأما الناصرية فقد أيدها الفلسطينيون ووجدوا في الناصرية طريقهم إلى وطنهم فأمنوا بمبادئها وحملوا شعاراتها، وآمنوا بصاحبها منقذاً ومحزراً، خاصة بعد تحقيق الوحدة مع سوريا عام 1958، لقد اتضح هذا الانتماء في الخمسينيات، دونما تكتل أو حزب⁽²⁹⁾.

أما الاتجاهات والحركات الإسلامية، كانت مجموعة الإخوان المسلمين في غزة من أكثر المجموعات استقطاباً للجماهير الفلسطينية، وذلك يعود إلى الخلفية الدينية لدى أبناء الشعب الفلسطيني، إضافة إلى البعد الجديد الذي أعطته ثورة الضباط الأحرار في تموز/يوليو 1952 للمنظمات الإسلامية حينما أوكلت إليها مهمة توزيع المعونات في غزة وهو ما أطلق عليه "قطارات الرحمة" إلا أن الثورة المصرية حلت هذه الحركة في مصر عام 1954 فقد الإخوان المسلمين قواعدهم في قطاع غزة، ونقلوا مقر التنظيم إلى القدس، وأصدروا جريدة "الجهاد". وكانت مجموعة الإخوان المسلمين أكبر التنظيمات من الناحية العددية وأكثرها جماهيرية، ففي عام 1954م بلغ عدد الأعضاء 1000 عضو كان هؤلاء الأعضاء من طلاب المدارس ومن مخيمات اللاجئين، وطلاب درسوا في الجامعات المصرية بالقاهرة التي سيطر علي هيئتها الإخوان المسلمون أو أصدقائهم ومن أبرزهم طالب الهندسة في جامعة القاهرة محمد عبد الرؤوف القدوة الحسيني، المعروف بياسر عرفات، لكن وضعة بالنسبة للجماعة نصيراً لها أو عضواً فيها، يبقى غير مؤكد. وصلاح خلف، وسليم الزعنون، وعبد الفتاح الحمود وغيرهم⁽³⁰⁾.

²⁸ بيان، الحوت، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، 1917-1947، دار الأسوار، عكا، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1984، ص198.

²⁹ الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، الدراسات الخاصة، المجلد الخامس، ط1، بيروت، 1990م، ص120-121.

³⁰ زياد، أبو عمرو، أصول الحركات الإسلامية في الضفة وقطاع غزة، دار الأسوار، عكا، 1980، ص25-26.

2.2.2.2. التصدي للمشاريع المشبوهة والتي تقصد تصفية القضية الفلسطينية

وقفت الحركة الوطنية الفلسطينية ضد المشاريع المشبوهة التي نادى بتحسين حالة اللاجئين بقصد دمجهم في الأقطار العربية، فبين عامي 1952-1954 تقدمت وكالة الغوث بعدد من مشاريع التوطين والإسكان خارج فلسطين، وبقيت الولايات المتحدة تصرّ على أن قضية فلسطين هي قضية لاجئين يمكن حلها بتحسين ظروفهم. شارك الإخوان المسلمون في إفشال مشروع سيناء للتوطين عام 1955، وقامت بتشكيل مجموعات مقاومة مثل شباب الثأر، وكان من أعضائها صلاح خلف، وكتيبة الحق، ومن أعضائها خليل الوزير.

ومن أهم مشاريع توطين اللاجئين الأخرى:

أ. مشروع جون فوستر دالاس وزير الخارجية الأمريكي عام 1956، الذي كان من أهدافه: وضع حد لبؤس مليون لاجئ فلسطيني، إزالة الخوف الذي يسيطر على دول المنطقة، محاولة التوصل إلى حل لمشكلة الحدود بين إسرائيل والعرب.

ب. مشروع أنطوني أيدن الوزير البريطاني، حيث أعلن في 1955/1/9 عن ضرورة تشييد حدود جديدة لإسرائيل وحل الصراع العربي الإسرائيلي.

ت. مشروع هموشولد (مبعوث الأمم المتحدة) عام 1959، الذي قدم مشروعاً في مذكرة رسمية عنوانها (مقترحات بشأن استمرار الأمم المتحدة في مساعدة اللاجئين الفلسطينيين). تناول المشروع مسألة توسيع البرامج التي من شأنها تأهيل، وتوطين اللاجئين في المواقع المتواجدين فيها، ومناشدة الدول العربية المضيفة للاجئين بالتعاون مع الوكالة الدولية⁽³¹⁾.

3.2 العدوان الثلاثي على مصر عام 1956

تفاعلت التطورات التي شهدتها المنطقة العربية خلال السنوات الأولى من الخمسينيات إلى حد أصبحت فيه المواجهة المسلحة بين الدول العربية وإسرائيل أمراً لا مفر منه، فإسرائيل لم تكتفي بما حصلت عليه نتيجة لحرب 1948 بل أخذت تتوسع وتستولي على الأرض، أما المنطقة العربية فقد

³¹ مهدي، عبد الهادي، المسألة الفلسطينية ومشاريع الحل السياسية 1934 - 1974، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1975، ص200- ص212.

شهدت مداً قومياً تحريراً برئاسة الزعيم عبد الناصر، الذي قام بالإعلان عن تأميم قناة السويس في 16/8/1956 من أجل الاستفادة من عائداتها، بعد ذلك التأميم التقت المصالح والأطماع الاستعمارية لكل من فرنسا إذ كانت ترغب في تأديب نظام عبد الناصر لدعمه ثورة الجزائر، وبريطانيا التي تطمح في العودة إلى قناة السويس التي أجبرت على تركها، وإسرائيل التي وجدت فرصة سانحة لضرب الحركات الفدائية في قطاع غزة، وأوجد ذلك فرصة لاحتلال المزيد من الأراضي والوصول إلى قناة السويس، وتدمير قوة مصر العسكرية النامية. فقام العدوان الثلاثي على مصر وقامت إسرائيل بالهجوم على قطاع غزة، وارتكبت مجزرة كفر قاسم 29-10-1956⁽³²⁾.

كان من نتائج التجربة الجماعية التي خاضها الفلسطينيون دفاعاً عن أرضهم ضد إسرائيل في غزة 1956، أي بعد زمن قصير من نكبة عام 1948، أن شعروا بحافز للقيام بنشاط مستقل في الميدان السياسي والعسكري، كانت قد اندلعت مقاومة شعبية في قطاع غزة ضد اجتياح إسرائيل للقطاع خلال حرب السويس، إذ كان بعض الفلسطينيون قد تلقوا تدريباً على أيدي الجيش المصري هناك في الفترة (1948-1956) واضطرت إسرائيل إلى الانسحاب من صحراء سيناء وقطاع غزة تحت ضغط دولي قوي، ولا سيما من الولايات المتحدة، شعر الفلسطينيون أن العمل لتحرير فلسطين من خلال الحركة الوطنية العربية رغم أنه سليم وصحيح إلا أنه غير كاف، لذا ازداد الحديث عن ضرورة قيام الشعب الفلسطيني نفسه بالمبادرة في عملية التحرير، ولم تمر مدة طويلة على ذلك حتى بدأ الفلسطينيون في القطاع والخارج بالقيام بحملات سرية مستقلة لغرض التنظيم السياسي والتدريب العسكري، كان ذلك بمثابة حركة سياسية سرية أخفي خبرها عن إسرائيل من جهة، وعن أنظمة الحكم المستبدة والقمعية، الراديكالية منها والمحافظة من جهة أخرى، لذلك ظهر في الفترة الممتدة ما بين 1957 - 1964 عدد من التنظيمات الفلسطينية المتناثرة ومن هذه التنظيمات حركة فتح، والاتحاد العام للمرأة الفلسطينية عام 1965، وجبهة التحرير الفلسطينية (ج.ت.ف) وحركة الأرض داخل أراضي 1948، ومنظمة شباب الثأر التي ظهرت من داخل حركة القوميين العرب.⁽³³⁾

³² أحمد فارس، محمود صلاح الدين، قضية فلسطين، مكتبة جامعة القدس، دن. 2003. ص72.

³³ سميح، فرسون، فلسطين والفلسطينيون، مرجع سابق، ص362.

4.2 تأسيس حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)

لم يعر أحد انتباهاً لمجلة غامضة، بدائية الإنتاج، كانت تصدر شهرياً في بيروت، وبدأت توزع في العالم العربي أواخر 1957، كانت مجلة "فلسطيننا" تخاطب قراءها باستمرار بـ (أبناء النكبة)، وكانت تتألف من نحو ثلاثين صفحة، ولا تنتشر أي إعلانات، فتوزيعها كان محدوداً. وكانت محتوياتها، افتتاحياتها - ومقالاتها وتقاريرها وقصائدها ورسائلها وشعاراتها- مكرسة تماماً للقضايا الفلسطينية، ولم ينتبه الإسرائيليون إلا في أواسط العام 1964 إلى أن المطبوعة الغامضة كانت تخبيّ وراءها أكثر مما كانت تراه العين، كانت "فلسطيننا" أو "فلسطيننا نداء الحياة"، بوقاً لمنظمة قررت ترجمة حلم العودة إلى واقع، وكانت المنظمة تدعى (حركة التحرير الوطني الفلسطيني)، وكانت الأحرف الأولى من الكلمات الثلاث إذا قرئت عكسياً "فتح" وتعني "الكشف" أو "الانتصار". كما أن كلمة فتح هي التي يستعملها المؤرخون العرب والمسلمون للإشارة إلى غزو الشرق الأوسط، ونشر العروبة والإسلام فيه، ولا سيما بلاد الشام والعراق ومصر، وبما أنها اسم السورة الثامنة والأربعين من القرآن، فإن لها كذلك وقعاً ذا معانٍ أعمق على الأذن العربية، وقد ساهمت فتح في المطبوعة الجديدة كل شهر بعمود أسمته "رأينا"، ومع أنه لم يكن موقِعاً، فقد كان يكتبه عادة خليل الوزير، الذي كان مثل ياسر عرفات أحد الأعضاء المؤسسين للمنظمة، والذي كان من أكثر قادتها تملقاً ونفوذاً في الوقت نفسه كانت "فلسطيننا" ثمرة إحيات عميقة، فقد كانت لغتها غاضبة ومرّة، تعوض في عنفها المتهور والفظ عما كان ينقصها من الفصاحة، وكان هدفها الأول: أن توجه "نداء الحياة" إلى الفلسطينيين لكي يستعيدوا هويتهم وهدفهم المفقود⁽³⁴⁾.

كان مؤسسو هذه الحركة ومنظموها وزعماءها من ناشطي قطاع غزة من الطلاب الجامعيين الذين يدرسون في مصر ودول الخليج، ثم ظهوروا بعد هزيمة العرب في عام 1967 بصفتهم زعماء لحركة فتح، وكانت حركة فتح ذات قيادة جماعية مؤلفة من بضعة أصدقاء مقربين، منهم: صلاح خلف (أبو إياد)، خليل الوزير (أبو جهاد)، فاروق القدومي (أبو اللطف)، خالد الحسن (أبو سعيد)، محمود عباس (أبو مازن)، محمد يوسف النجار، سليم الزعنون، فتحي البلعاوي، كمال عدوان، يحيى عاشور، عادل عبد الكريم، عبد الله الدنان، عبد الفتاح الحمود، ماجد أبو شرار، أحمد قريع، هايل

³⁴ ديفيد، هيرست، البندقية وغبصن الزيتون، جذور العنف في الشرق الأوسط، ترجمة عبد الرحمن إياس، شركة رياض الريس للكتاب والنشر، بيروت، ط1، حزيران 2003، ص445.

عبد الحميد، منير سويد، محمود الخالدي، حسام الخطيب، ومحمود فلاح، وياسر عرفات (أبو عمار) الذي كان ناطقاً باسم فتح وزعيماً لها، ثم رئيساً لمنظمة التحرير الفلسطينية عام 1969⁽³⁵⁾.

قبل أن تقرر (ح.ق.ع) تأسيس فرع فلسطيني مستقل بمدة طويلة، كانت فتح قد أسست تنظيمياً فلسطينياً مستقلاً. وكان مؤسسوها باستثناء عدد محدود منهم من اللاجئين الذين وفدوا إلى غزة عام 1948، بعضهم مثل محمد يوسف النجار وسليم الزعنون وفتحي البلعاوي، كان انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين عندما أسست فرعها في فلسطين سنة 1946، وكان بعمر يتراوح بين سن المراهقة وبداية العشرين عند اندلاع الحرب، وبعضهم كان أصغر سناً، مثل خليل الوزير وصالح خلف، وكمال عدوان ويحيى عاشور، وقد جمعتهم المدرسة الثانوية كما جمعت الكثيرين من رفاق صفهم الذين برزوا فيما بعد في المراتب العليا السياسية أو العسكرية للمنظمات الفدائية الرئيسية، وفي الجناح العسكري لمنظمة التحرير، كذاك فإن عضوية جماعة الإخوان المسلمين كانت هي الأخرى جامعاً آخر بينهم. فعلى الرغم من أن الجماعة أصبح لها حضور ذو شأن في غزة بفضل السمعة التي اكتسبتها في أثناء الحرب، وبفضل الضباط المصريين الذين كانوا يجندون العمال الفلسطينيين الذين يشتغلون في ثكناتهم في صفوف الجماعة.

من الناشطين الفلسطينيين الذين اجتذبتهم جماعة الإخوان المسلمين سنة 1948، طالب الهندسة في جامعة القاهرة، محمد عبد الرؤوف القدوة الحسيني المعروف بياسر عرفات. ولعرفات صلة قرابة بعيدة بالمفتي الحاج أمين الحسيني. ويقال أنه قاتل بأمره عبد القادر الحسيني، ومن ثم مع مفرزة الإخوان المسلمين في غزة والقدس، وقد التحق بعد عودته إلى القاهرة، بدورة تدريب ضباط الأحرار الذين أسقطوا النظام الملكي في 23 تموز/يوليو 1952، عزز عرفات علاقته بهم من خلال اشتراكه في عدد من الهجمات التي نظمتها الإخوان المسلمون ضد القوات البريطانية في منطقة قناة السويس في الفترة 1950-1954، ومن خلال تدريبه الطلاب الجامعيين في 1953/1954، وكان ناشطاً أيضاً في رابطة الطلبة الفلسطينيين وأصبح رئيساً لها سنة 1952، وتعرف ضمن الرابطة إلى الكثيرين ممن أصبحوا رفاقاً له في قيادة فتح لاحقاً⁽³⁶⁾.

³⁵ سميح، فرسون، فلسطين والفلسطينيون، مرجع سابق، ص 363.

³⁶ يزيد، الصايغ، الكفاح المسلح والبحث عن الدولة، مرجع سابق، ص 144-145.

هناك شخصية بارزة أخرى هي خليل الوزير، الذي يعتبره البعض المؤسس الحقيقي لفتح، الذي قام بتأسيس مجموعته الخاصة من المناضلين وهو في سن السادسة عشر، وانضم خليل الوزير إلى الإخوان المسلمين سنة 1951. وقد طلبت الجماعة بناء على ضغط أعضائها، إلى الضباط المصريين المتعاطفين معها أن ينظموا سراً دورات تدريبية للفلسطينيين. وفعلاً بدأت هذه الدورات سنة 1952، وبعد فترة من بدء التدريب استجابت قيادة الإخوان المحلية لضغوط أعضائها الشباب، فأست منظمين عسكريين سرّيين هما "شباب الثأر" و"كتيبة الحق" وكان صلاح خلف عضواً في الأولى و خليل الوزير عضواً في الثانية، وكان لقيادة الإخوان المسلمين في مصر مشاعر مختلطة تجاه هذا التطور، إذ كانت مهتمة بعدم تخريب علاقاتها بمجلس قيادة الثورة الجديدة في القاهرة، فطلبت من فرعها في غزة منع أعضائها من مهاجمة إسرائيل، وبعد أن ضاق خليل الوزير ذرعاً بتردد قيادة الإخوان المسلمين، فأنشأ تنظيمًا موازياً مستفيداً من موقعه في "كتيبة الحق"، وبدأ بتأليف الخلايا السرية استعداداً لعمليات عسكرية مستقلة، نائياً بنفسه عن رفاقه الذين كانوا يريدون الاهتمام بقضايا عديدة من بينها فلسطين، والبعض الآخر كان يريد صب الجهد على قضايا إسلامية عامة، في تشرين الأول عام 1954 تم اعتبار جماعة الإخوان المسلمين خارجة على القانون من قبل الحكومة المصرية، وبعد رفض خليل الوزير وكثيرون غيره اتخاذ جانب من أي من طرفي النزاع (بين الحكومة المصرية والإخوان المسلمين) أدى ذلك إلى افتراق صريح وانسحاب خليل الوزير من الجماعة في أوائل عام 1955.

قام وفد من الاتحاد العام لطلبة فلسطين بزيارة لقطاع غزة التقى ياسر عرفات خلالها خليل الوزير أول مرة، وتجددت العلاقة بعد أن عاد عرفات إلى غزة مدرباً عسكرياً، ثم تطورت العلاقة بعد أن التحق خليل الوزير بجامعة القاهرة في أواسط عام 1956، قبل أشهر قليلة من العدوان الثلاثي على مصر، وجاءت الفكرة الفعلية في تأسيس فتح، نتيجة العدوان الثلاثي واحتلال الإسرائيليين قطاع غزة. تبلور النقاش الدائر بين من أصبحوا مؤسسي فتح، وذلك بعد أن اتضح لهم في أثر العدوان أن التحدي الحقيقي لا يكمن في مساندة العمل المسلح، وإنما في ملء الفراغ الذي خلقه عدم وجود أي منظمات فلسطينية مستقلة، وكان الاحتلال الإسرائيلي شنت من تبقى من جماعة الإخوان المسلمين وأضعف بصورة عامة العرفية المحدودة التي كانت تحظى بها الأحزاب السياسية الأخرى، وإلى جانب هذا برز جمال عبد الناصر بطلاً قومياً عربياً، وعلق عليه الكثير من

الفلسطينيين آمالهم بالخلاص الوطني، أما من أصبحوا لاحقاً مؤسسي فتح، فقد انزعجوا من قدرة السلطات المصرية على إصدار أوامرها بتجميد تام لعمليات الفدائيين بعد انسحاب إسرائيل من قطاع غزة في آذار/مارس 1957، وخلصوا أن العمل المستقل يجب أن يحتل المرتبة الأولى من اهتماماتهم، واجتذبت فتح عدد من عناصر الإخوان المسلمين بعد رفض الأخيرة تأسيس تنظيم خاص لا يبدوا إسلامياً في ظاهره، ويرفع شعار تحرير فلسطين بالكفاح المسلح من الأعضاء الذين انضموا إلى فتح أمثال: سليم الزعنون، صلاح خلف، أسعد الصفاوي، كمال عدوان، محمد يوسف النجار، سعيد المزين، غالب الوزير⁽³⁷⁾.

في أواسط عام 1957 كان عدد من مؤسسي فتح إما تخرج من الجامعة أو هاجر إلى الدول العربية الغنية بالنفط بحثاً عن العمل، والتقى ستة منهم في الكويت، في نهاية السنة، واتفقوا على تأسيس منظمة سرية، فقد انضم إلى ياسر عرفات و خليل الوزير ناشطان فلسطينيان من سوريا هم عادل عبد الكريم وعبد الله الدنان، وناشطان من غزة هما يوسف عميرة وتوفيق شديد، وتألفت منهم أول خلية عام 1958.

صاغ المؤسسون وثيقتين تأسيسيتين "هيكل البناء الثوري" و"بيان الحركة" واتفقوا على الاسم "فتح" في نهاية السنة. ركز هيكل البناء الثوري على نقطتين، الأولى: الوحدة الوطنية في إطار حركة فتح هو بديل للحزبية، والثانية: الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين، ومنع الارتباط بأي حزب، وكان التنظيم يضم كل الاتجاهات تقريباً، حزب البعث، حركة القوميين العرب، الإخوان المسلمين، الذين وجدوا في حركة فتح ضالته، وفي دعوتها للكفاح المسلح هدفهم. وتقدمت الوثيقة الأولى بأوضح وأفضل التعبيرات عن فكر فتح، وعن جذور بنيتها التنظيمية، كما أنها لخصت وجهة نظرها في الإيمان بأن "الحرية تأخذ ولا تعطي"⁽³⁸⁾.

ظل مؤسسو فتح على اتصال برفاقهم السابقين في غزة وسوريا، الأمر الذي ساعدهم على توسيع دائرة الاستقطاب الممكنة، وقد انضم أعضاء جدد إلى المجموعة الأولى في الكويت عام 1959، كان من أبرزهم صلاح خلف، وخالد الحسن الذي استخدم موقعه في دائرة الأشغال العامة الكويتية للحصول على تأشيرات دخول إلى الكويت لأعضاء فتح، وفي تشرين الأول/أكتوبر 1959، وافق

³⁷ يزيد، الصايغ، الكفاح المسلح والبحث عن الدولة، مرجع سابق، ص 146-148.

³⁸ محمود، عباس، صفحات مشرقة من تاريخ الثورة الفلسطينية (شهادات تاريخية)، مرجع سابق، ص 21.

ممثلون للمجموعات المتشابهة في التفكير، والتي تضم ما مجموعه 500 عضو في دول الخليج، على الاندماج، وسعى المؤسسون لتأمين منبر علني لفتح، فقام بتوفيره لهم العضو السابق في الفرع اللبناني لجماعة الإخوان المسلمين، توفيق حوري الذي كان في حيازته ترخيص لمجلة باسم "النداء" فأعيدت تسميتها "نداء الحياة- فلسطيننا"، وبدأت الصدور في بيروت في تشرين الثاني/نوفمبر 1959-1964، وأدت مجلة "فلسطيننا" دوراً حيوياً في تعريف الأعضاء والمجموعات المتشابهة بوجود حركة فتح، ونشر فكرها وعملت كصندوق بريد لها، ونتيجة هذا التعريف أقامت فتح صلات بنحو 40 مجموعة أخرى بحلول عام 1961، وقد أحيا خليل الوزير اتصالاته السابقة في السعودية حيث عمل مدرساً في المحافظات الشرقية عام 1957، وكان له دور حينئذ في توزيع 600 مدرس فلسطيني عينتهم وزارة التربية والتعليم، فقام بتجديد اتصالاته بهم في أثناء زيارة عمل قصيرة سنة 1962، وكان من بين الأعضاء الجدد في حركة فتح أعضاء سابقون في جماعة الإخوان المسلمين، بمن فيهم عبد الفتاح حمود، ماجد أبو شرارة، أحمد قريع، وقد أدى انسحاب سوريا من الوحدة مع مصر في أيلول/سبتمبر 1961، إلى إمداد حركة فتح بأعضاء جدد، مثل فاروق القدومي (أبو اللطف) الذي ترك حزب البعث وانضم إلى فتح.

وكانت الصلة السورية على قدر كبير من الأهمية بالنسبة إلى فتح، لأنها كانت المصدر الرئيسي الثاني الذي يمدّها بالقادة، مثل خالد الحسن، واستوعب فتح أيضاً مجموعة من الطلاب اسمها "العاصفة" لم تعمر طويلاً، وكان عادل عبد الكريم عضواً في هذه المجموعة إلا أنه ما لبث أن انضم إلى الإخوان المسلمين بعد انفضاضها، بينما انضم آخرون من أعضائها إلى حزب البعث، وكانت المجموعة الأكثر نفوذاً هي "عرب فلسطين" التي خرج من صفوفها قادة لاحقون مثل هايل عبد الحميد، وتألّفت هذه المجموعة في البداية من نحو 40 طالباً ثانوياً من مخيم اليرموك للاجئين القريب من دمشق، وازدادت قوتها إلى حد تمكنت معه من المنافسة في انتخابات رابطة الطلبة الفلسطينيين في أواسط الخمسينات، ومن المجموعات التي تنافست معها "شباب الأقصى" وهي مجموعة إسلامية أنشأها هاني الحسن، الشقيق الأصغر لخالد الحسن، وكان هاني الحسن ومحمود عباس الناشط الأكبر سناً الذي ساهم في تأسيس "أبناء فلسطين في الجامعة" في دمشق، واحداً بين

كثيرين من الشباب الفلسطينيين الذين انضموا إلى المجموعات الفلسطينية في سوريا في أوائل الخمسينات والذي أصبح من أهم مؤسسي حركة فتح⁽³⁹⁾.

وفي عام 1954، وعام 1955 كان الغالبية من الفلسطينيين من الطلاب الفلسطينيين في الجامعات، وكان الهدف واحد: "إذا أردنا العمل من أجل فلسطين، فلن نستطيع أن نعمل أو نحقق الهدف دون أن نكون أولاً مدربين، وحتى نكون مدربين، فعلياً أن ندخل الكليات العسكرية السورية، ويجب أن يطبق علينا التجنيد الإجباري، وهذا ما كنا نسعى إليه، وحاولنا الاتصال بكل زعماء سوريا تحت هذا الشعار، لماذا لا تسمحون لنا بالدخول إلى الكليات العسكرية؟ أنتم ترفعون شعار فلسطين، ونحن أبناء فلسطين، نحن الأولى بالاستشهاد من أجل فلسطين، وبقينا نرفع هذا الشعار حتى عام 1956، ففي هذه السنة سمحت الحكومة السورية بدخول الفلسطينيين إلى الكليات العسكرية والحربية والطيران، والبحرية، قدمنا الامتحانات شفهية ونظرية، ونجحت في العسكرية، وكنت الفلسطيني الوحيد، وأحسست بالوحشية، لكن كنت قد اتخذت قراراً، وعلي تنفيذها للنهائية، وبعد مضي أسبوعين قام السوريون بحجة الفحص الطبي بتسريحني من الخدمة العسكرية، عدت للجامعة للدراسة ولكننا كمجموعة بقينا نعمل على مشروع التدريب، وطلب التسليح حتى نهاية عام 1957⁽⁴⁰⁾.

فسحت نهاية عهد الشيشكلي في نيسان/أبريل 1954، المجال لتخفيف القيود المفروضة على النشاط السياسي، وحدث ابتعاد واضح في ولاء الفلسطينيين عن جماعة الإخوان المسلمين، وقد تفاقمت قوة الأحزاب التي تنادي بالقومية العربية - البعث وحركة القوميين العرب - بعد عام 1956، لكن كلاً من تطهير الجيش السوري من الضباط الفلسطينيين، الذي تم بصورة عشوائية في أثناء الوحدة مع مصر خلال 1958-1961، والصعوبات الشديدة التي واجهها الفلسطينيون في التنقل بين (إقليمي) الجمهورية العربية المتحدة الشمالي والجنوبي أدى إلى تلطيخ الصورة البطولية لعبد الناصر، وفي هذا التاريخ كان الأشخاص الذين انضموا إلى فتح في الأعوام القليلة التالية، وشغلوا المناصب القيادية فيها، قد غادروا سوريا للالتحاق بالجامعات أو للعمل في الخارج. في 1957/9/13 توجه محمود عباس إلى قطر، وجد محمود عباس عملاً مديراً لشؤون الموظفين في الإدارة الحكومية

³⁹ يزيد، الصايغ، الكفاح المسلح والبحث عن الدولة، مرجع سابق، ص 149 - 150.

⁴⁰ محمود، عباس، صفحات من تاريخ الثورة الفلسطينية (شهادات تاريخية)، مرجع سابق، ص 16-17.

الأمر الذي أتاح له توظيف الكثيرين من الفلسطينيين مدرسين وموظفين حكوميين، وتعرف في قطر إلى الأعضاء السابقين في جماعة الإخوان المسلمين من غزة، أمثال النجار وعدوان وحمود، كما أن محمود عباس زار غزة بحجة إيجاد موظفين لحكومة قطر، وبهذه الطريقة اتصل بمؤسسي فتح. كان الاتصال بالمجموعات ذات الأفكار المتشابهة مسألة والمحافظة على العضوية مسألة أخرى، فأعضاء فتح كانوا في معظمهم من الطلاب أو العمال المغتربين، وبالتالي كان يتم الاتصال بهم بالمراسلة أو في أثناء إجازاتهم في غزة وسوريا، وظلت فتح في أحسن الأحوال، عبارة عن شبكة من المجموعات والتجمعات المتفرقة حتى سنة 1962، حين منحها اجتماع عقده في الكويت شعوراً بالهدف المشترك، وشهدت حلقة قيادته، ونشأت قيادة مركزية تمحورت حول ياسر عرفات، خليل الوزير، محمود عباس، فاروق القدومي، عادل عبد الكريم، عبد الله الدنان، خالد الحسن، منير سويد، سليم الزعنون، محمود الخالدي، حسام الخطيب، محمود فلاحه، وكان جميع هؤلاء القادة من اللاجئيين، باستثناء فاروق القدومي الذي جاء من الضفة الغربية⁽⁴¹⁾.

أما الذي ميز فتح من غيرها منذ البداية، فهو أن مذهبها كان على عكس مذهب الوحدة العربية في تلك الأيام، كانت مجموعة فتح تعتقد أن قضية فلسطين لا يمكن كسبها إلا من قبل الفلسطينيين أنفسهم، لا من قبل الدول العربية، وبذلك عكست المجموعة ما كان ينادي به خطاب الوحدة العربية التقليدي، كانت فتح ولم تنزل أكبر منظمات المقاومة الجديدة التي أسسها الفلسطينيون في الشتات، وأكثرها شعبية ونفوذاً، وهي مع غيرها من المنظمات تقوم بتحديد السياسة الفلسطينية وطبيعة الكفاح المسلح من أجل تحرير فلسطين وذلك منذ عام 1968⁽⁴²⁾.

1.4.2 عقيدة حركة فتح (فلسطين أولاً)

تبلورت معالم تفكير فتح السياسي عند انصهار هذه التيارات المتباينة في بوتقة واحدة، فكان هدفها النهائي واضحاً: تحرير كل فلسطين، وتدمير الأساسات التي قام عليها "دولة ومجتمع الاحتلال الاستيطاني الصهيوني". هدفت حركة فتح إلى تدمير إسرائيل ككيان اقتصادي وسياسي وعسكري، وإلى إعادة فلسطين إلى وضعها الراسخ في عقول معظم الفلسطينيين، أي وطنهم كما كان قبل 1948. وقد ظهر أوضح تعبير عن الروح التي تسير عليها فتح في وثيقة (هيكل البناء الثوري)،

⁴¹ يزيد، الصايغ، الكفاح المسلح والبحث عن الدولة، مرجع سابق، ص 152 - 153.

⁴² سميح، فرسون، فلسطين والفلسطينيون، مرجع سابق، ص 363.

وكانت القوة الدافعة في فلسفة فتح وفي منظورها العفائدي، بقدر ما كان لديها فلسفة ومنظور، وجودية أساساً. فاستمدت زخمها من الأوضاع المادية والاعتراب النفسي العميق لأغلبية اللاجئين المقتلعين والمنفيين، لا من الأقلية الفلسطينية التي ظلت في موطنها الأصلي بعد انتهاء حرب 1948.

أصرت فتح، عندما وضعت برنامجاً لتحقيق أهدافها، على مبدئين أساسيين هما: الاستقلال المطلق للتنظيم ولصنع القرار الفلسطيني عن الحكومات العربية، وأولوية الكفاح المسلح كوسيلة وحيدة لتحرير فلسطين، وقد شرحت فتح سبب إصرارها على الاستقلالية الفلسطينية من خلال إدانة شاملة للسياسة العربية، فأشارت إلى أن دخول الجيوش العربية إلى فلسطين عام 1948 باء بالفشل، لأن الدول العربية أسقطت من حسابها القوى الفلسطينية الفاعلة في المعركة بتجميدها هذه الفعاليات الثورية المسلحة. وكان يعني ذلك، في نظر فتح، أن القدرة على تأسيس كيان مستقل ذاتياً بهياكله التنظيمية المستقلة تشكل أمراً ضرورياً لتحقيق الانبعاث الوطني. وتبعاً لهذا المنطق تبنت فتح الدعوة إلى إقامة كيان فلسطيني، وأكدت وثيقة (هيكل البناء الثوري) عزم فتح على أن تعلن: قيام الكيان العربي الفلسطيني وتعلن قيادة ثورية تمثل الكيان الذي يتولى زمام المعركة، وأشارت أيضاً إلى أن المجلس الثوري واللجنة المركزية العليا التابعين لفتح سيؤلفان مجلساً وطنياً فلسطينياً على رأس هذا الكيان، وأصبحت مقولة الكيان الفلسطيني أساس برنامج فتح السياسي في أوائل الستينات، إلى جانب الدعوة إلى الوحدة الوطنية⁽⁴³⁾.

عزز الاعتقاد بالسلوك التأمري للحكومات العربية تشديد فتح على "الفلسطينية" "النزوع الفلسطيني"، وكان الوجه الآخر للعملة نفسها الإصرار المطلق على الاستقلال الذاتي سياسياً وتنظيمياً، وكان هذا التشدد في جانب منه ردة على ما رأت فتح أنه تبديد للطاقات الفلسطينية على العمل الحزبي العربي، لكن الأحزاب أثبتت عجزها عن إحداث التغيير، وقامت بدلاً من ذلك بالانقلابات العسكرية والمغامرات. ومن عواقب العمل الحزبي على الفلسطيني أن تنوع الانتماءات الفكرية للفلسطينيين بتنوع الأحزاب العربية، وإلى جانب ذلك تحمل الأحزاب عقائد ثابتة وتشكل أدوات للاستيلاء على الدولة. وبما أن الفلسطينيين ليس لهم دولة فلا معنى للعمل الحزبي بالنسبة إليهم، وبالعكس موقف فتح من العمل الحزبي الريب العميق تجاه الأحزاب والمتأصل في الفكر الإسلامي، لكنه ينبع أيضاً

⁴³ يزيد، الصايغ، الكفاح المسلح والبحث عن الدولة، مرجع سابق، ص 154-153.

من ذكرى التمزيق السياسي للمجتمع الفلسطيني قبل عام 1948. قام مؤسسو فتح عن وعي بمحاكاة الإخوان المسلمين من خلال إصرارهم على أنهم قد أسسوا حركة لا حزبياً، فالحركة تعني: العمل المستمر البعيد عن التنظيم الجامد فهي حركة شعب وليست حركة تنظيم، كما صورت فتح نفسها أنها حركة وطنية، وليست واحدة من عدة قوى سياسية، وذلك من خلال دعوتها لجميع الفلسطينيين، على اختلاف انتماءاتهم العقائدية، إلى التخلي عن ارتباطاتهم الحزبية والانضمام إلى الطلائع الثورية المسلحة. كانت فكرتا "الثورة" و"الكفاح المسلح" التوأم ما يجمع بين مختلف الاتجاهات الفكرية داخل فتح، وبحسب هذا المنظور، لم تكن الثورة نتيجة عقيدة سياسية أو فلسفة اجتماعية خاصة، وإنما كانت تعبيراً عن الإرادة المستقلة وإثباتاً للوجود واعتقدت فتح أن وضع تحرير فلسطين في قمة الأولويات العربية سيمكنها من أن تقلب العلاقة السلبية بين الفلسطينيين والدول العربية، ويحررهم من القيود السياسية العربية، كان العمل العسكري الوسيلة الجوهرية لتعبئة الشعب الفلسطيني، ولتأكيد هويته وتحقيق وحدته الوطنية، وفرض استقلاله الذاتي على الحكومات العربية.

نظر مؤسسو فتح إلى العنف الثوري على أنه محرض سيمكن من إنهاء إذعان اللاجئين للأمر الواقع، وقد أخذوا هذه الفكرة مباشرة عن كتابات فرانز فانون بشأن الثورة الجزائرية، حيث شدد على التأثير "التنظيمي" أو "التطهيري" للعنف في نفسية المضطهدين، وكانت ممارسة الكفاح المسلح أيضاً السبيل إلى الوحدة الوطنية، والطريق الوحيد لإيجاد كوادر مجربة في غياب عقيدة ترشدهم، وكان التأثير النفسي للعنف ملازماً في عقول مؤسسي فتح، لفكرة قبض الفلسطينيين على مصيرهم بأيديهم، وقد شبه خليل الوزير هذه الدينامية بالنضال الذي خاضه الأمريكيين السود، وحركة الماو ماو في كينيا، والجزائريون⁴⁴.

5.2 تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية

بعد مخاض عسير وبعد انتظار طويل عاشته الساحة الفلسطينية في مختلف بقاع الشتات وأرض الوطن، انبثقت منظمة التحرير الفلسطينية في العام 1964، تلبية لنداءات ورغبات جامعة ومكبوتة لمستها أنظمة العرب وأحست بها كمن يحس بالجمر المتأجج تحت الرماد، كانت منظمة التحرير

⁴⁴يزيد، الصايغ، الكفاح المسلح والبحث عن الدولة، مرجع سابق، ص 156-157.

الفلسطينية وليدة الأنظمة العربية، ولم تكن تلك الحاجة تلبي رغبات الجماهير، لقناعة تلك الجماهير، أن ما تمخضت عنه الأنظمة لا بد أن يكون على شاكلتها يحمل في بطنه جينات عجزها، ويرث عنها كل مواصفاتها وكل أسباب وهنها. ومع ذلك فقد رأى فيها الفلسطينيون عنوانهم الذي افتقدوه منذ النكبة، ويافطة يصطفون تحتها بعد أن تعددت اليافطات واختلفت وتناقضت، ووطناً معنوياً بعد أن عز وطن الواقع⁴⁵.

إن منظمة التحرير ظلمت في كثير من الأحيان، أولاً لكونها منبثقة عن الجامعة العربية، فنظر إليها على أنها جزء من الأنظمة العربية، ولكن الحقيقة تختلف تماماً، الأنظمة العربية عام 1963 و عام 1964 بدأت تشعر أن هناك إرهابات فلسطينية تعمل تحت الأرض، وكانوا يخشون أن تنفجر هذه الإرهابات ذات يوم، فتؤثر على أنظمتهم، ثم نشرت مجلة "روز اليوسف" بأن هناك 34 تنظيمًا فلسطينياً، معظمها أو أغلبها موجودة في الكويت، وأهمها حركة فتح، المرتبطة بالإخوان المسلمين، وهذه الصبغة التي ارتبطت بحركة فتح منذ البداية، لأن معظم قياداتها البارزة مروا على حركة الإخوان المسلمين وتركوها مثل أبو إياد، أبو جهاد، أو يوسف النجار، لكن عندما ظهرت حركة فتح، ظلت هذه الصبغة مرتبطة بهم. استدعت الدول العربية أحمد الشقيري وسألته، نريد أن نعرف ماذا يريد الفلسطينيون؟ فقال: هذا ما أخبر به محمود عباس وحركة فتح فيما بعد، لقد ذهبت مندوباً للجامعة العربية لفلسطين، وعدت مندوباً لفلسطين في الجامعة العربية، وهذه النقطة الحساسة والمهمة، فهو لم يذهب ليقدم تقريراً للجامعة العربية عن الفلسطينيين، وإنما ذهب ليتكلم باسم الفلسطينيين في الجامعة العربية، ومنذ ذلك التاريخ أصبح عضواً في الجامعة العربية⁽⁴⁶⁾.

يرجع الفضل في اتخاذ خطوات عملية لتأسيس هيئة وطنية فلسطينية إلى إصرار أحمد الشقيري، وهو إصرار أدى الطموح الشخصي دوراً فيه أيضاً، امتهن المحاماة وشغل لفترة قصيرة منصب وزير في حكومة عموم فلسطين عام 1948، وعمل فيما بعد مستشاراً قانونياً للحكومة السعودية إلى أن تخلي عنه الأمير فيصل، وزير الخارجية وولي العهد، في آب/أغسطس 1963، وقد تزامن هذا مع إعلان حل حكومة عموم فلسطين رسمياً عقب وفاة أحمد حلمي عبد الباقي، وبناءً على طلب عبد الناصر، تم اختيار الشقيري لتمثيل فلسطين في مجلس جامعة الدول العربية، وفي أول اجتماع

⁴⁵ محمود، عباس، طريق أوسلو، موقع الاتفاق يروي الأسرار الحقيقية للمفاوضات، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط1،

1994، ص23.

⁴⁶ محمود، عباس، صفحات مشرقة من تاريخ الثورة الفلسطينية، (شهادات تاريخية)، مرجع سابق، ص24-25.

لل قمة العربية في القاهرة في كانون الثاني/يناير 1964، اتخذ قرارين رئيسيين: إنشاء قيادة عربية موحدة بإشراف مصر، مهمتها تنسيق الاستعدادات العسكرية العربية لحرب مقبلة لا محالة مع إسرائيل، تنفيذ عملية تحويل مضادة لروافد نهر الأردن تمنع استفادة إسرائيل منها⁽⁴⁷⁾.

تقدمت مصر باقتراح إنشاء كيان فلسطيني مستقل باسم منظمة التحرير الفلسطينية، وكان الاسم إلى جانب تجسيده للكيان يحمل إشارة لها قيمتها في عصر تعددت فيه حركات تحرر الشعوب، خصوصاً في أفريقيا، وكان الرجل الذي وقع عليه اختيار القمة لتلك المهمة مرشح شبه إجماع على اتصال بكل الأطراف المؤثرة عربياً: مصر، السعودية وسوريا، هو أحمد الشقيري، بحكم أنه كان شخصية معروفة دولياً، حيث كان سفيراً لسوريا والسعودية لدى الأمم المتحدة⁽⁴⁸⁾.

واكتفى رؤساء الدول العربية في القمة أخيراً، بعد مناقشات طويلة، بإعطاء تعليمات مبهمة بأن يستمر أحمد الشقيري ممثل فلسطين لدى جامعة الدول العربية في اتصالاته بالدول الأعضاء والشعب الفلسطيني بغية الوصول إلى إقامة القواعد السليمة لتنظيم الشعب الفلسطيني وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير مصيره. إن القرار الذي اتخذته القمة العربية بان التنظيم الفلسطيني كان ضعيفاً، إلا أن هذا القرار سمح له باتخاذ المزيد من الخطوات، فبعد مرور بضعة أسابيع على المؤتمر، قدم الشقيري لعبد الناصر مسودة مشروع لمنظمة فلسطينية، تتضمن ميثاقاً وطنياً ونظماً داخلياً وتوجيهات تتعلق بالنشاط السياسي والعسكري والمالي، ووافق الرئيس المصري على الفكرة ومنحه أن يزور حرس الحدود الفلسطيني في غزة، كما فوض إليه وضع مشروع قانون تجنيد فلسطيني، وكان واضحاً أن الشقيري تخطى ما خوله إياه مؤتمر القمة. أصر الشقيري على أن هذا الكيان وجد في فلسطين قبل عام 1948، متمثلاً في الأحزاب والمنظمات واللجان القومية، وأن التحدي الذي يواجهه الفلسطينيون هو كيفية منح هذا الكيان معنى ومضموناً وسط البيئة العربية المعقدة، وكشف عن استمرار ازدواجية الهوية الوطنية الفلسطينية وعن التوتر الحتمي بين الاتجاه العقلاني الحيني الفلسطيني وبين مصالح الدول العربية⁽⁴⁹⁾.

⁴⁷ يزيد، الصايغ، الكفاح المسلح والبحث عن الدولة، مرجع سابق، ص164.

⁴⁸ محمد، حسنين هيكل، المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، سلام الأوهام، دار الشروق، القاهرة، ط5، 1996، ص16.

⁴⁹ يزيد، الصايغ، الكفاح المسلح والبحث عن الدولة، مرجع سابق، ص165.

حدد الشقيري هدف الكيان الفلسطيني في أول خطاب له أمام مجلس الجامعة العربية بأن: "يصبح أهل فلسطين قوة وطنية عاملة، تسهم في تحرير فلسطين، وحمل السلاح لتحريرها بأيدي القادرين على حمل السلاح من أبناء فلسطين"، وأن الكيان الفلسطيني، ليس حكومة ويهدف إلى تعبئة طاقات الشعب الفلسطيني عسكرياً وسياسياً وإعلامياً. وبادر الشقيري بتسهيلات من الحكومة المصرية إلى زيارة عمان ودمشق وبيروت وقطاع غزة، كما ألف وفداً فلسطينياً من ثمانية عشر شخصاً لحضور دورة الأمم المتحدة عام 1963⁽⁵⁰⁾.

1.5.2 إعلان تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية

شكل الشقيري لجنة تحضيرية لعقد المؤتمر الوطني الفلسطيني الأول، اختارت أعضائها لجان تحضيرية، عينها وأشرف عليها الشقيري نفسه في كل بلد يتجمع فيه الفلسطينيون. وانعقد المؤتمر في 28/ مايو 1964 في القدس، بحضور الملك حسين، ومشاركة وزراء خارجية كل الدول العربية عدا المملكة العربية السعودية التي قاطعت المؤتمر. وصدر عن المؤتمر إعلان قيام منظمة التحرير الفلسطينية (م.ت.ف)، واعتماد ميثاقها القومي، والمصادقة على النظام الأساسي واللوائح الداخلية للمجلس الوطني، وانتخب عبد المجيد شومان رئيساً لمجلس إدارة الصندوق القومي وعضواً في اللجنة التنفيذية. وأصدر المؤتمر عدة قرارات، عسكرية وسياسية ومالية وإعلامية. وألّفت لجنة تحضيرية برئاسة أحمد الشقيري، اختارت 419 عضواً، يشكلون أول مجلس وطني فلسطيني. واعتبر هذا الجسم النيابي نفسه أعلى سلطة في (م.ت.ف)، له الحق في التشريع وإقرار الميزانيات ورسم البيانات العامة التي تقوم بتنفيذها لجنة تنفيذية منتخبة سنوياً، وكان كل عضو من أعضاء اللجنة التنفيذية مسؤولاً عن حقيبة "وزارية" معينة، وتم اختيار أحمد الشقيري أول رئيس للجنة التنفيذية⁽⁵¹⁾.

كان طموح مؤسسي "م.ت.ف" العقلاني واضحاً تماماً مثلما كان تصورهم لهوية فلسطينية مميزة وسط الهوية القومية العربية الأوسع، فقد نصت المادة الأولى من ميثاق "م.ت.ف"، الذي سمي

⁵⁰ الصفحة الإلكترونية لوكالة وفا، للأنباء والمعلومات. www.wafa.ps

⁵¹ الصفحة الإلكترونية لوكالة وفا، للأنباء والمعلومات. www.wafa.ps

الميثاق القومي لا الميثاق الوطني، على أن فلسطين وطن عربي تجمعها روابط القومية العربية التي تؤلف معها الوطن العربي الكبير. وعرفت المادتان الثانية والخامسة حدود فلسطين بأنها تلك التي كانت قائمة في عهد الانتداب البريطاني، وتكون ضمنها الشخصية الفلسطينية صفة أصيلة لازمة لا تزول وهي تنتقل من الآباء إلى الأبناء، وعلل الميثاق أنه إذا كان الشعب الفلسطيني يخدم قضية الوحدة العربية فإن مهمته المباشرة والفورية هي أن: يحافظ على شخصيته الفلسطينية ومقوماتها، وأن ينمي الوعي بوجودها وأن يناهض أياً من المشروعات التي من شأنها إذابتها أو إضعافه، وتم التشديد على الشخصية الوطنية الفلسطينية أيضاً عبر الاشتراط أن جميع المذاهب العقائدية سياسية كانت أو اجتماعية أو اقتصادية لا تشغل أهل فلسطين عن واجبهم الأول في تحرير وطنهم، وبعد التحرير فقط يمكن للفلسطينيين أن يختاروا النظم الاقتصادية أو الاجتماعية التي سيتبنونها⁽⁵²⁾.

تمكن الشقيري من إنشاء مؤسسة وطنية، على الرغم من كل عيوبها حصلت على الاعتراف العربي الرسمي بها في مؤتمر القمة الثاني في أيلول/سبتمبر 1964، وبهذا أصبحت منظمة التحرير الفلسطينية، حقيقة واقعية تمثل الشعب الفلسطيني، ولأول مرة أصبح لدى الفلسطينيين مرجعية سياسية، لكن انجازه تعرض لانتقادات شديدة من بعض الجهات، فقد عارض حزب التحرير الإسلامي وحركة القوميين العرب وحركة فتح، "م.ت.ف" بأنها ليست ممثلاً حقيقياً للشعب الفلسطيني، وأن تبعيتها للدول العربية ستمنعها من محاربة إسرائيل⁽⁵³⁾.

كان هناك اتجاهات منفصلان في المساعي السياسية في أواسط الفلسطينيين بحلول عقد الستينات الماضي: أولهما اتجاه منظمة التحرير الفلسطينية، وكان علنياً ونخبوياً ويسير وفق الخط الذي تتخذه الدول العربية ولا سيما مصر، وتضفي الجامعة العربية الشرعية عليه، والثاني اتجاه حركة فتح والمجموعات الأخرى، وكان سرياً، متخفياً، وشعبوياً وراдикаلياً ويعبر عن آراء الناشطين فيها، كان هذان الاتجاهان وأصحابهما يتنافسان إحداهما مع الآخر، وكذلك مع وجهاء الضفة العربية وقطاع غزة، وأن بدرجة أقل وذلك من أجل الحصول على الدعم من الشعب الفلسطيني، في أوائل تلك الفترة أعلنت اتحادات فلسطينية متعددة وغيرها من المنظمات الاجتماعية السياسية عن تأييدها الرسمي لمنظمة التحرير الفلسطينية، فكسبت هذه المنظمة بذلك شرعية بنظر الكثيرين من

⁵² يزيد، الصابغ، الكفاح المسلح والبحث عن الدولة، مرجع سابق، ص 167.

⁵³ محمود، عباس، صفحات مشرقة من تاريخ الثورة الفلسطينية، مرجع سابق، ص 26.

الفلسطينيين على الرغم من عدم وجود التأييد من الحركة السياسية السرية، وهكذا أصبحت تلك المنظمات الحديثة والمهنية التي كانت تتنامى حجماً وأفقاً من الأمكنة المهمة للمنافسة السياسية وبين الحركتين، ومنها الاتحاد العام للطلبة الفلسطينيين، والاتحاد العام للعمال الفلسطينيين، والاتحاد العام للمرأة الفلسطينية، ومنظمة الخدمات الصحية التي تدعى جمعية الهلال الأحمر الفلسطينية، أن التيار الراديكالي السري الذي بات يعرف بمجموعه باسم حركة المقاومة الفلسطينية، كان تياراً مستقلاً عن منظمة التحرير ويتمركز في أوساط الشعب والمؤسسات المدنية التي كانت آخذة بالظهور آنذاك والمنتشرة هنا وهناك، ولكنها مترابطة مع بعضها البعض. كانت حركة المقاومة ترى خلافاً لما كانت تراه الدول العربية القومية، أن تحرير فلسطين لا يتم بحرب تقليدية ضد إسرائيل، وإنما بكفاح طويل الأمد على شكل حرب العصابات والحرب الشعبية، وقد حددت فتح لذلك أربع مراحل هي: مرحلة عمليات تقتصر على الكر والفر، ومرحلة المواجهات المحدودة، ومرحلة السيطرة المؤقتة للمناطق المحررة، وأخيراً مرحلة السيطرة الدائمة للمناطق المحررة، ولكي يكتب لهذه الإستراتيجية النجاح فإن الفدائيون يحتاجون إلى قواعد مضمونة شبيهة بالقواعد التي كانت في فيتنام الشمالية، وفي هانوي لتوفير الإسناد لهم، وعلى هذا قامت فتح بشن أول هجوم فدائي في الأول من كانون الثاني/يناير 1965، ثم أصبح هذا اليوم من كل عام هو تاريخ الاحتفال الذي تقيمه منظمة التحرير الفلسطينية لإحياء ذكرى انطلاق الثورة الفلسطينية المعاصرة، وهذا هو الاسم الذي صارت حركة المقاومة تطلقه على نفسها⁽⁵⁴⁾.

"القيادة عندما بدأت عملها لم يكن أمامها خيار إلا خيار الكفاح المسلح، (كان محمود عباس واحداً من الذين اتخذوا قرار تحرير فلسطين من خلال الكفاح المسلح في عام 1964)، لأنه كانت كل أبواب العالم مقفلة أمامنا، ولا يوجد من يقف إلى جانبنا، ولا يوجد من يدعمنا، ولا يوجد من ينظر إلى قضيتنا، وقضيتنا في ذلك الوقت، كانت عبارة عن قضية لاجئون يحتاجون إلى مساعدات إنسانية، وأما بالنسبة إلى باقي القضايا، هي قضية حدود بين سوريا وإسرائيل، بين الأردن وإسرائيل، بين مصر وإسرائيل، بمعنى أنه لا يوجد شيء اسمه الشعب الفلسطيني، ولا يوجد شيء اسمه القضية الفلسطينية، ومن هنا انطلقنا".⁽⁵⁵⁾

⁵⁴ . سميح، فرسون، فلسطين والفلسطينيون، مرجع سابق، ص365-366.

⁵⁵ مقابلة مع الرئيس الفلسطيني محمود عباس (أبو مازن)، فلسطين، رام الله، مكتب الرئيس، 2011/7/7.

في عام 1963 انتقل ياسر عرفات من الكويت إلى دمشق ليعمل على تطوير التنظيم على خط المواجهة في لبنان وسوريا والأردن وفلسطين، خاصة في ظل الدعم السوري الواضح آنذاك لحركة فتح، وبعد لقاءات طويلة وحوارات، واستعدادات، واستقالات نتيجة خلاف بين تيار فتح الرافض للانطلاقة المسلحة، ممن سمووا بالعقلانيين الراغبين بتأجيلها لحين الجهوزية، وبين تيار المجانين الذي مثله ياسر عرفات، وكان الصوت الفاصل بين التيارين البالغ عددهم 9 أعضاء صوت محمود عباس الذي أعطى تيار المجانين الإيعاز ببدء الكفاح المسلح في 1/1/1965 وبدأت وقررت قيادة فتح الموسعة باسم قوات العاصفة بإطلاق الرصاصة الأولى بالعملية الشهيرة التي تم فيها تفجير شبكة مياه إسرائيلية تحت اسم "نفق عيلبون"، ثم تواصلت عمليات حركة فتح تتصاعد منذ عام 1965 مسببة إزعاجاً شديداً لإسرائيل والدول العربية التي لم تجد معظمها مناصاً فيما بعد من الاعتراف بها، وكان البيان السياسي الأول صدر في 28/1/1965 موضحاً أن المخططات السياسية والعسكرية لحركة فتح لا تتعارض مع المخططات الرسمية الفلسطينية والعربية، وأكدت الحركة لاحقاً على ضرورة التعبئة العسكرية واستشارة الجماهير العربية⁽⁵⁶⁾.

في عام 1966/1965 "صادفت حركة فتح الكثير من المتاعب، ولم تحقق الكثير بشأن تثبيت الثورة، لأنها كانت ثورة المستحيل، وكانت تجذب ضد التيار، وكان الرأي العام في العالم العربي ينتظر الدول العربية أن تفعل شيء، ومنهم من كان ينتظر جمال عبد الناصر يقوم بهذا العمل، وعند انطلاقة فتح بالكفاح المسلح تفاجئ الجميع، والأحزاب العربية رفضت الفكرة كاملة، خاصة الأحزاب القومية، بحجة أنها توريط للأنظمة العربية، وحركة القوميين العرب كانت ترفض الحديث عن الكفاح المسلح ومن هنا بدأت المسؤولية كبيرة على حركة فتح، فإن الحديث عن الكفاح المسلح شيء، والعمل الوطني شيء وأن تمارسه شيء آخر (بين النظرية والتطبيق) فعند الممارسة لا يمكن أن تغفل الرأي العام، والضحايا التي تسقط، ويصبح هناك دولا لا تستطيع أن تتحمل المسؤولية، وملاحق ومطارد من قبل تلك الدول".⁽⁵⁷⁾

⁵⁶ محمد، اثنتية، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الفلسطينية، مرجع سابق، ص250.

⁵⁷ محمود ، عباس، صفحات مشرفة من تاريخ الثورة الفلسطينية، مرجع سابق، ص38.

6.2 حرب حزيران عام 1967

استمرت المنظمات العسكرية الفلسطينية في التكاثر، مع تباين واضح في توجهها ومستويات أدائها، إلى أن وقعت حرب حزيران عام 1967 (النكسة) بما يسمى أيضاً (حرب الأيام الستة) التي شنتها إسرائيل ضد ثلاث جبهات عربية في آن واحد، هي الجبهة المصرية بما في ذلك قطاع غزة الذي كانت تحت الإدارة المصرية، والأردنية (الضفة الغربية التي اعتبرتها جامعة الدول العربية وديعة لدى الأردن)، والسورية، وقد أسفرت هذه الحرب عن استيلاء إسرائيل على ما لم تطله يدها في عام 1948 من أرض فلسطينية (قطاع غزة والضفة الغربية) أو عربية (صحراء سيناء المصرية، وقسم من هضبة الجولان السورية، وأراضٍ أردنية، ولم يمضي شهران على هذه الهزيمة التي لحقت بالجيش العربي الثلاثة، حتى باشرت فتح في الإعداد لانطلاقها الثانية، وذلك ابتداءً من أول/أيلول 1967، وشرعت تدرّب أعداداً كبيرة من الشباب الفلسطيني، والتحقوا بمعسكرات التدريب في الجزائر وسوريا، وفي تلك اللحظات التقط جمال عبد الناصر فكرة دعم حركة فتح، معتبراً الثورة الفلسطينية التي أطلقت هذه الحركة شرارتها ظاهرة ثورية إيجابية تسهم في رفع معنويات الأمة العربية، وتستبدل الهزيمة، بل إنه اعتبر الثورة الفلسطينية المعاصرة، (التي وجدت لتبقى بأنها أنبل ظاهرة في التاريخ العربي الحديث)، وأضاف عليها عرفات بقوله (التي وجدت لتبقى وتنتصر)⁽⁵⁸⁾.

في ذلك الوقت كانت منظمة التحرير الفلسطينية تواجه أزمة داخلية سببها تمزقات العمل الفلسطيني في الظروف المستجدة بعد عام 1967، فقد انقسمت اللجنة التنفيذية للمنظمة إلى جناحين: أولهما جناح أحمد الشقيري الذي يرى أن تستمر منظمة التحرير الفلسطينية في عملها كما تعودت عليه في الظروف السابقة، تاركة للدول العربية مهمة إزالة آثار العدوان أولاً، وجناح آخر يرى ضرورة تعبئة العمل الفلسطيني، وحقنه بجرعة من الثورة المسلحة، تسمح له بالمشاركة في القتال المسلح ضد إسرائيل. ووصل الخلاف في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية إلى درجة الأزمة وجرى تبادل اتهامات شديدة بينها أن (الشقيري لم يعمل على تطوير المنظمة ثورياً" ثم إنه "نسب إلى المنظمة عمليات عسكرية قام بها الفدائيون في الأرض المحتلة دون أن تكون للمنظمة علاقة

⁵⁸ أحمد صخر، بيسسو، منظمة التحرير الفلسطينية بين مراحل الكفاح ودروب التسوية، مركز صخر حيش للدراسات والتوثيق، ط1، فلسطين، 2010، ص37.

بها"، كما أنه "يمارس سياسة تتسم بالتسلط الفردي معتبراً نفسه رئيس دولة أكثر منه رئيس منظمة تعمل للتحريير". إن الخلاف انفجر أثناء دورة للمؤتمر الوطني الفلسطيني عقد في مبنى الجامعة العربية في القاهرة في شهر ديسمبر 1967. وبرغم كل المحاولات التي قام بها أحمد الشقيري لاحتواء الأزمة، فإنه اضطر إلى تقديم استقالته يوم 24 ديسمبر 1967، وكان نصها: "أقدم استقالتي إلى الشعب الفلسطيني، الشعب الأسير الشريد المهاجر الطريد. وأقدم استقالتي كذلك إلي الفدائيين الأبطال الذين يخوضون في هذه الأيام غمرات النضال علي أرض الوطن الحبيب. وأبتهل إلي الله العلي القدير أن يحفظ شعب فلسطين ويحفظ قضيته، وأن يصون نضاله ويصون منظمته.. والحمد لله أولاً وأخيراً." (59)

أما على المستوى السياسي فقد شهد اليوم الذي شنت فيه إسرائيل عدوانها عام 1967 انعقاد جلسة طارئة لمجلس الأمن الدولي، وشهدت الفترة اللاحقة العديد من المساعي السياسية للتوصل إلى تسوية في الشرق الأوسط/ بدأت بقمة غلاسبرو التي انعقدت في 17/6/1967، بين رئيس الوزراء السوفييتي اليكسي والرئيس الأمريكي ليندون جونسون واقترح الرئيس الأمريكي جونسون مشروعاً لإقرار السلام يتألف من خمس نقاط، ثم توالى وتعددت المشاريع التي تقدمت بها عدة دول وجهات أخرى، مثل المشروع الروماني، والمشروع الألباني، والمشروع النيجيري، وقدمت مجموعة دول عدم الانحياز مشروعاً آخر للجمعية العامة للأمم المتحدة، وتقدمت 20 دولة من أمريكا اللاتينية بمشروع قرار إلى الجمعية العامة، وطرح بيغال ألون وزير خارجية إسرائيل آنذاك، على حكومته المشروع الذي عرف باسم مشروع ألون، وتقدمت باكستان بمشروع قرار للجمعية العامة، لكن أياً من هذه المشاريع لم يكتب له النجاح، ولم يتحول إلى قرار جديد للأمم المتحدة. ونتيجة لإخفاق المجتمع الدولي في الاتفاق على أي من كل هذه المشاريع، تقرر تحويل القضية مرة أخرى إلى مجلس الأمن الذي أقر بالإجماع يوم 22/11/1967 مشروع القرار الذي مدحته بريطانيا، وهو القرار الذائع الصيت رقم "242" (60).

بعد صدور القرار رقم "242" بعد حرب عام 1967، نحن لم نتعامل مع هذا القرار، والسبب ليس لأننا كنا مقفلين بذلك الوقت، ولكن بسبب أن عقولنا متفتحة، ونعلم بالخلاصة، سواء انتصرت أم

⁵⁹ محمد، حسنين هيكل، المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، مرجع سابق، ص 20.

⁶⁰ محمد، اثنتية، موسوعة المصطلحات والمفاهيم السياسية، مرجع سابق، ص 213.

انهزمت يجب أن تجلس على الطاولة، ولكن القرار لم يتوجه لنا، وإنما تحدثت عن الدول العربية، وعن العلاقات العربية، وعن الحدود العربية مع إسرائيل، ولكن نحن لم نلتفت إليه.⁽⁶¹⁾

7.2 معركة الكرامة 1968

كانت حرب عام 1967 بالنسبة للفلسطينيين قد رجحت الكفة في ميزان القوى لصالح المنظمات الفدائية التابعة لحركة المقاومة، و ضد منظمة التحرير النخبوية التي لحق بها الأذى لتضامنها مع الدول العربية المهزومة، كذلك أمالت الحرب كفة الميزان ضد وجهاء الضفة الغربية وقطاع غزة، وكانوا يتنافسون فيما بينهم لتمثيل بعض الفلسطينيين أو للتحدث باسمهم ثم فقدوا نفوذهم بعد أن خضعوا للاحتلال الإسرائيلي، وكان الوطن العربي يترنح تحت وقع الهزيمة، وخيم عليه إحساس بالعجز والفشل، وقد خلف ذلك فراغاً سياسياً في المنطقة أتاح الفرصة للمجموعات الفدائية لكي تمضي وباستقلالية قدماً، وأصبحت من اللاعبين المستقلين في الساحات الفلسطينية والعربية والشرق أوسطية. وفي أعقاب هزيمة عام 1967، لم تستطع البلدان العربية القومية التي تعرضت للهزيمة ودمرت عسكرياً أن تقوم بأي نوع من أنواع المقاومة للاحتلال الإسرائيلي، الفدائيون الفلسطينيون وحدهم كان لهم من الإقدام والإرادة ما جعلهم يشنون هجمات فدائية ضد القوات الإسرائيلية التي تفوقهم كثيراً عدة وعدداً، كما أنهم حاولوا إنشاء خلايا سرية وقواعد لهم في الضفة الغربية في مسعى للبدء بهجمات فدائية ففي داخل المناطق المحتلة، جرى تهريب الأفراد والأسلحة إلى الضفة الغربية، ونشطت بعض الجماعات، ولكن اكتشفت السلطات الإسرائيلية كافة خلايا التنظيم وزجت بأعضائها في السجون، وفي خلال أسابيع انهارت الشبكة بأسرها. والفشل داخل الضفة الغربية يعود إلى الافتقار للأعداد السياسي والعسكري والتنظيمي للفدائيين هناك، وأدى الإخفاق الذي حصل في الضفة الغربية إلى إجبار الفدائيين المقاتلين على الانسحاب إلى قواعد آمنة تقع عند نهر الأردن، فأتاح لهم ذلك شن هجماتهم على القوات الإسرائيلية ومنشأتها من تلك القواعد الكائنة في الأردن، وارتفع عدد الحوادث الحدودية بين الأردن وإسرائيل.⁽⁶²⁾

⁶¹ مقابلة مع الرئيس الفلسطيني محمود عباس (أبو مازن)، فلسطين، رام الله، 2011.

⁶² سميح، فرسون، فلسطين والفلسطينيون، مرجع سابق، ص 370-371.

في 24 آذار/مارس 1968 قررت إسرائيل تنفيذ قرارها القاضي بمهاجمة قرية الكرامة التي كانت قاعدة للفدائيين الفلسطينيين، وتدمير حصن الفدائيين العسكري، فأطلقت طائراتها، ودفعت دباباتها، وفتحت نيران مدافعها، كان الإسرائيليون مصممون على إنهاء قوة الفدائيين وكان ميزان القوة العسكرية يميل إلى صالحهم، وبدلاً من انسحاب الفدائيين، من وجه الهجمة الإسرائيلية، وأغلبهم من فدائيي فتح، قد ثبتوا وقاتلوا قتالاً بطولياً ضد القوة الإسرائيلية المتفوقة، وقد ألهم قتالهم هذا القوات الأردنية النظامية المنتشرة في التلال المجاورة، فانضمت إليهم في المعركة، وكبدوا معاً الإسرائيليين خسائر كثيرة، اضطرتهم للتراجع وراء خطوط وقف إطلاق النار في الضفة الغربية المحتلة. كان النصر في الكرامة حدثاً دولياً غطته جميع وسائل الإعلام على امتداد العالم، وكان لذلك النصر أن يزود الفدائيين بقوة دفع مكنتها من النمو والانتساع ومن تسلم قيادة منظمة التحرير الفلسطينية، الذي أخذ حينها ينتشر في كل أنحاء العالم، وبدأ الشباب العربي والقوى السياسية العربية، يجدون فيها ما يستحق كل الدعم، وكل التأثير وفيما كانت الحرب العربية - الإسرائيلية عام 1967 نقطة تحول في التاريخ السياسي المعاصر للصراع العربي - الإسرائيلي، فإن معركة الكرامة التي ألهمت الجميع كانت نقطة تحول أخرى مغايرة أتاحت للمنظمات الفدائية الثورية الراديكالية أن تظهر في العلن وتتطرق سياسياً، وتعيد النظر في طبيعة الصراع الفلسطيني الإسرائيلي وفي أساليب معالجته.⁽⁶³⁾

8.2 سيطرة الفصائل على منظمة التحرير الفلسطينية

كان من النتائج الرئيسية لظهور الفدائيين وشعبيتهم أنهم جعلوا من منظمة التحرير الفلسطينية منظمة راديكالية، فقد استقال الشقيري من رئاسة المنظمة عام 1968، وحل محله بالوكالة يحيى حمودة. وفي اجتماع المجلس الوطني الفلسطيني الذي عقد في تموز/يوليو 1968 (الدولة الرابعة) في القاهرة، نجح ممثلوا الفصائل الفدائية بإصدار تعديل لميثاق المنظمة (الميثاق القومي) الصادر عام 1964 من شأنه أن يجعل الميثاق منسجماً مع آرائهم الثورية الجديدة، ألا وهو تحرير فلسطين من خلال حزب الشعب (المواد من 8-10)، وغدت المنظمة مستقلة إلى حد كبير عن السيطرة المباشرة من أي حكومة عربية، وقد أكد الميثاق المعدل - الذي كان يسمى الميثاق القومي وأصبح يسمى الميثاق الوطني - على هذا الاستقلال في المادة 28 منه، التي تقول: "أن الشعب العربي

⁶³ أحمد صخر، بيسيسو، منظمة التحرير الفلسطينية بين مراحل الكفاح ودروب التسوية، مرجع سابق، ص 39-40.

الفلسطيني يصرّ على أصالة ثورته الوطنية واستقلاله، ويرفض أي شكل من أشكال التدخل والوصاية والتبعية". كما أن المادة 26 من الميثاق الوطني تقول "إن منظمة التحرير الفلسطينية تمثل قوى الثورة الفلسطينية هي المسئولة عن حركة الشعب العربي الفلسطيني في كفاحه لاسترجاع وطنه وتحريره وإعادة حق تقرير المصير إليه وممارسة هذا الحق في وطنه. إن هذه المسؤولية تشكل كافة الأمور العسكرية والسياسية والمالية وغيرها التي تتطلبها القضية الفلسطينية في المجالين العربي والدولي.⁽⁶⁴⁾

وفي مطلع شباط/فبراير من العام 1969، عقد المجلس الوطني الفلسطيني دورته الخامسة في القاهرة، وبموجب قرارات هذه الدورة تسلمت منظمات المقاومة قيادة منظمة التحرير الفلسطينية، وفاز الفدائيون رسمياً بالسيطرة على المنظمة فورثت بذلك من جديد الشرعية الرسمية عن الجامعة العربية، وانتخبت أعضاء المجلس لجنة تنفيذية جديدة، انتخبت بدورها وفي أول اجتماع عقده عقب انتهاء أعمال دورة المجلس الوطني، ياسر عرفات رئيساً لها وقائداً عاماً لقوات الثورة الفلسطينية، ليخلف يحيى حمودة الذي كانت اللجنة التنفيذية السابقة قد انتخبته لشغل منصب رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية⁽⁶⁵⁾.

جرى نقاش داخلي في أوساط المعنيين بشأن إذا كان ينبغي لمنظمة التحرير أن تكون مجموعة واحدة من بين مجموعات متعددة أخرى قائمة أو أن تكون المنظمة هي الممثلة للجميع، فسمح ذلك النقاش لصالح الرأي الثاني، وهكذا حولت الجماعات الراديكالية القتالية من الفدائيين منظمة التحرير إلى مظلة ثورية برئاسة فتح وزعامة رئيسها عرفات، ولكن، وعلى الرغم من هذه الوحدة التنظيمية احتفظت المجموعات السياسية المكونة للتنظيم الموحد بقدر واسع من الاستقلالية عن منظمة التحرير، حتى أن أعمالها المستقلة وخطابها ومذهبها ومنازعاتها فيما بينها غالباً ما أوحى بالفوضى وعدم الانضباط. إن القواعد التي أرست في المنظمات السياسية والفدائية الرئيسية التي كانت تتمتع باستقلالها الذاتي هي: فتح برئاسة عرفات، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين برئاسة جورج حبش، والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين (المنشقة عن الشعبية) برئاسة نايف حواتمة، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، القيادة العامة (المنشقة أيضاً عن الشعبية) برئاسة أحمد جبريل، والحزب الشيوعي

⁶⁴ سميح، فرسون، فلسطين والفلسطينيون، مرجع سابق، ص 376.

⁶⁵ احمد صخر، بسيسو، منظمة التحرير بين مراحل الكفاح ودروب التسوية، مرجع سابق، ص 38.

الفلسطيني في عام 1987 الذي صار بعد عام 1991 حزب الشعب الفلسطيني، ومنظمات صغيرة أخرى⁽⁶⁶⁾.

لقد كان بروز الفدائيين عملاً من آمال تأكيد الذات عند الفلسطينيين بوجع العرب، وكذلك الإسرائيليين، ولكن ما إن تم التخلص من "وصاية" عربية حتى حلت محلها أخرى، فبدلاً من أن تعارض الأنظمة العربية العمل المسلح بأكمله، راحت تتنافس على دعمه، ولعدم اكتفائها بالتودد لحركة فتح، أو منافستها "الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين"، أقامت منظمات جديدة جداً تابعة لها، فكان لبعثي سوريا حضورهم -"طلائع حزب التحرير الشعبية" (الصاعقة)- ولذلك كان من الطبيعي لمنافسيهم العنيد، بعثي العراق، أن يكون لهم حضورهم -"جبهة التحرير العربية". وعلى الرغم أن كل منظمة من المنظمات كانت حريصة على أن يكون لها مبرر وجود عقائدي، فهما لم يكونا في الواقع أكثر من امتدادين، يلبسان لبوساً فلسطينياً، للنظامين الذين كانا يرعيانهما، وكان المشهد السياسي الفلسطيني بمثابة عالم عربي مصغر، صحيح أنه كان أكثر ديمقراطية، لكنه كان يشهد الخلافات والاندمجات والولاءات المتغيرة نفسها، ولذلك وعلى الرغم من غياب الفروقات العقائدية الفعلية، لا عجب يقول ياسر عرفات: "أشعر أن مصاعب العمل من أجل الوحدة الكاملة أكبر من القتال نفسه."⁽⁶⁷⁾

إن دعوة الفدائيين وحلفائهم الراديكاليين العرب من أجل تعبئة الشعوب العربية وتدريبها وتسليحها في الأقطار العربية كافة لغرض شن حرب شعبية ضد إسرائيل لم تجد آذاناً صاغية لدى الحكام العرب، وكانت اللحظة الثورية قد حلت في المشرق العربي ولكنها انفضت سراعاً، فلم يقم أي زعيم عربي أو نظام حكم عربي بإجراء تعبئة شعبية عامة، والذي حدث هو انضمام الزعماء السياسيين للجمهوريات القومية الراديكالية إلى الملكيات المحافظة لدعم أحدهم الآخر، تحت لواء التضامن العربي، كان النظام المصري برئاسة عبد الناصر قد وافق على التراضي مع الملكيات المحافظة للدول المصدر للنفط في شبه الجزيرة العربية، وشن حرب استنزاف ضد الجيش الإسرائيلي، على الضفة الشرقية لقناة السويس، ولكنه وافق عام 1970 على وساطة غونار يارنغ (Gunnar Iarring) المندوب الخاص للأمم المتحدة، من أجل حل سياسي للصراع بين إسرائيل

⁶⁶ سميح، فرسون، فلسطين والفلسطينيون، مرجع سابق، ص 373 - ص 377.

⁶⁷ ديفيد، هيرست، البندقية وغصن الزيتون، مرجع سابق، ص 481.

والبلدان العربية على أساس قرار مجلس الأمن رقم 242، الذي ينص على الأرض مقابل السلام، وبذلك يكون عبد الناصر قد سعى إلى إزالة آثار العدوان الذي ارتكبه إسرائيل في عام 1967، وهو شعار يعني إعادة الوضع القائم بشأن الأراضي إلى سابق عهده في مقابل سلام عربي-إسرائيلي، شعر الفلسطينيون والفدائيون والزعماء الجدد لمنظمة التحرير الفلسطينية بأنهم قد خذلوا. (68)

كانت الحركة الفدائية قد أحرزت عدة مكاسب مهمة منذ حزيران/يونيو 1967، إذ تمكنت من إقامة قواعد آمنة ومن الحصول على امتيازات شبه سيادية في ثلاث من دول المواجهة العربية، وفرضت وجودها بصورة واضحة كقوة إقليمية فاعلة ولو أنها صغيرة، وأصبح هناك نظام سياسي فلسطيني مستقل في طريق التشكيل، الأمر الذي خفف وقع قيود الدول العربية وتغلغل نفوذها، وذلك بالانتقال إلى الإطار المؤسسي الرسمي الذي صاغته "م.ت.ف" ولم يكن الاندماج في نطاق السياسة العربية هدفاً أو خياراً. إن افتقار القاعدة الإقليمية والاجتماعية والاقتصادية الواحدة جعل مسار هذا التطور السياسي متفاوتاً بالضرورة، وبالنسبة إلى الجاليات الفلسطينية في مواطن الشتات الواسعة أو إلى مكان الأرض المحتلة، كان هذا التطور تصورياً في الأساس وفي أحسن حالاته أمراً جزئياً، ذلك بأن الاستراتيجيات البقاء التي اتبعوها على الصعيد اليومي كان لابد من إجرائها من خلال بُنى الحكومات والمجتمعات المضيفة، حتى لو تعاطفوا بصورة متزايدة مع الفدائيين والانتماء الفلسطيني، ولعل اتجاه الدولة والنزوع الوطني القطري قد تجسدا في أشكال ملموسة في مخيمات اللاجئين في سوريا ولبنان، إلا أنهما كانا أقوى بكثير في الأردن حيث شكل ارتفاع نسبة الفلسطينيين إلى مجموع السكان والوجود الفدائي الرئيسي تحدياً أساسياً لبنية الدولة الأردنية وهويتها، فقد تكشفت العلاقة بين الحركة الفدائية والحكومة الأردنية في إطار هذا التعارض الضمني في الفترة 1968-1970. (69)

كانت أسباب النفور متعددة الأوجه، ومن الأوجه الواضحة مباشرة الممارسات الفوضوية التي بدرت عن بعض المتقاتلين وأخذ الناس بجريرتها، وكذلك الاعتداء على احترام الذات لدى القوات المسلحة الأردنية النظامية، وقد حظيت هاتان المشكلتان بالاعتراف الدائم للقادة الأكثر شعوراً

⁶⁸ سميح، فرسون، فلسطين والفلسطينيون، مرجع سابق، ص 374.

⁶⁹ يزيد، الصايغ، الكفاح المسلح والبحث عن الدولة، مرجع سابق، ص 363.

بالمسؤولية، ولا سيما في فتح، لكن تصحيحها لم ينل الحماسة المطلوبة كلها، بيد أن مشكلات أخرى أكثر تعقيداً بكثير كانت قد برزت، وكانت ناتجة من الطبيعة العامة للمحيط العربي، وقد وقعت فتح في أحد الفخاخ، على الرغم من عملها الدائب على تثقيف السكان المحليين، فيما وقع اليساريون في فخ آخر، فبالنسبة إلى فتح كانت البراغماتية السياسية المكرسة لخدمة النضال العسكري الفضيلة الأسمى، كما كانت الحركة تميل إلى الاعتقاد بأن السلوك الحسن البسيط وتوزيع الهيئات السخية، - كالمزيد من البنادق للقبائل - كانا كافيين، لكن بالنسبة إلى الحكومة الأردنية، الأكثر خبرة بكثير في هذه الممارسات، كان كل ما عليها أن تفعله أن ترد بهبات أسخى وأكبر، أما اليساريون، فاعتبروا أنفسهم كما كان متوقع أصحاب دور تثقيفي وتحريري، لكنهم بالغوا في هذا الدور مبالغاً كبيرة، فالجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، بزعامة نايف حواتمة، ووجهت إهانة كبرى لجانبين من الجوانب الأقدس في المجتمع العربي التقليدي: الدين والمرأة. وذلك بنشر شعارات ماركسية ورفع العلم الأحمر فوق المساجد، أو إلى الاحتفال بمولد لينين وغيرها من الأعياد السنوية من فوق المآذن، وربما كان الاتهام الذي وجهه الفلسطينيون بأن بعض العملاء الحكوميين المندسين هم الذين أثاروا هذه الأحداث جميعاً، إلا أنه لم يوقف مجرى الأمور، وكانت تلك الأمور يستطيع النظام الملكي في الأردن استغلالها لأبعد حد، وهذا ما فعله، لم يكن الكثير من الجهد مطلوباً لإحداث صدمة لدى الفلاحين وأبناء القبائل في الأردن، لكن التلقين المحسوب كان الوسيلة التي جعلتهم، أو جعلت بعضهم يكرهون الفدائيين الفلسطينيين (الكفار والمنحليين كما فعلوا).⁽⁷⁰⁾

لقد أغاض الجيش الأردني الكثير من الشباب لتفادي الخدمة العسكرية والبقاء في البيت، أو اتخاذ وظيفة مدنية بمجرد الالتحاق بجماعة فدائية، بالإضافة إلى هذا، فإن فقدان الشرطة والمحاكم الأردنية، والإهانات الموجهة إلى العسكريين والعاملين المدنيين كانت تهدد بتفجير المجتمع بأكمله، أبرز حقيقة ظهور حكم فلسطيني مواز في المملكة، فقد أصبح للحركة الفدائية شرطتها العسكرية، وجهازها الأمني، ومحاكمها الثورية، ومكاتبها ووسائلها الإعلامية، وحركتها النقابية، وقواتها المسلحة المتفرغة، إذ أصبحت الثورة تعتقل وتسجن وتعاقب وتتدخل في شؤون الأزواج والإيجارات، وتتجاوز كل القوانين التي وضعتها الأنظمة.⁽⁷¹⁾

⁷⁰ ديفيد، هيرست، البندقية وغبص الزيتون، مرجع سابق، ص 482.

⁷¹ يزيد، الصايغ، الكفاح المسلح والبحث عن الدولة، مرجع سابق، ص 364.

ولذا سعت الحكومة الأردنية إلى ضرب قوة الفدائيين التي شكلت ظاهرة تتحرك وتتمو خارج إطار توجهاتها وسيطرتها، فما كان من الحكومة الأردنية إلا أن تصدر في العاشر من شباط فبراير 1970 بياناً يتضمن أحد عشر بنداً تحت عنوان "مجتمع موحد ومنظم"، وكلها بنود تعقد عمل المقاتلين الفلسطينيين أو تجعله مستحيلاً في الأراضي الأردنية، حيث قواعد المقاومة الفلسطينية المسلحة، ومقرات أجهزة الثورة الفلسطينية، ومؤسساتها المتعددة الاختصاصات، والتي يحتضنها التجمع الفلسطيني الأكبر بين التجمعات الفلسطينية في دول الشتات، ولكن الحكومة الأردنية، عجزت عن تحقيق أي إنجاز ذي شأن في هذا المجال، بعد حزيران/يونيو 1970 بدأ نشاط فلسطيني خارجي مكثف يستهدف ضرب المصالح الأمريكية والإسرائيلية، ويتجسد في عمليات اختطاف الطائرات الإسرائيلية والأمريكية، وكان صبر الملك حسين قد بدأ ينفذ بدوره، وقد استنفذته آخر استعراضات القوة التي نفتها الجبهة الشعبية، بأن اختطفت عدة طائرات دفعة واحدة، ومشهد ثلاث طائرات أخرى أمريكية-وبريطانية وسويسرية- وهي تجبر على الهبوط في شرق الأردن، وتهديدات الجبهة الشعبية بتفجيرها بمن فيها، كان ذلك عبارة عن دراما غريبة وأسرة بما فيه الكفاية، لكن دراما أكبر تفوقت عليها في 17/أيلول/1970 حين أطلق الملك حسين بعد تردد كبير، وبعد تحضير كبير كذلك، العنان لبدوه الفاقد الصبر، وخلال عشرة أيام من (النضال الأخوي)، قسموا ظهر القوة الفدائية في الأردن، بشن هجوم كبير على قواعد الفلسطينيين في مخيمات اللاجئين في العاصمة عمان وأطرافها، وحوصر الفدائيون في حرب دفاعية راکدة، ولم تكن ملائمة للكر والفر الصالح لحرب العصابات، وللأسلحة الخفيفة لديهم⁽⁷²⁾.

وتعرض الفدائيون لخيانة الذين عبروا بصوت أعلى من غيرهم عن تضامنهم معهم: لقد تركتهم القوات العراقية في الأردن يقاتلون وحدهم، وأرسل النظام السوري قوات مدرعة تابعة لجيش التحرير الفلسطيني لنجدتهم، لكن الفريق حافظ الأسد، وزير الدفاع آنذاك، وخوفاً من التدخل الإسرائيلي أو الأمريكي، رفض إعطائهم غطاءً جويًا، وكانت النتيجة هزيمة دامية ومكلفة للفدائيين على يد الوحدات الأردنية المدربة تدريباً جيداً، والمسلحة بأسلحة ثقيلة، وعلى خلاف توقعات المقاتلين، لم يتفكك الجيش الأردني بسبب تضارب الولاءات، على الرغم أنه كان يضم عناصر فلسطينية كبيرة، وخلال السنة التالية لـ(أيلول الأسود) بحسب التسمية التي أطلقها الفلسطينيون على

⁷² ديفيد، هيرست، البندقية وعضن الزيتون، مرجع سابق، ص 483.

هذه الكارثة، طردوا جميعاً من الأردن، وفقدت منظمة التحرير الفلسطينية قاعدتها السياسية بتسديد أقسى ضربة نالتها حركة المقاومة ككل منذ بداية نشاطها، وكان ذلك بنظر ياسر عرفات "خيانة عظمى من قبل العرب لأقدس قضايهم"⁽⁷³⁾.

وبذلك انتهت الحرب الأهلية في تموز عام 1971، بانتهاء الظاهرة العلنية للمقاومة الفلسطينية في الأردن، ومع خروج المقاومة الفلسطينية من الأردن دخلت هذه المقاومة في مأزق البحث عن قاعدة جديدة وبرزت على السطح الأفكار الأدبية للنضال السياسي.

9.2 دوائر ومؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية:

شهدت منظمة التحرير تحت تأثير الفدائيين مرحلتين رئيسيتين من التوسع والتطور، أحدهما في أعقاب تولي الأمر في المنظمة عام 1969، حين جرت عقلنة التنظيم الداخلي للمنظمة وترسيخه وإضافة وظائف جديدة إليه، والثانية خلال الحرب الأهلية في لبنان (1975-1982) عندما جرى توسيع الوظائف الاجتماعية والاقتصادية للمنظمة توسعاً كبيراً، بالإضافة إلى المجلس الوطني الفلسطيني، وهو مجلس تشريعي، وإلى اللجنة التنفيذية، قام الزعماء الجدد لمنظمة التحرير بتأسيس المجلس المركزي وهو هيئة فرعية استشارية تشريعية، تابعة للمجلس الوطني، وبتأسيس الدائرة السياسية، وهي المختصة بالعلاقات الخارجية، والدائرة العسكرية، وجيش التحرير الفلسطيني الذي يتألف من أربع وحدات هي: فوج اليرموك، وفرقة حطين مقرها في سوريا، وقوات عين جالوت مقرها مصر، وفرقة القادسية مقرها في العراق، وقامت منظمة التحرير الجديدة بتأسيس الصندوق الوطني الفلسطيني، ودائرة التعليم، وجمعية الهلال الأحمر للخدمات الصحية، ودوائر الأنباء والتعبئة الشعبية والوطن المحتل، ومركز الأبحاث، ومركز التخطيط، ومعهد الشؤون الاجتماعية، ومؤسسة صامد وهي مؤسسة اقتصادية، لمساعدة أبناء الشهداء.

أما منظمة التحرير فقد تنامت في واقع الأمر حتى غدت توفر الخدمات والحماية والقيادة بشكل مباشر للفلسطينيين في الشتات وبشكل غير مباشر للفلسطينيين الخاضعين تحت الاحتلال، وبشكل مستمر حتى للذين ظلوا داخل إسرائيل، ويعرفون بالعرب الإسرائيليين، وبحلول أواسط السبعينات

⁷³ ديفيد، هيرست، البندقية وعضن الزيتون، مرجع سابق، ص 484.

كانت منظمة التحرير قد تطورت في هيكلها حتى أضحت حكومة في المنفى من حيث الواقع. إنها والمجموعات التابعة لها كانت تجمع الأموال من عدد من المصادر، كالمساهمات الخاصة من الفلسطينيين والمتعاطفين معهم من العرب والمسلمين، والضرائب المفروضة على الفلسطينيين المستخدمين في شبه الجزيرة العربية، والحكومات العربية، فضلاً عن استثمارات المنظمة نفسها، وغير ذلك من المصادر الدولية، وقد بلغت ميزانية المنظمة في سنوات ازدهارها قبل خروجها من بيروت مئات الملايين من الدولارات.⁽⁷⁴⁾

أما المرحلة الثانية من التوسع في هيكل منظمة التحرير ووظائفها فكانت خلال الحرب الأهلية في لبنان، فقد واجهت المنظمة أزمة اجتماعية أغرقت شعبها الذي شرد في تلك الحرب فحسر أبنائه بيوتهم وأعمالهم وصاروا في عداد المعدومين، وإذ بالمنظمة تتصدى للمحنة بكل ما أوتيت من قوة، فأستت نحو خمسين مشروعاً صناعياً، ووسعت خدماتها الاجتماعية ومعاهد التدريب فيها، كما وسعت جهاز موظفيها ووحداتها العسكرية، واستخدمت ما يقرب من 70% من القوى العاملة الفلسطينية في البلاد. إن هذه الانجازات قد عملت على جعل هيكل منظمة التحرير أكثر تماسكاً، كما أنها أكسبت المنظمة شرعية أعمق في أعماق عيون أفراد الشعب الفلسطيني وغيرها.

10.2 فصائل منظمة التحرير الفلسطينية

10.2.1 1. حركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح"

تعود نشأت حركة فتح إلى أواخر العام 1957 حيث تم عقد لقاء ضم ستة أشخاص هم: ياسر عرفات، وخليل الوزير وعادل عبد الكريم، وعبد الله الدنان، ويوسف عميرة، وتوفيق شديد، واعتبر هذا اللقاء بمثابة اللقاء التأسيسي الأول لحركة "فتح"، وخلالها صاغ المؤسسون ما سمي 'هيكل البناء الثوري و"بيان حركتنا"، وتبع ذلك انضمام أعضاء جدد منذ العام 1959 كان أبرزهم: صلاح خلف، وخالد الحسن، وعبد الفتاح حمود، وكمال عدوان، ومحمد يوسف النجار، وكمال عدوان، وعبد الفتاح إسماعيل، ومحمود عباس.

⁷⁴ سميح، فرسون، فلسطين والفلسطينيون، مرجع سابق، ص378.

في العام 1959 ظهرت "فتح" من خلال منبرها الإعلامي الأول مجلة "فلسطيننا - نداء الحياة"، التي صدرت في بيروت، وقامت بمهمة التعريف بالحركة ونشر فكرها ما بين 1959-1964 واستقطبت من خلالها العديد من المجموعات التنظيمية الثورية الأخرى، فانضم للحركة خلال تلك الفترة كل من: ماجد أبو شرار، وأحمد قريع، وفاروق قدومي، وصخر حبش، ويحيى عاشور، وزكريا عبد الحميد، وسميح أبو كويك، وعباس زكي، وغيرهم الكثير إلى صفوف هذه الحركة الناشئة، وقررت قيادة "فتح" البدء الكفاح المسلح في 1964/12/31 باسم قوات "العاصفة"، وأعلنت الحركة عن انطلاقها في الأول من كانون الثاني/يناير من العام 1965، كيوم لتفجر الثورة الفلسطينية المعاصرة.

وتستند حركة فتح في مبادئها على أن:

فلسطين أرض للفلسطينيين جميعاً، وهي أرض عربية يجب على كل أبناء العروبة المشاركة في تحريرها. وبلورت برنامجها النضالي الذي اهتم بتعبئة الشعب الفلسطيني بكل فئاته وطبقاته وأماكن تواجده، وتجنب الصراع الطبقي والفئوي والطائفي والإقليمي، وركز على العمل على استعادة الهوية الفلسطينية للأرض والشعب، وعلى أهمية ترسيخ استقلال الإرادة الفلسطينية، وتعظيم ارتباطها بالأمة العربية، واستقطاب دعمها وحمايتها.⁽⁷⁵⁾

ومن مبادئها أيضاً:

وحدة الجهد الفلسطيني، رفض الاستسلام العربي، الإرادة الفلسطينية المستقلة، عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية، الابتعاد بالفلسطينيين عن المعارك الاجتماعية على أساس أن الأولوية للعمل المسلح لاستعادة الجزء المحتل من بلادهم⁷⁶.

استطاعت حركة فتح عبر الكفاح المسلح والنضال بكافة أشكاله أن تؤكد على الشخصية أو الكيانية (الهوية) الوطنية الفلسطينية، وعلى استقلالية القرار الوطني الفلسطيني، وأن تعيد القضية إلى العلن، تكريس البناء المؤسسي عبر مختلف مؤسسات الخدمات التي نشأت في حضنها ثم في إطار

⁷⁵ الصفحة الالكترونية لوكالة الأنباء والمعلومات وفا. www.wafa.ps

⁷⁶ يزيد، الصايغ، الكفاح المسلح والبحث عن الدولة، مرجع سابق، ص158.

(م.ت.ف) وهي الطيبة والاجتماعية والتجارية المختلفة. تعتبر حركة فتح من أكبر فصائل منظمة التحرير الفلسطينية وأوسعها شعبيةً ونفوذاً، اتسمت حركة فتح بالمرونة وبالبراغماتية، فاعتمدت الكفاح المسلح حيث يكون، والعمل السياسي حيث يجب⁽⁷⁷⁾.

2.10.2. 2. الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين:

هي جبهة تأسست في 1967/12/11، وجاء تأسيسها كأحد التعبيرات المتعددة التي شكلت الرد الشعبي على هزيمة الأنظمة الرسمية في حزيران/يونيو من عام 1967، حين جرى احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة، وأراضٍ عربية أخرى سورية ومصرية. وجاء تأسيسها على يد جورج حبش. لقد جاء تأسيس الجبهة كنتاج وامتداد لنشاط حركة القوميين العرب التي كانت بدورها قد تأسست عام 1956 كرد على نكبة عام 1948، حيث تأسست الحركة في بيروت على يد مجموعة آمنت بأن تحرير فلسطين لا يتم إلا من خلال الوحدة العربية، وقد ضمت المجموعة التأسيسية في حينه كلاً من: جورج حبش، هاني الهندي، أحمد الخطيب، صالح الشبل، حامد الجبوري وآخرين. وجاءت تسمية الجبهة الشعبية أساساً لأنها تشكلت تاريخياً من انضمام أربع تشكيلات سياسية في إطار جهوي واحد هي:

1. فرع حركة القوميين العرب في الساحة الفلسطينية/ شباب الثأر.
2. فرع الحركة في الساحة الأردنية/ أبطال العودة
3. جبهة التحرير الفلسطينية/ تنظيم فلسطيني محلي.
4. مجموعة من الضباط الناصريين والشخصيات المستقلة.⁽⁷⁸⁾

البرنامج السياسي للجبهة الشعبية:

1. تحرير كامل التراب الفلسطيني، وإقامة الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس الشريف.
2. تطوير وتعزيز كفاح شعبنا داخل الوطن المحتل.
3. النضال ضد الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة.
4. تعزيز الدور النضالي للمرأة الفلسطينية، وتعزيز مستوى مشاركتها في العمل الوطني.

⁷⁷ محمد، اثنتية، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الفلسطينية، مرجع سابق، ص 253.

⁷⁸ محمد، اثنتية، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الفلسطينية، مرجع سابق، ص 177.

5. وضع خطة شاملة لتصعيد وتطوير أشكال العنف الثوري ضد العدو الإسرائيلي.
6. العمل على ضمان الحقوق المدنية والسياسية والنضالية للاجئين الفلسطينيين.
7. العمل على تعزيز وتطوير الجهود المبذولة في مجال تعبئة الجماهير الفلسطينية والعربية.
8. الاهتمام بإقامة وتطوير المؤسسات المختلفة في الداخل والخارج.
9. العمل على تعزيز دور ومكانة م. ت. ف. (79)

لقد ميزت الجبهة الشعبية في التعامل مع موضوعه (م.ت.ف) أربع زوايا تشكل مجتمعة النظرة الكلية إلى المنظمة وهذه الزوايا هي:

- أ. الرأس القيادي القائم على رأس المنظمة على مدار المرحلة.
- ب. مؤسسات المنظمة (المجلس الوطني، المجلس المركزي، اللجنة التنفيذية/الدوائر).
- ت. المنظمة كميثاق وبرنامج تحرري وكجبهة وطنية عريضة.
- ث. المنظمة ككيان وهوية وممثل قومي للشعب الفلسطيني.

3.10.2 3. الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة

أنشئت الجبهة في 24 أبريل/ نيسان 1968، كفصيل فلسطيني إثر انشقاق عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وبتزعمها منذ نشأتها أحمد جبريل، أحد مؤسسي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين كفصيل فلسطيني قومي يساري، ويتخذ من العاصمة السورية دمشق مقراً لقيادته، في العام 1977 تعرضت الجبهة نفسها إلى انشقاق قاده كل من محمد عباس "أبو العباس"، وطلعت يعقوب، أسس على أثره جبهة التحرير الفلسطينية. وتعرّف الجبهة نفسها كفصيل فلسطيني وطني قومي، يؤمن بالعمل بكل السبل من أجل تحرير فلسطين، وإن نضالها جزء من النضال العالمي ضد كل أشكال الاستعمار والعنصرية والإرهاب ضد الشعوب، وهي تعارض التسوية السياسية مع إسرائيل.

رفضت الجبهة مؤتمر مدريد للسلام، والاتفاقيات التي وقعت بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل، وترى الجبهة أن تحرير فلسطين من الاحتلال هو واجب وطني وقومي، ما جعلها تضم إلى صفوفها عناصر من أقطار عربية مختلفة، وصل بعضهم إلى مراكز قيادة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة (80).

⁷⁹ الصفحة الإلكترونية لوكالة الأنباء والمعلومات وفا. www.wafa.ps

⁸⁰ الصفحة الإلكترونية لوكالة الأنباء والمعلومات وفا. www.wafa.ps

4.10.2. الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين:

تأسست الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين بتاريخ 22 شباط/ فبراير من العام 1969م، وهي فصيل ماركسي نتج عن الانسلاخ الفكري بين الماركسيين والقوميين في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين سنة 1969، ويتزعمها نايف حواتمة منذ تأسيسها.

انطلقت الجبهة الديمقراطية من مقولة أنه لا بد من قيادة طبقية جديدة للثورة الوطنية والقومية، ومسلحة ببرنامج يضع حلاً ناجعاً للمسألة الوطنية الفلسطينية بمختلف جوانبها مستجيبة بذلك لحاجة موضوعة كانت قائمة في ذلك الحين لانطلاق مثل هذا المشروع، الذي يشق طريقه كتيار متميز غير مسبوق في إطار الثورة الفلسطينية.

اعتمد الفكر السياسي للجبهة الديمقراطية على ما يلي:

1. في المنطلقات النظرية والنضالية، برزت منذ التأسيس في الفكر السياسي للجبهة الديمقراطية محاور ثابتة في مجري العملية الوطنية، أو في قلب هذه الثوابت، تقف المقاربة المرحلية للمسألة الوطنية الفلسطينية كحركة تحرير وطني شديدة الخصوصية، والموقع المفصلي الذي تحتله قضية الوحدة الوطنية، والعلاقة الوثيقة بين الخط السياسي وأشكال التنظيم والنضال للنتقدم نحو الأهداف السياسية المتعددة، على قاعدة تؤمن تعبئة القوى وتحشدها وتمتين الوحدة الوطنية والائتلاف المنبثق عنها.

2. المقاربة المرحلية المتمثلة ببرنامج تحرير الأراضي المحتلة عام 1967، وتأمين الجلاء التام عنها، وضمان حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره بحرية دون تدخل خارجي، وتجسيد سيادة الدولة الوطنية المستقلة وعاصمتها القدس، وإقرار حق اللاجئين في العودة إلى ديارهم. إن إنجاز هذه المهمات يفتح الأفق لمواصلة النضال من أجل حل ديمقراطي للمسألة الفلسطينية في إطار دولة ديمقراطية موحدة خالية من كل أشكال التمييز والاضطهاد القومي والعنصري والديني. تلمست الجبهة الديمقراطية العناصر الأساسية لهذا البرنامج منذ انتهاء أيلول الأسود عام 1970 تحت عنوان موضوعات حول الخط العام للبرنامج المرحلي في المناطق المحتلة (برنامج النقاط العشرة).

3. الدور الوحدوي والتوحيدي المبادر، لقد تابرت سياسات الجبهة الشعبية الديمقراطية الوحدوية على أساس ثلاث نقاط هي:

أ- اللجوء إلى الوحدة كعامل من عوامل درء الضغوط الإقليمية والعربية.

- ب- التركيز على استنهاض الحركة الوطنية وال جماهيرية في داخل فلسطين.
- ت- التأكيد على استقلال القرار الفلسطيني واستقلالية التمثيل الفلسطيني، كثابت من الثوابت الوطنية لا يمكن المساس به.⁽⁸¹⁾

5.10.2 5. جبهة التحرير العربية:

هي التنظيم الفلسطيني الموالي لحزب البعث العربي الاشتراكي (العراقي) الذي تأسس في أواخر عام 1968، كجبهة فلسطينية فدائية تتبنى الكفاح المسلح أسلوباً بالنضال والأيدولوجية القومية الاشتراكية "فكرياً ومنهجاً"⁽⁸²⁾.

البرنامج السياسي لجبهة التحرير العربية:

1. تحرير فلسطين يحتاج إلى طاقات الأمة العربية كاملة كي تستطيع مجابهة لتحالف الصهيوني الإمبريالي.
2. إن فكر جبهة التحرير العربية هو فكر الحركة العربية الثورية الذي تحرك مع بداية الأربعينيات، ليدرك الترابط العضوي بين النضال القومي والنضال الاشتراكي والنضال التحرري.
3. إن جبهة التحرير العربية تؤمن بالكفاح الشعبي المسلح لأنه يمثل وجود الأمة العربية في فلسطين.
4. إن توجه العرب نحو فلسطين يصنع الوحدة، وهو قادر على تحرير فلسطين.
5. إن اشتراكية الكفاح هي وحدها القادرة على توعية جماهير الشعب العربي الكادحة، وتعبئتها تعبئة ثورية، ورفع مستواها وتنظيمها وكفاءتها، عازلة بذلك كل الطبقات والمؤسسات والأنظمة المرتبطة تاريخياً بمصالح الاستعمار ووجوده السياسي والاقتصادي⁽⁸³⁾.

6.10.2 6. جبهة التحرير الفلسطينية:

هو تنظيم فلسطيني انشق عن الجبهة الشعبية- القيادة العامة بزعامة أحمد جبريل عام 1979، على خلفية دعم القيادة العامة للتدخل السوري العسكري في لبنان، ورفض بعض كوادر الجبهة لذلك،

⁸¹ محمد، اثنتية، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الفلسطينية، مرجع سابق، ص 170.

⁸² محمد، اثنتية، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الفلسطينية، مرجع سابق، ص 166.

⁸³ الصفحة الإلكترونية لوكالة الأنباء والمعلومات وفا. www.wafa.ps

فاستعاد المنشقون عن قيادة أحمد جبريل الاسم القديم للقيادة العامة وهو (جبهة التحرير الفلسطينية) التي تأسست عام 1959 قبل اندماجها مع تنظيمات أخرى عام 1967 هي: أبطال العودة، وشباب الثأر، ذات صيت التنظيم بعد عملية خطف سفينة "أكيلي لاورو" الإيطالية عام 1985، وتراجع دور التنظيم بعد حرب الخليج واحتلال العراق، حيث كان يدعم الجبهة مادياً، واعتقل قائدها محمود عباس زيدان (أبو العباس) بعد غزو العراق عام 2003، وقتل في أحد السجون الأمريكية في العراق.⁽⁸⁴⁾

7.10.2 .7 جبهة النضال الشعبي الفلسطيني:

هي حزب وطني ديمقراطي، تأسس في 15/7/1967، ومن أبرز مؤسسيها: د. صبحي غوشة، فايز حمدان، خليل سفيان، د. سمير غوشة، إبراهيم خليل.

بدأ نشاط الجبهة فيلا البداية على المقاومة السلمية للاحتلال الإسرائيلي، بإصدار منشورات تتضمن دعوة الجماهير لرفض الاحتلال ومقاومته، ثم أخذت تدرّب أعضاءها على المقاومة المسلحة، وجمع السلاح استعداداً لبدء الكفاح المسلح.

تناضل الجبهة من أجل إنهاء الاحتلال الإسرائيلي، وتمكين الشعب الفلسطيني من تقرير مصيره بنفسه، وممارسة سيادته على أرضه، وإقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس.

أصبحت جبهة النضال منظمة تابعة لحركة فتح عام 1971، وبعد انضمام بهجت أبو غربية (عضو اللجنة التنفيذية للمنظمة وأحد مؤسسيها إلى جبهة النضال، عمل على انفصالها عن حركة فتح، وضمها إلى جبهة الرفض عام 1974.

شهدت جبهة النضال عام 1992 عدة خلافات بين قادتها، أدت إلى حصول انشقاق في صفوفها، وانقسامها إلى قسمين هما:

⁸⁴ محمد، اثنتية، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الفلسطينية، مرجع سابق، ص168.

الأول: بقيادة الدكتور سمير غوشة عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير، وبعد وفاة غوشة تسلم قيادة التنظيم الدكتور أحمد مجدلاوي، الثاني: بقيادة خالد عبد المجيد، الذي يتخذ من العاصمة السورية دمشق مقراً له.⁽⁸⁵⁾

8.10.2 .8. طلائع حزب التحرير الشعبية (الصاعقة)

تعتبر منظمة الصاعقة منظمة فلسطينية موالية لحزب البعث السوري، حيث جاء تأسيسها ترجمة لقرارات المؤتمر القومي التاسع لحزب البعث العربي الاشتراكي المنعقد في أيلول عام 1967، وأيار عام 1968، وحضره ممثلون عن كافة فروع حزب البعث الاشتراكي الفلسطينية في كل من الضفة الغربية والأردن وسوريا والكويت ولبنان، حيث انبثقت منظمة الصاعقة عنه، واعتنقت أفكار حزب البعث العربي الاشتراكي القومية الداعية إلى مقاومة الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، معتبرة أن تضافر القوة العربي هي السبيل الأسلم لخوض حرب التحرير ضد إسرائيل.

لقد وضع النظام الداخلي لمنظمة الصاعقة في عام 1967، الذي حدد إستراتيجية العمل السياسي، والكفاح المسلح للمنظمة، حيث اشتركت مع حركة فتح في المجلس الوطني في دورته الرابعة، وكذلك في اللجنة التنفيذية لهذه الدورة، ومن أول أهداف منظمة الصاعقة: اعتماد الكفاح المسلح وحرب الشعب كأسلوب لتحرير فلسطين مدركة أنها وحدها لا تكفي، وأن القوى الفلسطينية دون تكاتف العرب لن تحقق هذا الهدف.

وكانت جميع الفصائل تؤمن بالحرب الشعبية والكفاح المسلح كأسلوب وحيد لتحرير فلسطين، وكانت منظمة التحرير الفلسطينية هي الإطار الكبير الذي ينطوي تحته كل هذه الفصائل، ولكن الانتفاضة الفلسطينية الأولى، وما نتج عن إبرام اتفاقيات سلام مع إسرائيل، فرض أيديولوجية جديدة سنأتي على شرحها في لاحقاً، وهي الأرض مقابل السلام وحل الدولتين.⁽⁸⁶⁾

⁸⁵ محمد، اثنتية، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الفلسطينية، مرجع سابق، ص 185.

⁸⁶ محمد، اثنتية، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الفلسطينية، مرجع سابق، ص 288.

11.2 حرب أكتوبر عام 1973

استمرت منظمة التحرير الفلسطينية تناضل على كل صعيد مؤكدةً نفسها ممثلاً شرعياً ووصياً للشعب الفلسطيني، وفي آذار مارس من العام 1972، وعلى الرغم من الشرخ الكبير الذي أصاب العلاقات الفلسطينية الأردنية بعد مصادمات أيلول الأسود الدامية، أطلق الملك حسين مشروعه المسمى (المملكة العربية المتحدة) وذلك في محاولة جديدة منه لتكريس ضم الضفة الغربية إلى الأردن، ولكن كإقليم فلسطيني هذه المرة، وفي هذه الفترة نشطت شخصيات فلسطينية بتوجيه من إسرائيل لاستغلال الوضع القائم، فطرحت فكرة عقد مؤتمر في الأراضي الفلسطينية المحتلة في العام 1967، بهدف الإعلان عن فصل الضفة الغربية عن الأردن لإقامة دولة فلسطينية فيها، إلا أن هذه الفكرة التي ألقّت بها إسرائيل لأغراض عديدة لعل من بينها ما يتصل بمشروع الملك حسين، وتُدت مهدها، ولم تلق أي استجابة تذكر، وفي الوقت نفسه، ولأسباب ومنطلقات تتقاطع بالتأكيد أسباب وجود منظمة التحرير وقيادة الثورة الفلسطينية ومنطلقاتها، شن الملك حسين حملة على فكرة إنشاء هذه "الدولة" حيث أكد في خطاب ألقاه آنذاك أن: "مشروع الدولة الفلسطينية الذي يروج لها البعض مؤامرة على وحدتنا في الأردن"، وبإجهاض المشروعين الأردني والإسرائيلي على السواء، تراجع سيل المبادرات التي تستهدف منظمة التحرير وتحقيق مكاسب إقليمية أو سياسية على حسابها، واستمر هذا السيل مكبوحاً عن التدفق إلى أن اندلعت حرب العاشر من رمضان/ السادس من تشرين الأول/ أكتوبر 1973، التي خاضها الجيشان المصري والسوري بمشاركة ضعيفة من قوات منظمة التحرير ضد الجيش الإسرائيلي، توقفت حرب أكتوبر بموجب قرار مجلس الأمن رقم 338، الذي دعا جميع الأطراف المعنية إلى وقف إطلاق النار والبدء فوراً في تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم 242، بهدف إقامة سلام عادل دائم في الشرق الأوسط، وعقب وقف إطلاق النار بدأت مفاوضات فك الاشتباك، وطرحت فكرة عقد مؤتمر دولي في جنيف⁽⁸⁷⁾.

بعد حرب أكتوبر 1973، كان لا بد من الحديث عن عمل سياسي تنزعه مصر وتعمل به سوريا والأردن، وهذا يتطلب من الأطراف المعنية القبول بالقرارات الدولية 242، 338، وفعلاً دعت مصر إلى ذلك، سوريا لم تعترف بالقرار 338 إلا أنها قبلت به كنهاية لحرب أكتوبر، والأردن وافقت عليه، وفي أثناء الدعوة لعقد مؤتمر جنيف كانت منظمة التحرير في حيرة من أمرها في ذلك الوقت، ومنظمة التحرير لم تدع إليه وبالتالي المنظمة لا نستطيع أن نقول نحن موافقين، وفي نفس

⁸⁷ احمد، صخر بسيسو، منظمة التحرير الفلسطينية بين مراحل الكفاح ودروب التسوية، مرجع سابق، ص43.

الوقت هل نقول موافقين حتى لا يفوتنا القطار، وصراحتاً كان الإطار العام لدى منظمة التحرير أن تشارك وأن يكون لها حضور، ولكن مع الأسف الشديد، كانت بعض التنظيمات تحاول أن ترفض لمجرد الرفض فقط⁽⁸⁸⁾.

إن منظمة التحرير الفلسطينية في الفترة التي تلت الحرب العربية-الإسرائيلية عام 1973، تبنت برنامج سياسي يعرف بـ سياسة المراحل (البرنامج المرحلي)، حيث أبدت المنظمة استعدادها للقبول بمبدأ التسوية السياسية مع إسرائيل القائمة على الحل المرحلي، متخية بذلك عن إستراتيجية التحرير الشامل لفلسطين من خلال الكفاح المسلح، التي أكد عليها الميثاق الوطني الفلسطيني عام 1968، وقرارات المجلس الوطني في دوراته السابقة لحرب 1973.

في الدورة الثانية عشر للمجلس الوطني في القاهرة في حزيران/يونيو 1974، تقدمت القيادة الفلسطينية للمنظمة ببرنامج سياسي جديد أصبح يعرف بـ "برنامج النقاط العشرة"، دعا، من ضمن أمور أخرى، على إقامة سلطة الشعب الوطنية المستقلة المقاتلة على كل جزء من الأراضي الفلسطينية التي يتم تحريرها، باعتبارها مجرد خطوة نحو تحرير فلسطين تجري في إطار سلسلة من الخطوات التحريرية الأخرى، وإن إقامة السلطة الوطنية الفلسطينية ليست سوى حلقة لمتابعة تحقيق إستراتيجية منظمة التحرير الفلسطينية في إقامة الدولة الفلسطينية الديمقراطية المتفق عليها في قرارات المجالس الوطنية السابقة، وفي إشارة إلى قبول منظمة التحرير مبدأ الحل السياسي، نصت النقطة الثانية من البرنامج المرحلي على تمسك المنظمة بحقها في أن تناضل بكافة الوسائل، وعلى رأسها الكفاح المسلح، لتحرير الأراضي الفلسطينية، ورغم حضور كافة التنظيمات الفلسطينية تلك الدورة، وموافقتها على برنامج الحل المرحلي، إلا أن عدد منها أعلن تراجعها عن الموافقة، وتم تشكيل ما عرف بـ "جبهة القوى الفلسطينية الرافعة للحلول الاستسلامية" (جبهة الرفض)⁽⁸⁹⁾.

وجبهة الرفض ضمت كلاً من: "الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين"، و"الجبهة الشعبية- القيادة العامة"، و"جبهة التحرير العربية"، و"جبهة النضال الشعبي الفلسطيني"، التي تشكلت بتاريخ 1974/4/15 ضد البرنامج السياسي المرحلي "برنامج النقاط العشر"، وبعد صدور القرار 338 بعد حرب عام 1973 دعا هذا القرار إلى الإسراع في الوصول إلى تسوية الصراع العربي-الإسرائيلي وعلى أساس هذا القرار بدأت اتصالات دولية وعربية، توصلت إلى اتفاق مبدئي لعقد المؤتمر في جنيف،

⁸⁸ محمود، عباس، صفحات مشرقة من تاريخ الثورة الفلسطينية (شهادات تاريخية)، مرجع سابق، ص 68.

⁸⁹ محمد، اثنية، موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية، مرجع سابق، ص 341.

تحضره الدول العربية المشاركة في الحرب مع إسرائيل، وتحت راية الأمم المتحدة، على أن يترأس المؤتمر الولايات المتحدة الأمريكية، الاتحاد السوفياتي، وبتأثير حرب أكتوبر، وما تلاها من أجواء تسوية، أخذت الساحة الفلسطينية، في الانقسام إلى موقفين سياسيين، أحدهما يدعو إلى دراسة وتفهم المتغيرات السياسية، ومحاولة الاستفادة منها فلسطينياً، عبر طرح برامج براغماتية، (القابلون)، وآخر يدعو إلى رفض نهج "المرحلية" والبرامج المرنة (الرافضون)، بدعوى أن موازين القوى لا تخدم المصالح الفلسطينية، وتمسك أصحاب هذا المنهج، بشعار "تحرير فلسطين كاملة".

وبعدما أقر المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الثانية عشر البرنامج السياسي المرحلي لـ م. ت. ف. الذي شكل بدوره مفصلاً مهماً ونوعياً في الحياة الفلسطينية وفكرها السياسي، وإعلان نتائجه، حتى بدأت أصوات الفصائل المعارضة (الرافضة) تأخذ منحى التهديد بتجميد عضويتها في اللجنة التنفيذية، وفي أواخر أيلول 1974 قامت "الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين" بسحب ممثلها في اللجنة التنفيذية (أبو ماهر غنيم) وكذلك من المجلس المركزي وبدأت الجبهة الشعبية بحملة منظمة ضد البرنامج المرحلي، وبعد خطوة الشعبية أصدرت "جبهة التحرير العربية" و " الجبهة الشعبية - القيادة العامة" بياناً أعلنتا خلالها تأييدهما للجبهة الشعبية ، وتجدر الإشارة إلى أن حركة فتح، والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين كانتا المنظمتين الفلسطينيتين اللتين قبلتا، بل وشجعتا في اجتماع القاهرة 1974، بالتضمين للوسائل الدبلوماسية كخيار في إستراتيجية المنظمة، والذي جاء مصاحباً لتزايد الاعتماد على الأنظمة المحافظة، تميزت جبهة الرفض بانفعالاتها، وكان عند تأسيسها القائم أساساً على افتراض وجود طرف مفرط، سيقوم بتسوية قادمة سريعاً، سواء كان ذلك عبر خطابها السياسي وإعلامها الرسمي عند افتتاح "مجلة الصمود"، وبعد مرور ثلاثة أعوام على تأسيسها تبين لها وللجميع، أن التسوية بعيدة المنال، وأن ما يلوح في أفق "جنيف" ما هو إلا سراب، الأمر الذي خلق بدوره مناخات إيجابية لإعادة اللحمة للوضع الفلسطيني بسهولة⁽⁹⁰⁾.

إن التوجه نحو نهج المرحلة في النضال أخذ يتبلور داخل حركة المقاومة الفلسطينية، قبل أشهر من اندلاع حرب تشرين الأول 1973، وبعد هذه الحرب ساهم عاملان رئيسيان في تعزيز هذا التوجه:

الأول: تمثل في موقف قطاعات واسعة من سكان المناطق الفلسطينية المحتلة المؤيد لتحمل منظمة التحرير الفلسطينية مسؤوليتها عن مصير الأراضي المحتلة التي تنسحب منها إسرائيل والداعم

⁹⁰ محمد، اثنتية، موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية، مرجع سابق، ص176.

لفكرة مشاركة المنظمة في الجهود الدولية الرامية إلى التوصل إلى تسوية سياسية شاملة للصراع، وهو الموقف الذي عبرت عنه أساساً الجبهة الوطنية الفلسطينية في الأراضي المحتلة.

الثاني: تمثل في تزايد تأثير الموقف السوفياتي على القرار الفلسطيني إثر تعمق العلاقات بين الاتحاد السوفياتي وعدد من الفصائل الرئيسية في منظمة التحرير، وتنامي شعور هذه الفصائل بحاجتها إلى استغلال ثقل الاتحاد السوفياتي للتأثير على موقف الولايات المتحدة الأمريكية في ظروف دولية شهدت انتقال العلاقات بين القوتين من حالة التوتر إلى حالة الانفراج، ودعوة الاتحاد السوفياتي منظمة التحرير إلى تبني مواقف واقعية تساعد على ضمان مشاركتها في جهود التسوية⁽⁹¹⁾.

ومع التحول في موقف منظمة التحرير الفلسطينية، كانت قد قامت في أواسط السبعينات من القرن الماضي بإنجازات سياسية مهمة ومتعددة، ففي مؤتمر القمة العربية المنعقد في الجزائر في عام 1973 اعترفت الدول العربية بالمنظمة بصفتها "الممثل الوحيد للفلسطينيين"، وبعد ذلك بفترة قصيرة عقد اجتماع بين الرئيس المصري أنور السادات والعاقل الأردني الملك حسين صدر على أثره بيان يؤكد على أن منظمة التحرير هي الممثلة للفلسطينيين جميعاً باستثناء الموجودين منهم في الأردن أما في اجتماع القمة العربية لعام 1974 المنعقد في الرباط فقد تم الاعتراف مرة أخرى بمنظمة التحرير الفلسطينية على الرغم من اعتراضات الملك حسين، الذي كان يرجو الاحتفاظ بالضفة الغربية والذي كانت مملكته أغلبية فلسطينية حتى بين المقيمين في الضفة الشرقية، وجاء الاعتراف بالمنظمة هذه المرة بصفتها "الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني"، هذا ومنذ عام 1969 قامت الجمعية العامة للأمم المتحدة بإصدار سلسلة من القرارات، ومن أهمها القرار رقم 2535، الذي اعترف، مؤكداً من جديد على الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني، وفي عام 1974 اعترفت الجمعية العامة بمنظمة التحرير بصفتها "الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني"⁽⁹²⁾، ودعت ياسر عرفات بعد أسبوعين من إلقاء خطاب في الجمعية، واعتبر الفلسطينيون كلهم (القابلون) و(الرافضون) على حد سواء، ظهور عرفات على منبر الأمم المتحدة لحظة من لحظات الثأر الممتع فعلاً، فالفلسطينيون لم يكونوا فقط موجودين فعلاً على الرغم من غولدا مائير، بل كان زعيمهم كذلك ينال فيما كان يخاطب العالم انتباهاً عاطفياً لم ينله أي سياسي زائر، مهما كان شهيراً

⁹¹ محمد، اشتية، موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية، مرجع سابق، ص341.

⁹² سميح، فرسون، فلسطين والفلسطينيون، مرجع سابق، ص381.

أو خلافاً، بالطريقة نفسها من قبله، وكتب الصحافيون العرب من نيويورك أن الرجل الذي بدأ قبل عشر سنين يتسلل عبر حدود إسرائيل لتنفيذ عمليات ضدها لم تلفت الانتباه كثيراً، أصبح ينفذ أجراً عملية مغاوير في حياته السياسية، ومن أجل شخص لا يقل أهمية عن البابا- أصبح أول قائد لـ "حركة تحرر وطني" ينال هذا الشرف، لم يكن بالتأكيد هو والشعب الذي كان يمثله قد سلموا سلاحهم، على الرغم من أنهم كانوا ينتظرون بفارغ الصبر اليوم الذي يفعلون به ذلك، "إني قادم وأحمل غصن الزيتون في يد وبندقية الثائر من أجل الحرية بالأخرى، فلا تدعوا غصن الزيتون يسقط من يدي"، بهذا النداء أنهى خطابه الذي امتد لمائة دقيقة، وكان قد ركز خلاله بحب على "فلسطين الغد"، دولة المسلمين والمسيحيين واليهود التي كان يدعو لها، وقال إنها "حلمي" ودعا اليهود الذين كانوا يعيشون في فلسطين، كلهم، إلى الابتعاد عن العقيدة الصهيونية، التي لم تكن تقدم لهم سوى السفك المؤبد للدماء، وإلى مشاركتة حلمه⁽⁹³⁾.

إن الجمعية العامة للأمم المتحدة قد صوتت على القرار رقم 3236، وفيه تأكيد دولي شامل للحقوق الفلسطينية في تقرير المصير والاستقلال الوطني، ومنحت المنظمة مركز المراقب الدائم في الأمم المتحدة مع حقوق المشاركة في معظم وكالاتها، إن الاعتراف بالحقوق الفلسطينية وبشرعية منظمة التحرير كان قد تحقق أصلاً في عدد من المنظمات الإقليمية المهمة ومنها المؤتمر الإسلامي، وأقطار عدم الانحياز، ومنظمة الوحدة الأفريقية، ومنظمة التضامن للشعوب الإفرو- آسيوية وأعضاء حلف وارسو، ومجلس السلام العالمي، وأكثر من مئة دولة معظمها من العالم الثالث، والكتلة السوفيتية، إذاً ومن خلال هذه الانجازات الدبلوماسية، قد نجحت منظمة التحرير بتدويل الاعتراف بالحقوق الفلسطينية والدعم لها بشكل لم يسبق له مثيل⁽⁹⁴⁾.

ورغم هذه الانجازات السياسية الكبيرة التي حققتها منظمة التحرير الفلسطينية على الصعيدين العربي والدولي، إلا أن إسرائيل ظلت لا تعترف بالمنظمة، ولا ترغب بالتفاوض معها، بل اشترطت في مقابل موافقتها على المرحلة الثانية من اتفاقية فصل القوات في سيناء، التوقيع على مذكرة تفاهم مع الولايات المتحدة الأمريكية تتعهد فيها واشنطن بعدم إجراء أي حوار مع منظمة التحرير الفلسطينية، إلا إذا اعترفت المنظمة بقرار مجلس الأمن رقم 242، وبحق إسرائيل في الوجود كدولة، وعملت على نبذ الإرهاب، وهو مسمى قُصد به تخلي المنظمة عن الكفاح المسلح كوسيلة

⁹³ ديفيد، هيرست، البندقية وغصن الزيتون، مرجع سابق، ص 509، ص 511.

⁹⁴ سميح، فرسون، فلسطين والفلسطينيون، مرجع سابق، ص 381.

للتحرير، لم تسفر التنازلات السياسية التي قدمتها منظمة التحرير الفلسطينية على أية نتائج في تخطي عقبة التمثيل الفلسطيني في المؤتمر الدولي للسلام في الشرق الأوسط بسبب استمرار معارضة الولايات المتحدة وإسرائيل لمشاركة المنظمة الفلسطينية بالعملية السياسية، كما لم تكن منظمة التحرير في وضع يسمح لها بتقديم أي تنازلات سياسية إضافية رغبة منها في الحفاظ على الوحدة الوطنية، خاصة بعد الانقسامات في صفوف المنظمة نتيجة إستراتيجية الحل المرحلي الجديدة، وتداعيات الحرب الأهلية في لبنان⁽⁹⁵⁾.

12.2 الحرب الأهلية في لبنان 1975-1982

دفع الفلسطينيون ثمن الشرخ المفتوح الأول في الصفوف العربية بعد حرب أكتوبر وكان من المفارقات العميقة أنهم، فيما كانوا يحققون انتصارات هائلة على الإسرائيليين في الساحة الدبلوماسية الدولية، تلقوا ضربة مدمرة من العدو خلفهم وكان ذلك تحولاً جديداً، يصعب كثيراً تصديقه، يطرأ على ما أسماه ياسر عرفات يوماً "مؤامرة عربية"، وفي لبنان تحديداً اتخذ هذا الشرخ شكله الأقسى، فالى هذا البلد الصغير، كانت منظمة التحرير الفلسطينية قد انتقلت بكل قواتهم بعد أيلول الأسود 1970، وكانت القاعدة السياسية- العسكرية المستقلة التي أقاموها هناك اعتداء على السيادة الوطنية، مما تسبب بامتنعاض عميق لدى اللبنانيين، أو على الأقل لدى الأقلية المسيحية المارونية ذات التقليد العسكري، وفي نيسان 1975، حملت الميليشيات المارونية، الكتائبية والشمعونية، السلاح ضد المقاتلين وحلفائهم اللبنانيين المسلمين واليساريين، وبعد أن كان القتال عشوائياً وضيق النطاق في البداية، تقام نطاقاً وعنفاً بعد اتفاقية فك الارتباط الثانية في سيناء، ليصبح حرب أهلية عربية بالواسطة، إن لم يصبح الحرب الأهلية العربية التي كان السادات قد حذر منها، وترددت في التعليقات الإخبارية العربية مراراً وتكراراً كلمة واحدة: التحجيم، وتقدم هذه الكلمة منظوراً أساسياً لفهم هذا النزاع المعقد والقاسي بشكل خاص، فقد أراد الجميع تحجيم الفلسطينيين، وبسبب الانقسامات التكتيكية التي عاناها هؤلاء، فقد سعى بعضهم إلى تحجيم بعضهم أيضاً، وكان الرئيس الأسد وبعثيوه الحاكمون يتوقون إلى إنشاء قاعدة قوة على أساس سوريا الكبرى يمكنهم أن يستخدموها بعد اكتمال خروج السادات ليؤسسوا إستراتيجية مضادة خاصة بهم، فقد كان الأسد مصمماً على أن تكون سوريا المفتاح لتلك البوابة، ولتحقيق هذه الغاية بدأ الأسد يعمل على ضم

⁹⁵ محمد، اثنتية، موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية، مرجع سابق، ص342.

المقاومة الفلسطينية- المقدر لها، بحسب كلامه هو نفسه، أن تساعد على": "قذف الوجود الصهيوني إلى خارج الوطن العربي- بثبات تحت جناحيه في ملجئهم اللبناني الأخير عند الخاصرة الأخرى لسوريا"⁽⁹⁶⁾.

خلال النصف الأول من الحرب، حين كان المصريون يشجعون المسيحيين اليمانيين، رمى الأسد بمعظم ثقله، ولو بحذر، وراء الفلسطينيين وحلفائهم المسلمين اليساريين، وفي النصف الثاني، انقلب على حلفائه السابقين، ففجأة بدا أن حركة المقاومة الفلسطينية كانت على وشك تحقيق حرية العمل التي ستقرر مصيرها وستزرع خططه في خصوص سوريا الكبرى، وكان تغيره تغيراً شبيه مستحيل، سوريا التي كانت تسمى "قلب العروبة النابض"، لطالما حملت السلاح من أجل فلسطين، لذلك كان الانقلاب على المقاتلين الفلسطينيين، بغض النظر عن مقدار الخلل الذي كانوا يعانونه في تجسيدهم للقضية العربية العليا، مفاجأة لم يكن أحد يتصور أن زعيماً سورياً يقوم بها، وقد ساند الجيش السوري الميليشيات المسحوية في حصارها لمخيم تل الزعتر للاجئين واستيلائها عليه في مذبحه شكلت الذروة في حرب كانت تزخر بالبربرية المرعبة، وكان الأسد حجم الفلسطينيين بهذه العملية، فقد تعرض هو نفسه للتحجيم أيضاً، فبعدما مضى إلى حد معارضة اتفاقية فك الارتباط في سيناء، ما لبث أن أذعن لها، والواقع أن العرب في كل مكان تعرضوا للتحجيم، فالحرب الأهلية اللبنانية كانت أقسى انفجار لمرضى كانوا يعانونه جميعاً: أزمة الحضارة، لقد كان إذاً مهتدناً بشكل كامل ذلك النظام الذي أعاد السادات زعامة مصر عليه، كذلك لم تعد هذه الزعامة متجذرة، كما كانت سابقاً، في إمكانات مصر الظاهرة للعب الدور، ويصبح هذا الكلام أكثر على الرجل الذي كان يقود مصر، فقد أصبح العرب يذعنون ولكن بحقد لهذه الزعامة لعدم توافر الأفضل، وما أن أعادها السادات، حتى واجهت التحدي، ليس من قبل العرب بل من قبل الجماهير المسحوقة في مصر التي نفذت ثرة الخبز الكبرى في كانون ثاني 1977، لذلك لم يكن السادات مستعداً بالتأكيد لمواجهة تحدي منحيم بيغن، الذي كان يجسد الصهيونية بأقصى توسعيتها وتطرفها، بحرب يشنها هو⁽⁹⁷⁾.

عقدت دورة المجلس الوطني الفلسطيني الثالثة عشر في الفترة ما بين 12-1977/8/22 واتخذ المجلس الوطني قراراً إيجابياً يشير إلى أهمية العلاقات والتنسيق مع القوى اليهودية الديمقراطية،

⁹⁶ ديفيد، هيرست، البندقية وغصن الزيتون، مرجع سابق، ص 527.

⁹⁷ ديفيد، هيرست، البندقية وغصن الزيتون، مرجع سابق، ص 528.

والتقدمية المناضلة داخل الوطن المحتل وخارجه ضد الصهيونية كعقيدة وممارسة⁽⁹⁸⁾، واعتبر القرار الصادر عن المجلس الوطني مهماً باعتباره لخدمة القضية الفلسطينية بما لا يتعارض مع مبادئ وأهداف منظمة التحرير الفلسطينية، وبرز خط يدافع عن هذه الفكرة والمنهج ومن أصحاب هذا المنهج محمود عباس أبو مازن، " الذي خرج قليلاً عن السياق مع القيادة الفلسطينية وبدأ الحديث والتفكير والكتابة بالحوار مع الجانب الآخر، الطرف الآخر (إسرائيل)، ووقف في المجلس الوطني في نفس الدورة ودافع عن فكرة اللقاء مع الإسرائيليين بصراحة وضوح وهذا يعتبر تجديد ضد التيار، ومن هنا بدأ التطور والاختراق، ولكن هذا الاختراق لم يلقى أذن صاغية من الجميع، ولم يكن القرار بالجدية الكافية ليكون هذا منهجاً فرفض⁽⁹⁹⁾.

وتأكد نفس القرار، (التنسيق مع القوى اليهودية الديمقراطية والتقدمية داخل الوطن المحتل وخارجه) في الدورة الخامسة عشر (1981) والسادسة عشر (1982) والتاسع عشر (1988) ومؤتمر حركة فتح الخامس 1989/8/3، وهكذا أصبحت الاتصالات ذات طابع شرعي محمي بالقرار الصادر عن المجلس الوطني الفلسطيني (سيقوم الباحث بالتوسع والشرح لهذا المنهج في الفصل الثالث، الذي هو محور البحث).

أما الحدث السياسي الأبرز من بين جميع إحداث هذه الفترة ووقائعها فإنه يتمثل في الحدث الذي وقع يوم التاسع عشر من تشرين الثاني/ نوفمبر من العام 1977، ولم ذلك الحدث إلا الزيارة الرسمية للرئيس المصري أنور السادات إلى إسرائيل، فبعد أن ألقى خطاباً أمام مجلس الشعب المصري أعلن فيه استعداده لزيارة إسرائيل بحثاً عن تسوية سياسية للصراع العربي الإسرائيلي، توجه السادات إلى القدس المحتلة وألقى خطاباً أمام الكنيست الإسرائيلي، وكانت الزيارة والخطاب الذي تخللها بمثابة منطلق للشروع في مفاوضات مباشرة مع حكومة إسرائيل، حيث جرى الإعداد لمفاوضات عربية إسرائيلية في فندق (مينا هاوس) في القاهرة، ووجهت الدعوة إلى منظمة التحرير الفلسطينية للمشاركة فيها، غير أن المنظمة رفضت المشاركة، فاقترحت المفاوضات على مصر وإسرائيل¹⁰⁰، دارت إلى إجراء محادثات منفصلة بين مصر وإسرائيل في إطار كامب ديفيد أسفرت عن التوقيع على معاهدة بين البلدين في مطلع عام 1979، أثارت المعاهدة انقساماً كبيراً بين

⁹⁸ محمود، عباس (أبو مازن)، طريق أوسلو، موقع الاتفاق يروي الأسرار الحقيقية للمفاوضات، مرجع سابق، ص 28.

⁹⁹ مقابلة مع الرئيس محمود عباس أبو مازن، رام الله، 2011.

¹⁰⁰ احمد صخر، بسيسو، منظمة التحرير بين مراحل الكفاح ودروب التسوية، مرجع سابق، ص 52.

الأنظمة العربية، ودفعت بالفصائل الفلسطينية إلى توحيد صفوفها في إطار "جبهة الصمود والتصدي" العربية ومقرها دمشق غير أن تلك الوحدة سرعان ما تهاوت بعد الغزو الإسرائيلي للبنان عام 1982، وكانت إحدى أبرز نتائج الغزو خروج القيادة الفلسطينية إلى تونس، وقبولها بالحل السياسي القائم على "الكوفيدالية" بين الأردن وفلسطين محل وسط بين دعوة الرئيس الأمريكي ريغان إلى حكم ذاتي فلسطيني مرتبط مع الأردن، وبين المبادرة العربية في قمة فأس في المغرب التي دعت إلى دولة فلسطينية مستقلة في حدود عام 1967⁽¹⁰¹⁾.

سجل أنور السادات نقطة تحول في تاريخ الصراع العربي - الإسرائيلي حين خاطب الكنيست الإسرائيلي في مدينة القدس في 19 تشرين الثاني / نوفمبر 1977 وقد حطم إصراره على متابعة مبادرته الدبلوماسية إستراتيجية م.ت.ف، في موازنة علاقاتها بمصر وسوريا ، بينها سعت لإقامة حوار سياسي مع الولايات المتحدة، كما هدد بإيصال الانقسامات الفلسطينية والدولية إلى نقطة القطعية التامة، وكانت ردة الفعل المألوفة هذه محاولة للعب على كل الأطراف، وللمراوغة على أمل أن تتغير الأوضاع بشكل يمكن المنظمة من ناحية سياستها الأصلية، لكن متابعة هذا المسار استلزمت قدرا أكبر من السيطرة الداخلية في أي وقت مضى، وخصوصا إذا كانت قيادة الاتجاه السائد حريصة على معارضة تدخل الدول العربية السياسي، ونتيجة ذلك تميزت الفترة التي تلك زيارة السادات للقدس بالتقلب السياسي وبالتوتر العسكري في الساحة الفلسطينية، كما في جميع أنحاء لبنان، وفي المنطقة بصورة عامة. (102)

مع حلول عام 1979 كان جنوب لبنان قد أصبح أكثر مناطق العالم تفجرا، ففي هذا العالم الصغير المعقد جرى زرع العالم الكبير للنزاع الشرق أوسطي بل بالأحرى العالمي، فقد كان جنوب لبنان يتفرع داخل العالم بأسره، وكان العالم بأسره يتجمع في جنوب لبنان فلم تكن التسوية ممكنة في الجنوب من دون تسوية لبنانية عامة، ولم تكن هذه ممكنة بدورها من دون تسوية عامة في الشرق الأوسط، وكان الإسرائيليون يستطيعون استغلال الجنوب لمنع حصول تسوية لبنانية أو شرق أوسطية إن لم تعجبهم، أو استغلاله بشكل أكثر طموحا لتغيير الخريطة السياسية والإستراتيجية الشرق أوسطية، فمن ناحية بشكل الفلسطينيين وفي مفارقة تاريخية، تبدلت الأدوار، وباتوا هم، في ظل الاعتداءات الإسرائيلية المستمرة، يكتفون (بالأعمال الانتقامية)، أما من جهة البعثتين السوريين،

¹⁰¹ محمد، اثنية، موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية، مرجع سابق، ص342.

¹⁰² يزيد، الصايغ، الكفاح المسلح والبحث عن الدولة، مرجع سابق، ص602.

فالهزيمة العسكرية يمكن أن تستجلب الانهيار المنتظر منذ زمن ، ربما على طريقة الحرب الأهلية اللبنانية، لنظام الرئيس الأسد الذي لا يتمتع بشعبية كبيرة، وأما بالنسبة لدول الخليج المنتجة للنفط والمؤيدة للغرب، فكارثة على الجبهة الشرقية يمكن أن تضعها أمام تهديد شديد، وأي تهديد للخليج سيشكل تهديدا للمصالح الحيوية للولايات المتحدة.⁽¹⁰³⁾

أعقب زيارة السادات قبول مصر باتفاقيات كامب ديفيد في عام 1978 وتوقيعها على اتفاق سلام منفرد مع إسرائيل في عام 1979، تلك التطورات التي تمت برعاية الولايات المتحدة ولإنقاذ ماء الوجه، أوردت تلك الاتفاقيات نصوصا لإقامة نظام لحكم ذاتي في الضفة وقطاع غزة لمدة خمس سنوات، وفي الاجتماع الرابع عشر للمجلس الوطني الفلسطيني المنعقد عام 1979 رفضت منظمة التحرير هذا الحكم الذاتي ورفضت معه معاهدة السلام الإسرائيلية - المصرية ذاتها، وفعل الوطن العربي الأمر نفسه قامت الجامعة العربية بطرد مصر منها، ونقلت مقرها من القاهرة إلى تونس، وباتت الحكومة المصرية كالمنبوذ في كافة الميادين، السياسية وغيرها، أن معاهدة السلام المنفردة بين إسرائيل ومصر جعلت المشرق العربي يفقد اقوي جيش رادع يقف بوجه إسرائيل، وأصيب ميزان القوى الإقليمي بالخلل بغتةً فمالت كفته كثيراً لصالح إسرائيل وضد دول الهلال الخصيب ومنظمة التحرير، مما دعا إسرائيل، في ظل حكومة الائتلاف اليميني بقيادة الليكود، إلى القيام بمغامرات عسكرية من أهمها غزو لبنان عام 1982، ونتج عنها خروج منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان.⁽¹⁰⁴⁾

ليس واضحا تماما السبب الذي جعل قيادة (م.ت.ف) تقرر الخروج أخيرا، فالقاعدة ضد القرار، فلو استمروا في الصمود، لاضطر الإسرائيليون بالتأكيد، بسبب الضغوط الدولية المتنامية، إلى الانسحاب، أو اتخاذ القرار الذي كانوا يخشونه، أي اقتحام المدينة، شارعاً فشارعاً، مع ما يرافق ذلك من دمار وسفك دماء، ولا بد أن تعاطفهم مع اللبنانيين، وخوفهم من انقلاب حلفائهم اليساريين والمسلمين عليهم، كان في صلب قرارهم، ولا بد أيضا أن العرب لعبوا دورا مهم في إخراج هذا القرار، ولأول مرة في تاريخ الصراع العربي- الإسرائيلي، تمكن الإسرائيليون من محاصرة عاصمة عربية، فقد فاق صلفه ووحشيته كل الحدود، لذلك كان من الأفضل للأنظمة العربية لو أن منظمة التحرير هربت من المعركة أو أن قواته انهارت تحت الضربة الأولى ، لكن الحصار

¹⁰³ ديفيد، هيرست، البنديقية وغصن الزيتون، مرجع سابق، ص 584.

¹⁰⁴ سميح، فرسون، فلسطين والفلسطينيون، مرجع سابق، ص 397.

استمر، وخلال ما يقارب 88 يوما، لم تستطع الأنظمة فعل شيئا، سواء عبر استخدام السلاح أو بواسطة الدبلوماسية، لوقف التصعيد بواسطة القنابل الضخمة المقذوفة من البر والبحر والجو، والقنابل الصوتية والعنقودية والفسفورية، والمجازر بحق الأبرياء الذين كانوا يمزقون إرباً في الشوارع أو يدفنون تحت أنقاض المباني، لم تستطع الأنظمة العربية أن تكتفي حتى بالوقوف المتمثل بعقد مؤتمر قمة طارئ في غياب القدرة على تقرير عمل عربي مشترك. (105)

سرعان ما تحولت معركة بيروت إلى أسطورة بطولية، لكنها كانت على الرغم من ذلك الهزيمة العسكرية والسياسية الأحدث وربما الأفذح في تاريخ الثورة الفلسطينية، ولم تقتصر أسبابها على القوة الإسرائيلية والتواطؤ الأمريكي والجبن العربي، فقد كانت للمرض الداخلي المستمر داخل حركة المقاومة مساهمته، ولو كانت الحركة كياناً أكثر صحة منذ البداية، لما كانت قد اضطرت لأن تقاوم وهي محشورة في زاوية مثلما حصل، وكانت منظمة التحرير قد قطعت شوطاً بعيداً على الصعيد السياسي والدبلوماسي منذ أن برزت فتح قوة فاعلة على الساحة الشرق أوسطية، لكن المفارقة تمثلت في أن قاعدته الجغرافية كانت تتقلص باستمرار وكذلك الاعتماد على الكفاح المساح الذي كان المبرر الأصلي لوجود منظمة التحرير، ففي العام 1970 طرد المقاتلون الفلسطينيون من الأردن، وفي العام 1976 وجه لهم السوريون مؤلماً في لبنان، لذلك أصبحت طبيعة الكفاح المسلح دفاعية أساساً، وقد اضطرت المنظمة إلى أن تحافظ بأي ثمن على ملجئها الأخير في لبنان كقاعدة مستقلة، لا للإغارة على إسرائيل، بل خدمة للصراع الدبلوماسي الذي بات يعتمد عليه اعتماد شبه كلي، وقد فقدت منظمة التحرير هذه القاعدة أيضاً ونفي المقاتلين إلى ما لا يقل عن ثماني دول عربية كان بعضها، اليمن، والسودان، وتونس، والجزائر - يقع على بعد آلاف الأميال من فلسطين نفسها التي كان هدفهم أن يحررها، وقد كانت قيادة منظمة التحرير قد استقرت في تونس. (106)

وبانقضاء اللحظة الثورية في الوطن العربي، ومع أن الفدائيين وبرنامجهم الثوري استمر في لبنان مدة اثني عشر سنة أخرى لكنهم كانوا هناك محصورين في بقعة صغيرة في قطر صغير، ثم تورطوا في حرب أهلية لم تكن من صنعهم، هذا وبسبب الهزيمة والتغيرات المحلية والإقليمية الجارية اضطرت الفدائيون إلى التخفيف من برنامجهم السياسي الثوري وان لم يخففوا في خطابهم،

¹⁰⁵ ديفيد، هيرست، البندقية و غضب الزيتون، مرجع سابق، ص598.

¹⁰⁶ ديفيد، هيرست، البندقية و غصن الزيتون، مرجع سابق، ص600.

مع هذا، وفي ما جرى التخلي فعلياً عن البرنامج الثوري إلا أن هدف تحرير فلسطين بوسائل أخرى دبلوماسية لم يجري التخلي عنه قط، لقد انصرفت اللحظة الثورية، ولكن الزخم والتصميم الشعبيني ظل يدفعان منظمة التحرير إلى الأمام. (107)

بعد خروج منظمة التحرير من بيروت، كانت قد فقدت الإجماع وفقدت وجهتها كذلك، يعود ذلك من بعض النواحي إلى أن التنظيم اخرج بالقوة من قاعدة ذات الاستقلال الذاتي الواسع في لبنان، وكانت قاعدة قريبة عن أرض الوطن، حيث تستطيع دائماً ممارسة خيار عسكري، بهتت منظمة التحرير في فعاليتها الدبلوماسية، وإن أفضل دليل على هذا التدهور هو مجموعة القرارات التي أصدرتها القمة العربية في عمان عام 1987، كان البند الأول من تلك القرارات، وبالتالي الاهتمام الأول والأخير للحكام العرب، هو الخطر من إيران الإسلامية الثورية، أما القضية الفلسطينية لم تذكر إلا شكلياً في نهاية القرارات، ولم يعامل رئيس منظمة التحرير، ياسر عرفات، كرئيس دولة، لقد ترك ذلك جرحاً عميقاً في نفوس الفلسطينيين، وعلى الأخص أولئك الذين هم تحت الاحتلال، وفي ذلك المناخ من التدهور الاقتصادي، والاختناق السياسي والافتقار إلى الأمن الاجتماعي، باتت القضية، وكانت قضية العرب الأولى أمداً طويلاً، ومنظمة التحرير المتهاوية المتفرقة والمتباعدة عن الفلسطينيين من الأمور الثانوية في اهتمامات الدول العربية وحكامها، كان واضحاً أن قضية فلسطين وحفظ منظمة التحرير تسير على طريق التلاشي السريع، وعلى حين غرة إذ بانتفاضة هائلة تندلع صفوف الفلسطينيين في المناطق المحتلة في كانون الأول / ديسمبر 1987 أي بعد فترة وجيزة من تلك القمة العربية ومن الاجتماع الثامن عشر للمجلس الوطني الفلسطيني.¹⁰⁸

13.2 الانتفاضة الفلسطينية الأولى عام 1987، وإعلان الاستقلال.

إن وسائل الإعلام الغربية التي غطت الانتفاضة، وعلى الأخص المواجهات بين رماة الحجارة من الصبيان الفلسطينيين وجنود الاحتلال الإسرائيلي المدججين بالأسلحة، أخذت تعرض على الشاشات صوراً تختلف تماماً عما كانت تبثه في الماضي عن الصراع العربي - الإسرائيلي أو الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، فقد انتهى أمر الأسطورة القديمة التي تصور طالبات إسرائيل (داوود) أمام جالوت العربي، لا بل انقلبت الآية، فإسرائيل ظهرت الآن أمام العالم جالوتاً جباراً يوالي

¹⁰⁷ سميح، فرسون، فلسطين والفلسطينيون، مرجع سابق، ص 376.

¹⁰⁸ سميح، فرسون، فلسطين والفلسطينيون، مرجع سابق، ص 400.

الضرب على طالبوت الفلسطيني، ومن هنا كان للانتفاضة الباهرة والمستدامة عواقب سياسية مهمة، أن رسالتها قد فضحت إلى الأبد الطبيعة الوحشية للاحتلال الإسرائيلي والرغبة الفلسطينية بإنهاء الاحتلال، كان من الأمور المهمة كذلك أن الانتفاضة والمتحدثون باسمها أكدوا مرارا وتكرارا على وحدة الشعب الفلسطيني، سواء الذي تحت الاحتلال أم الذي في الشتات وعلى وحدة القيادة الشرعية لمنظمة التحرير. (109)

كانت الانتفاضة الأولى عام 1987 رائعة وهامة جدا لم تحصل في التاريخ، لم يحصل مثلها في تاريخ الشعوب، ولم يكن احد يتوقع أن تلك الانتفاضة ستستمر وقتا طويلا، ولكنها بقيت في إطار انتفاضة أطفال وانتفاضة حجارة، وفي نفس الوقت كانت تطلق شعارات سياسية، وبكل أهمية تلقت منظمة التحرير تلك الشعارات السياسية التي كانت تطرحها الانتفاضة وهذا أنها انتفاضة تلقائية عفوية وانتفاضة شعبية، واستدعت انتباه العالم كله، وتكمن عبقريتها بطرح الشعارات السياسية، وان البرنامج الذي قدمته المنظمة الذي سمته المنظمة هجوم السلام هو شعارات الانتفاضة التي كانت تجري، ونجحت منظمة التحرير في استقطاب فكر الانتفاضة ورسالتها، وعند سؤال المنظمة من أين لكم هذه الأفكار السياسية؟ كنا نقول لهم من هؤلاء الأطفال الأبطال الصغار الذين يعلموننا الواقعية، كيف تتعامل مع الواقع وهذا هو الشعار الذي سرنا عليه وهكذا كانت الانتفاضة واستمرت سنوات وتوقفت عندما بدأت منظمة التحرير العمل السياسي. (110)

أن الانتفاضة الأولى عملت، على غير توقع على إعادة الحيوية كثيرا إلى الحركة الوطنية الفلسطينية وجعلت القضية الفلسطينية ومنظمة التحرير تحتلان من جديد مركزهما اللائق على المسرح الدبلوماسي، ليس فقط في المنطقة بل في العالم، على الرغم من التطورات السياسية المذهلة في الميدانين الإقليمي والدولي، وربما بسبب هذه التطورات، أن انهيار الشيوعية وانتهاء الحرب العراقية الإيرانية كانا من الأحداث المهمة التي أذنت هي والانتفاضة بالبدا بتغيرات عقائدية وسياسية داخل منظمة التحرير، كما أنها دفعت إلى الأمم بدبلوماسية هذه المنظمة، ففي عام 1988، وبعد اقل من عام من ظهور الآثار السياسية للانتفاضة على منظمة التحرير وأخرجتها من حالة الاستعصاء التي كانت فيه، عقد المجلس الوطني الفلسطيني دورته التاسعة عشر في الجزائر في الخامس عشر من تشرين الثاني / نوفمبر 1988 اجتماعا لعله يعد اجتماعا فاصلا وتاريخيا،

¹⁰⁹ سميح، فرسون، فلسطين والفلسطينيون، مرجع سابق، ص401.

¹¹⁰ محمود، عباس، صفحات مشرقة من تاريخ الثورة الفلسطينية، مرجع سابق، ص86.

وربما أهم اجتماع يعقده منذ تأسيسه وسيطرة الفدائيين عليه، (إعلان استقلال فلسطين)، فقد اعترف المجلس الوطني بقرار مجلس الأمن رقم 242 وقراره رقم 338، اللذين وضعوا شروط التسوية السياسية في الشرق الأوسط (صيغة الأرض مقابل السلام)، كما أعلن المجلس في الاجتماع نفسه عن الدولة الفلسطينية على ترابها الوطني في المناطق المحتلة عام 1967 وعاصمتها القدس، وخول المجلس اللجنة التنفيذية ورئيس المنظمة عرفات بالسير في طريق المبادرات الدبلوماسية، وعقد اجتماع في ستوكهولم حضره وفد من منظمة التحرير ووفد أمريكي يهودي، وأصدر الاجتماع بياناً مشتركاً جاء فيه أن منظمة التحرير الفلسطينية: توافق على الدخول في مفاوضات سلام تجري في مؤتمر دولي يعقد برعاية الأمم المتحدة، تعلن تأسيس الدولة الفلسطينية المستقلة وتقبل بوجود إسرائيل كدولة في المنطقة، تعلن عن رفضها وإدانتها للإرهاب بكل أشكاله، بما في ذلك إرهاب الدولة، تدعو إلى حل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين وفقاً للقانون الدولي والتطبيقات الدولية وقرارات الأمم المتحدة ذات العلاقة (بما فيها حق العودة أو التعويض).⁽¹¹¹⁾

إن الانتفاضة شكلت إحدى الحثيات التي ساهمت في حفز الولايات المتحدة بعيد حرب الخليج وانهيار الاتحاد السوفيتي على تنظيم "مؤتمر مدريد للسلام في الشرق الأوسط" وعقده ولكن الانتفاضة الأولى لم تشكل العامل الأوحده في رسم توجهات قيادة منظمة التحرير، إذ توافق معها أحداث مؤثرة أخرى كان من أبرزها انهيار الاتحاد السوفيتي الحليف الدولي الأهم لمنظمة التحرير، والهجرة الروسية الواسعة إلى إسرائيل، وحرب الخليج الثانية عام (1990) التي اندلعت في اثر احتلال العراق الكويت، وما تلاها من عقوبات تجاه المنظمة بسبب موقفها من هذا الاحتلال، والتي شملت تهجير وطرد أعداد كبيرة من فلسطيني الكويت، وفرض حصار عربي ودولي سياسي ومالي على منظمة التحرير، هذه التحولات، وخشية قيادة المنظمة ظهور قيادة موازية داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة سنة 1967، كانت حثيات قبولها بالشروط المجحفة التي وضعتها الولايات المتحدة على حضورها مؤتمر مدريد للسلام في الشرق الأوسط 1991، والتي تضمنتها رسالة الدعوة الأمريكية - السوفيتية في هذا الشأن، والتي تمثلت فيما يلي: تشكيل الوفد الفلسطيني من الداخل فقط، أن يكون الحضور الفلسطيني ضمن وفد فلسطيني - أردني مشترك، استبعاد المشاركة

¹¹¹سميح، فرسون، فلسطين والفلسطينيون، مرجع سابق، ص401-402.

العلنية للمنظمة في المفاوضات، أن يجري تناول القضايا الفلسطينية على مرحلتين (انتقالية، ونهائية) من دون تحديد الهدف النهائي للمفاوضات. (112)

كانت هذه هي الخلفية الدبلوماسية لمؤتمر مدريد للسلام الذي حضرته إسرائيل وسوريا ولبنان ووفد مشترك أردني - فلسطيني والداعيان للمؤتمر الولايات المتحدة وروسيا، كان ذلك المؤتمر فاتحة مفاوضات السلام، الثنائية والمتعددة الأطراف، بين إسرائيل والدول العربية المجاورة، وقد عقدت اثنا عشر جلسة خلال سنتين في واشنطن فلم تتجح في عقد أي اتفاقية، خلال هذا الوقت، كانت مفاوضات سرية موازية قد بدأت بين منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة الإسرائيلية منذ العشرين من كانون الثاني/يناير 1993 وذلك في مدينة ساريسورغ وفي غيرها من المدن الترويجية بما فيها أوصلو، وبعد شهور عديدة، أصبحت هذه المفاوضات السرية علنية حيث أعلن الطرفان، منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل في التاسع والعشرين من آب/أغسطس 1993، أنهما توصلا إلى الاتفاق على إجراءات الاعتراف المتبادل بينهما والى اتفاق مبدئي بشأن تسوية سياسية للصراع، وقد استكملت المرحلة الأولية من المفاوضات بتوقيعها إعلان "مبادئ بشأن ترتيبات حكم ذاتي مؤقت" في واشنطن دي سي في الثالث عشر من أيلول/سبتمبر 1993 تحت رعاية الرئيس الأمريكي بل كلينتون، وقد عرف هذا الاتفاق باسم "اتفاق أوصلو" وتم توقيعه من قبل الطرفين، الوفد الفلسطيني وحكومة إسرائيل ممثلين في محمود عباس (أبو مازن) أمين سر اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وشمعون بيرز وزير خارجية إسرائيل. (113)

نص اتفاق أوصلو على قيام م.ت.ف بإنشاء سلطة حكم ذاتي في قطاع غزة وأريحا في المرحلة الأولى، أما المرحلة الثانية فتمتد السلطة الفلسطينية إلى بقية المراكز السكانية الفلسطينية في الضفة الغربية بالتزامن مع إجراء انتخابات عامة لتأليف مجلس حكم سيتم التفاوض في شأن طبيعته وصلاحياته فيما بعد، وتقرر أن تدوم هذه الترتيبات الانتقالية خمسة أعوام بعد توصل الطرفين إلى اتفاق تفصيلي بشأن التطبيق، وسيبدأ مفاوضات أخرى بعد مضي العامين الأولين على الحكم الذاتي من أجل تقرير الوضع النهائي للقدس والمستعمرات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة ومصير اللاجئين الفلسطينيين وأمور أخرى، كجزء من التسوية الدائمة للصراع بشأن فلسطين، وكانت أوجه

¹¹² جميل، هلال، فلسطين دروس الماضي وتحديات الحاضر واستراتيجيات المستقبل، (فلسطين والفلسطينيون 1)، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط1، بيروت، شباط 2012، ص 17.

¹¹³ احمد صخر، بسيسو، منظمة التحرير الفلسطينية بين مراحل الكفاح ودروب التسوية، مرجع سابق، ص 65-66.

الشبه بين اتفاق أوسلو والمقترحات السابقة للحكم الذاتي الفلسطيني قوية، لكل الاختلافات الرئيسية تعلقت بالدور الرسمي ل م.ت.ف وبمسؤولياتها عن الأمن الداخلي، وبدرجة الإدارة الذاتية على الصعيد الاقتصادي.⁽¹¹⁴⁾ (سيقوم الباحث بشرح اتفاق أوسلو وما بعدها بالتفصيل في الفصل الثالث)

¹¹⁴ يزيد، الصايغ، الكفاح المسلح والبحث عن الدولة، مرجع سابق، ص 917-918.

3. الفصل الثالث

المنهج السياسي لمحمود عباس من قضايا الصراع وأدواته:

1.3 المبحث الأول

1.1.3 الحركة الصهيونية:

إن الصهيونية، وهي حركة سياسية يهودية، تعود إلى القرن التاسع عشر أما قبل ذلك فقد ظل ما يدور حول الأرض المقدسة من لاهوتية وصوفية كما في العهد القديم أمراً حياً في أوساط اليهود منذ تفرقهم في الشتات وفي سياق تمخض عن العصر الأوروبي من امبريالية وقومية علمانية ومن عداة السامية، ولا سيما في روسيا وأوروبا، انتشرت الصهيونية، بصفتها حركة تدعو إلى قومية يهودية علمانية لا إلى هوية دينية يهودية، بين شرائع أساسية من يهود أوروبا، وكان من الأسباب الرئيسية تصاعد حدة العداة للسامية الذي أدى إلى المذابح ضد اليهود وفرارهم من روسيا وأوروبا الشرقية إلى أوروبا الغربية، حيث كانوا متحررين بشكل عام ومندمجين فيها، أما في روسيا فإن تصاعد المشاعر المناهضة لليهود وحدث التصفيات الجسدية في صفوفهم أسفر عن فرارهم ليس فقط إلى أوروبا الغربية وإنما إلى أقطار أخرى ومنها فلسطين، حيث أقام اليهود مستوطنات زراعية على أراضٍ اشتريت من قبل اليهودي البارون روتشيلد بالدرجة الأولى ومن السيد موسى مونتفيوري بالدرجة الثانية، إن هذه الحركة المنظمة وما فيها من تنظيمات، وعلى الأخص منها تنظيم "محبو صهيون" قد أوصت للكاتب ي. ل. بنسكر بأن يكتب كتاباً يدعو فيه اليهود إلى أن يسعوا إلى الانعتاق الذاتي لمسألة العداة للسامية في روسيا وأوروبا الشرقية، كانت هذه الحركة

تتخيل عودة ما يسمى " أرض إسرائيل" في فلسطين، أما في أوروبا الغربية، فعلى الرغم مما أسفرت عنه حركة التنوير من نشر فكرة التحرر، وكذلك اندماج اليهود في مجتمعات الأقطار الغربية، فإن وصول الأعداد المتزايدة من المهاجرين إليها أدى إلى أن يظهر من جديد ما يسمى بـ "المسألة اليهودية".⁽¹¹⁵⁾

إن الأساطير التي تحيط بشخصية هرتزل جعلته بطلاً تاريخياً يتمتع بكافة الخصال والمؤهلات التي يتصف بها البطل الأسطوري غير أن الحقيقة التي نجحت في الظهور إلى السطح مؤخراً تؤكد بموضوعية الدليل العلمي إن هرتزل هو أغرب اختبار لمثل هذا الدور، فحتى سنوات قليلة من انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول سنة 1897 كان هرتزل من أكبر دعاة الاندماج في المجتمعات الأوروبية وهو لم يكتف بالتبشير بهذه الفكرة فحسب وإنما حاول تأسيس أندية للشبيبة لحملهم على اعتناق الكاثوليكية، كما كرس كتاباته في تلك المرحلة من تاريخ حياته لهذه الاتجاه، وتحاول الأساطير الصهيونية الحديثة الاستفادة من هذا الجانب من حياة هرتزل لإقامة الدليل على استحالة اندماج اليهود في غير التجمعات اليهودية مهما كان راعياً في ذلك ومتشوقاً إليه، وذلك أن هرتزل زعم انه اضطر إلى العودة إلى يهودية بعد أم صدمته وقائع محاكمة "دريفيوس" التي أطلع عليها بكم عمله الصحفي غير أن حقيقة الأمر لا يمكن أن تكون ذلك، فالمهمة الصحفية التي أتاحت لـ "هرتزل" الإطلاع على بعض تفاصيل محاكمة "دريفيوس" التي لم تكن مأساوية إلى حد كبير، ولم يتبين ما احتوته من ظلم إلا بعد سنين طويلة من انتهائها، إن مهنته كصحفي حري بها أن تجعله يطلع على تفاصيل المذابح التي كان يهود أوروبا الشرقية يتعرضون لها فتفجر لديه من دوافع الحنين إلى اليهودية، أضعاف ما يمكن أن تقعه قضية دريفيوس .

قام هرتزل فور انبثاق الحركة الصهيونية رسمياً في بال عام 1897 بمنابعة كافة القضايا التي كانت الخارجية البريطانية تتابعها وتمارسها مباشرة وأهمها إكمال المفاوضات التي بدأت في عام 1840 مع تركيا لإقامة وطن قومي يهودي، ولعل أهم ما يلفت النظر في هذا النشاط هو ذلك الجزء من الرسالة الشهيرة التي أرسلها هرتزل إلى الباب العالي وتعهدها فيها بحل المشاكل المالية للدولة

¹¹⁵ سميح فرسون، فلسطين والفلسطينيون، مرجع سابق، ص 117.

العثمانية في حال موافقتها على إنشاء الوطن القومي، والسؤال الذي يطرح نفسه من أين كان سيحصل على الأموال الكافية لسد ديون إمبراطورية إن لم تكن من أموال إمبراطورية أخرى" ¹¹⁶.

عمد إلى اقتراح حل المسألة اليهودية في كتاب نشره بعنوان الدولة اليهودية، جاء الحل الذي يقترحه هرتزل على شاكلة ما اقترحه قبله بنسكر، أي إنشاء دولة يهودية في أحد الأصقاع المستعمرة، فتقوم هذه الدولة بامتصاص يهود أوروبا بأكملهم، فتنتهي بذلك نزعة العداء للسامية القائمة في القارة الأوروبية، هذه صيغة مطابقة لفكرة إعادة تأسيس الأمة اليهودية التي طالما تبناها الكتاب الإنجليز، الدينيون منهم والعلمانيون كانت الصهيونية تجسد مشروع استعماري لمستوطنين أوروبيين، أشبه بأمثالهم من المستوطنين في الجزائر وجنوب أفريقيا وروديسيا وأوغندا وكينا، بيد إن الحركة الصهيونية تختلف من نواحي متعددة، مثلاً: من حيث التبرير العقائدي - الديني للمشروع، ومن حيث تجنيد المستوطنين من الأقطار الأوروبية كلها وليس من قطر واحد منها فقط، وكذلك من حيث عدم وجود دعم امبريالي في البداية، ولعل هذا هو الجانب الأهم، ولكن " المنظمة الصهيونية العالمية " تمكنت في وقت قصير من اكتساب دعم بريطانيا العظمى، وهي الدولة الامبريالية التي كانت الحركة بحاجة إليها للمشروع الاستعماري في فلسطين . ⁽¹¹⁷⁾

إن الظروف التي هيئت لإقامة دولة يهودية في فلسطين ذات طبيعة استعمارية عنصرية مرتبطة بالغرب لأداء مهمات محددة، وهذا يؤكد الحقيقة القائلة بأن إنشاء دولة يهودية في فلسطين ترتبط وجوداً وعدمًا بالغرب، كان دائماً الهاجس الذي يؤرق مشاعر دول الغرب الاستعمارية وذلك قبل ميلاد معظم قادة الحركة الصهيونية بوقت طويل يصل إلى قرون، وتعتبر الحركة الصهيونية استمراراً للامبريالية الغربية بوسائل جديدة، إذ تضرب هذه الحركة بجذور عميقة في إطار الامبريالية الأوروبية بصفة عامة، والامبريالية البريطانية بصفة خاصة، لذلك فإن اعتبار نهايات القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تحديداً لميلاد الحركة الصهيونية هو تقرير خاطئ ويحتوي على كثير من المغالطة، لأن ميلاد الحركة الصهيونية اليهودية قد سبقه بقرون ميلاد الحركة الصهيونية غير اليهودية في انجلترا بظهور عدد من أشد المتحمسين للصهيونية السياسية والمؤيدين لها من الانجليز المسيحيين، ففي القرن السابع عشر نظم بعض الإنجليز المهتمين بأمر

¹¹⁶ محمود، عباس، الصهيونية بداية ونهاية، بيلسان، رام الله، فلسطين، ط2، 2011، ص 33.

¹¹⁷ سميح، فرسون، فلسطين والفلسطينيون، مرجع سابق، ص 118 .

إعادة اليهود إلى فلسطين باعتبارها وطن اليهود، حركة تدعو لعودتهم إليها، وكان ذلك في سنة 1649 حيث أرسلوا إلى الحكومة البريطانية مفادها " إن أمة الانجليز وسكان هولندا سيكونون أول الناس وأكثرهم استعداداً لنقل أبناء وبنات إسرائيل على سفنهم إلى الأرض التي وعد بها أجدادهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب لتكون لهم ميراثاً إلى الأبد/ لقد كان هذا الموقف بدافع العقيدة " البيوريتانية " التي اعتنقها الإنجليز في ذلك القرن، لقد كانت عودة اليهود إلى بريطانيا حسب العقيدة البيوريتانية خطوة أولى في طريق عودتهم إلى فلسطين وقد ازداد الأمل لدى هؤلاء البوريتانيين بعودة اليهود إلى فلسطين، وكانوا يرون أن إنجلترا لا تستطيع أن تلعب دوراً أساسياً في تحقيق هذا الأمل إلا بالسماح لليهود بالعودة إلى إنجلترا أولاً، وقد غرست هذه الفكرة مقدمة للمجيء الثاني للمسيح، واستمرت هذه الفكرة عقيدة دينية لا تقبل الجدل بالنسبة للكفر المسيحي الإنجليزي التي استخدمها وبخاصة خلال القرن التاسع عشر لتغطية مصالح الامبريالية البريطانية في فلسطين، تلك المصالح التي فرضتها احتياجات الإمبراطورية البريطانية.

كان شافيتسيري السياسي البريطاني الشهير أحد أهم الدعاة لفكرة دعوة اليهود إلى فلسطين في الوقت الملائم سياسياً، حيث إن استيطان اليهود في فلسطين قد تحول إلى أمنية سياسية بالنسبة إلى بريطانيا بغض النظر عن النبوءات والنزعات الدينية وكان هناك ثلاثة اهتمامات بريطانية كبرى تتعلق بمنطقة فلسطين كجزء من سوريا الكبرى آنذاك واستحوذ على انتباه الكثير من رجال الدولة وهي:

أ. توازن القوى الأوروبية .

ب. تعرض أمن الهند للخطر من جانب فرنسا وروسيا.

ت. تأمين الانتقال وطرق الواصلات مع الهند عن طريق سوريا.

ومنذ ذلك الوقت بدأ الاتحاد الغريب بين سياسة الإمبراطورية ونوع من الصهيونية المسيحية الأبوية التي اتضحت في السياسة البريطانية في الأجيال اللاحقة . (118)

¹¹⁸ الدكتور، محمود، عباس، قنطرة الشر إسرائيل طريق الامبريالية إلى العام الثالث، دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمان، 1984، ص

2.1.3 الصهيونية واليهودية:

إن الأسس الفكرية للحركة الصهيونية فيراها منظرو الصهيونية بأنها حركة التحرر القومي لليهود، وإن اليهود بأشأتهم يشكلون قومية متميزة لها ما لغيرها من القوميات من طموحات مشروعة بحق تقرير المصير وإقامة السلطة القومية المجسدة لإرادتها ومصالحها، اختلف اليهود فيما بينهم اختلافاً شديداً حول هذه المسألة فذهبت غالبيتهم إلى القول أن اليهودية هي دين لا أكثر ولا أقل، وقد عبر الحاخام الأكبر (هيرمن أولد) رئيس حاخامي انكلترا عن هذه الفناعة عندما قال: "لقد انتهى وجودنا القومي بعد سقوط فلسطين في أيدي الرومان وأصبحنا مواطني البلاد التي نعيش فيها، فنحن ننتمي إلى القومية البريطانية الفرنسية أو الألمانية، رغم تبعيتنا للدين اليهودية دون أن يميزنا ذلك عن مواطنينا الآخرين في الحقوق والواجبات وإن سئلت ما هو المحتوى السياسي لليهودية لا جبت بان اليهودية هي مجرد دين وليس لها أي محتوى سياسي"، بينما كان هناك من يطرح بأن اليهودية هي قومية متميزة وذلك من خلال قول هرتزل: "إننا نشكل شعباً واحداً".

غير أن الصعوبات النظرية التي تواجهها الحركة الصهيونية تتطلق أساساً من التوفيق بين ادعاء القومية وعدم توفر شروط الأرض، الأمر الذي يجمع علماء الاجتماع على أنه ركن أساسي من أركان تعريف القومية، وقد تغلب منظرو الصهيونية على هذه الصعوبة بأن يبتكروا تعريفاً جديداً للقومية ينسجم مع طموحاتهم مزاعمهم كتعريف ارنست رينان الذي تبنته الحركة الصهيونية بقوله: "الأمة هي الروح والوعي الروحي وشرط الأمة هي الاعتزاز بماض مجيد والإرادة المشتركة في الحاضر، وأيضاً في الإنجازات العظيمة التي تمت في الماضي والرغبة في تحقيق إنجازات عظيمة في المستقبل". (119)

إن الأفكار التي حاول الاستعمار البريطاني أن يزرعها في عقول اليهود ليقنعهم بحقهم في وطن وبحقهم في أن يكونوا أمة كباقي الأمم، ومن خلال اعتراض أغلبيتهم التي أبدت تذمرها ومعارضتها الشديدة لهذه الأفكار منذ بدأت تلمع في أذهان الساسة البريطانيين برز إلى الوجود ما يسمى بالأيديولوجية الصهيونية التي أعدها الاستعمار بعناية وبكثير من التفكير والجهد تحقيقاً لمآربه وتنفيذاً لأغراضه وربما كانت له غاية مزدوجة الهدف، أن يتحقق ما أراده تقرير بنرمات

119 محمود عباس، الصهيونية بداية ونهاية، مصدر سابق، ص 34.

وان يتخلص من اليهود، ولكن اليهود تنبهوا إلى هذا الهدف وشعروا أنهم لم يكونوا أكثر من مخلب قط، أو واجهة يخفي ورائها الاستعمار وجهه البشع ولن يقف الأمر عند هذا الحد بل سيصل بالنتيجة إلى التآمر على اليهود أنفسهم ليكونوا الضحية الثانية التي ستذبح على مذبح المطامع الاستعمارية، وهذا يتضح من خلال المناقشات التي سبقت وعد بلفور إذ خلافاً لكل التصورات الشائعة، فإن وعد بلفور لم يصدر بسهولة وإنما تطلب ثلاث سنوات من المفاوضات المضنية التي تخللتها خلافات عنيفة وأزمات سياسية بالغة الخطورة ، فقد قام بالتفاوض من الجانب الصهيوني كل من وايزمان سوكولوف ومن الجانب البريطاني لويد جورج ولفور، ومن الجانب اليهودي اديون مونتاغيو وزير الدولة البريطاني، وكلود مونتغيوري أحد وجهاء الطائفة اليهودية في بريطانيا، ومن الأسرار المجهولة في تاريخ القضية إن الخلاف هو الذي أخر صدور الوعد ثلاث سنوات هذا الخلاف الذي نشب بين الفريق الصهيوني والفريق اليهودي، إذ عند بداية المفاوضات ساورت اليهود شكوك عميقة بخصوص الأهداف السياسية الصهيونية وبعد الكشف عن المسودات الصهيونية للتصريح، أصبح هؤلاء اليهود ملتزمين بموقف مناوئ للصهيونية ولبس فيه وذلك بغية الحفاظ على القيم اليهودية الأساسية وتلخص موقف اليهود البريطانيين بالنقاط التالية:

1. إن المبدأ الذي يقوم عليه التصريح المقترح يلحق أضراراً بالضرر بالمصالح اليهودية، كما أنه يشير اشمئزاز عدد ضخم من اليهود.
2. إن التصريح يحرم عرب فلسطين من حقهم في وطنهم ويعرضهم للطرده والتشريد وهو موقف غير إنساني ومرفوض.
3. إن الوطن القومي المقترح سوف يحول فلسطين إلى غيتو وسوف يتعرض اليهود فيه إلى خطر كبير في يوم من الأيام.
4. إن الوطن اليهودي المقترح سيضر بمصالح إتباع الديانة اليهودية في كل أرجاء العالم، إذ إنه يقوم على الفرضية الخاطئة بأن اليهود يشكلون قومية واحدة في فلسطين هي وطن لليهود، وهو أمر سينتج عنه وهم اليهود غير الإسرائيليين بالولاء المزدوج وسيدفع أوطانهم إلى النظرة لهم نظرة الشك وسيؤدي إلى حرمانهم من حقوق المواطنة الطبيعية . (120)

120 - محمود، عباس، الصهيونية بداية ونهاية، مرجع سابق، ص 35-36 .

لقد ابتدع الاستعمار البريطاني والأمريكي الصهيونية العالمية وألبسها ثوباً زاهي لكي تصلح أن تكون حركة تحرر وطني لليهود في العالم وجهزوا لها أيديولوجية مستوحاة من خبث لتجر يهود العالم إلى فلسطين "أرض الميعاد"، وحاولوا أن ينفخا في بوق شعار الشوق الصهيوني، ويهود العالم لم يحاولوا طيلة ثلاثين قرناً أن يضعوه موضع التنفيذ وإنما اعتبروه جزءاً لا يتجزأ من وضعهم الاجتماعي والاقتصادي في الشتات. رفض اليهود الفكرة المكشوفة التي طرحتها بريطانيا في منتصف القرن الماضي على لسان مونتغيوري زعيم طائفة اليهود في بريطانيا، ورفض اليهود الفكر الصهيوني وحاربوه حرباً لا هوادة فيها واعتبروه ضاراً بمصالح اليهود في العالم، ورفض اليهود وعد بلفور وعطلوا صدوره ثلاث سنوات متوالية واعتبروا الوعد أيضاً ضاراً بمصالح اليهود ومصالح الفلسطينيين، ورفض يهود أوروبا الشرقية عندما تعرضوا للاضطهاد الهجرة إلى فلسطين واكتفوا بتقديم ما تبتزّه منهم الحركة الصهيونية من المال، ورفض يهود البلاد العربية الهجرة إلى فلسطين ولكن الحركة الصهيونية والرجعية العربية اقتلعتهم من جذورهم تارة عن طريق الإرهاب وتارة باسم القانون، وانتهز اليهود في (إسرائيل) أول فرصة تتاح لهم للهروب منها إلى لا مكان دون تحديد الهدف الذي يسعون إليه تخلصاً من الجحيم الذي وضعتهم الصهيونية فيه وكانت منهم قوافل الهجرة المعاكسة التي تقض مضاجع الصهيونية، هذه هي مواقف اليهود السلبية من الصهيونية، لم يفعلوا أكثر من عدم الاستجابة لها، فحاربوها حرباً صامتة، حرباً هادئة، حرباً تعرضوا بسببها لكل صنوغ الاضطهاد، حرباً لم ينظموا صفوفهم من أجلها وإنما جاءت بعفوية الإنسان القادر على الإحساس بالمستقبل . (121)

إن هذا الحق (للشعب اليهودي بتأسيس وطنه القومي داخل وطنه الخاص) قد اعترف به تصريح بلفور الصادر في 2 تشرين الثاني عام 1917 وأثبتته من جديد صك الانتداب المقرر في عصبة الأمم وهي التي منحت بصورة خاصة الموافقة الدولية على الصلة التاريخية بين الشعب اليهودي و (أرض إسرائيل) دعم حق الشعب اليهودي في إعادة بناء وطنه القومي.

إن هذه الصفحات المجهولة ، تلقي أضواء بالغة الأهمية على جوهر المشكلة ومعطياتها الأساسية وتؤكد حقيقة الارتباط البريطاني بالصهيونية، كما تؤكد ضمن أشياء أخرى كثيرة أن الصهيونية هي عدوة اليهود وأنها مصدر خطر على مصالحهم، وإن اليهود ليسوا أعداء للعرب والفلسطينيين كما

121 محمود، عباس، الصهيونية بداية ونهاية، مرجع سابق، ص 83.

هو شائع، كما تؤكد أيضاً الخطيئة الكبرى الذي ارتكبتها بعض الحكام العرب السابقين، عندما انطلت عليهم أحابيل الصهيونية فاضطهدوا يهود بلادهم والخطيئة الكبرى التي يرتكبتها البعض الذين لا يميزون بين اليهودية والصهيونية، وعلى الفلسطينيين والعرب أن نمسح الإساءات التي وجهت لليهود أعداء الصهيونية، وأن نحول علاقة العداء التي أكرهوا عليها إلى علاقات صداقة بتصحيح الأخطاء الماضية وبناء العلاقة الجديدة على أسس متينة من الفهم والتفاهم والمصالح المشتركة معيدين من جديد الوجه الناصح للعلاقة العربية باليهود الذين عاشوا بيننا مئات السنين دون أن يشعروا بأي فرق أو تميز أو اضطهاد . (122)

3.1.3 مؤسسات الحركة الصهيونية:

في كتابه دولة اليهود اقترح شيودور هيرتزل إنشاء مؤسستين لخدمة الأهداف الصهيونية مؤسسة للتمثيل السياسي العام على المستوى الدولي، ومؤسسة اقتصادية واجبها القيام بالإشراف على تصفية ثروات مواطني العالم من الديانة اليهودية والإشراف على نقلها إلى منطقة الاستعمار الصهيونية، ولقد تجسدت المؤسسة الأولى في تأسيس المنظمة الصهيونية العالمية والتي مارست نشاطها مع نهاية المؤتمر الصهيوني الأول في بازل 29-31/8/1897.

بينما اقتصر نشاط المؤسسة الاقتصادية الصهيونية التي عرفت آنذاك باسم الشركة اليهودية على جمع التبرعات الصهيونية واستثمارها ضمن مخططات المنظمة الصهيونية العالمية، لأن اليهود لم يفكروا بتصفية وجودهم وممتلكاتهم في أوطانهم والرحيل إلى المستوطنة الصهيونية كذلك لم تفتح معهم وسائل الإقناع العادية بضرورة عمل ذلك الأمر الذي جعل الحركة الصهيونية تستبشر بقدم هتلر إلى الحكم بما يحمله من أفكار وآراء ومواقف تجاه اليهود بحيث تصبح الأرض خصبة ليفكر هؤلاء بضرورة الرحيل، وللمرة الأولى والوحيدة تتجح المنظمة الصهيونية في وضع مخطط لبناء مؤسسة اقتصادية عالمية هدفها تصفية ثروات الألمان على أمل أن تلقى هذه المؤسسة ظلالها على كل يهود العالم في كل مكان (123)، وهكذا نشأت أهم الاتفاقيات الاقتصادية للحركة الصهيونية وهي اتفاقية هعفار.

¹²² محمود، عباس، الصهيونية بداية ونهاية، مرجع سابق، ص 38.

¹²³ محمود، عباس (ابو مازن)، الوجه الآخر للعلاقات السرية بين النازية والصهيونية، ط 3، بيلسان، فلسطين - ارم الله، 2011، ص

يعتبر كتاب "الدولة اليهودية" أو "دولة اليهود" دستور الحركة الصهيونية وثوراتها وتلمودها ويتحدث عن نقطتين رئيسيتين هما خلاصة ما أراد هرتزل أن يؤكد، لتكونا المنطلق الهام نحو تنفيذ مشروعه ويقول هرتزل: يجب إقامة المنظمتين التاليتين الجمعية اليهودية والشركة اليهودية، وما تنضج دراسته الجمعية اليهودية على المستويين الثقافي والسياسي تنفذه الشركة اليهودية على أرض الواقع وتولي هذه الشركة عنايتها لتصفية كل المصالح المادية للمهاجرين اليهود، وتضع في البلاد الجديدة القواعد الاقتصادية والضرورية، وفيما يتعلق بنقل اليهود وهجرتهم، فيقترح هيرتزل ألا تتم بصورة جماعية أو مباحته، بل تتم بصورة تدريجية وتمتد على مراحل خلال عشرات السنين، بحيث يهاجر أولاً، الأكثر فقراً من اليهود لأجل إحياء الأرض في البلاد الجديدة، وشق الطرق والقيام بأعمال البنية التحتية كاملاً وبناء بيوت لهم، وهذا سيخلق أسواق تجارية تجذب المستثمرين جدد، ومن ثم تلي تلك الهجرة بالطبقات الاجتماعية الأعلى من الأولى، وان الطبقات البائسة ستذهب تحت قيادة ممثلي القطاعات الثقافية الوسطى المضطهدة في كل مكان والفائضة العدد على الدوام، ويضيف هرتزل بأن اليهود الذين يعلنون انتصارهم لأفكاره في إقامة الدولة اليهودية سيلتفون حول الجمعية اليهودية، ويشاركون بنشاطاتها وبفضل هذه المشاركة فان هذه الجمعية ستحصل تجاه الحكومات الأخرى على السلطة اللازمة لها لتتكلم وتعقد المعاهدات باسم اليهود، وسيكون لها الحق للتعبير عن نفسها في نطاق الحقوق كقوة سياسية دستورية، ولهذا السبب يمكن اعتبار الدولة اليهودية قائمة، عندئذ ستبدي مختلف الدول استعدادها لمنح الشعب اليهودي السيادة على أرض لا تعود إلى أحد، وستتولى الجمعية اليهودية التفاوض حول الأرض التي ستقوم عليها هذه الدولة، تلك هي الأفكار التي تمخضت عنها عقلية هرتزل لإقامة مشروع الدولة اليهودية وهي: جمعية وشركة، جمعية يلتف اليهود حول الأفكار التي تطرحها وتتكفل بتهيئتهم لقبول الفكرة، وشركة تتولى أمر ترحيلهم وتأمين عملهم وسكناهم في الأرض المعهودة، تحت حماية الدول الأجنبية، وفيما بعد هرتزل تولت الوكالة اليهودية بلورة أفكاره وتنفيذها، وبانت مهمتها التحدث باسم اليهود وتجميعهم بكل الوسائل والأساليب، وكان ذراع المؤتمر الصهيوني ثم الوكالة اليهودية، صندوقين أساسيين هما الكيرن كايمت، والكيرن هايسود. (124)

124 د. محمود، عباس، مطلوب كيرن هايسود عربي، ط2، بيلسان، فلسطين - رام الله، 2011، ص 3 - 4.

1.3.1.3 الكيرن كايمت:

أسس هذا الصندوق في ديسمبر / كانون الأول من عام 1901 لشراء وتطوير الأراضي، بقرار صادر عن المؤتمر الصهيوني الخامس الذي عقد في بال بسويسرا وينص القرار على ان يكون الصندوق القومي اليهودي ملماً دائماً "للعشب اليهودي" وعلى ألا تستغل أمواله إلا في مشاريع شراء الأراضي في كل من سوريا فلسطين.

كانت فينا مقر هذا الصندوق بين عامي 1902 و 1907، وأنشئت فروع في مختلف أنحاء العالم، ثم نقل إلى كولون في ألمانيا عام 1907 وعين "ماكس يودن هايمر" رئيساً لمجلس إدارته، ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى نقل إلى مدينة هاج في بولندا المحايدة، ثم في عام 1922 نقل المكتب الرئيسي إلى القدس، وعندما أنشئت "دولة إسرائيل" تحولت مهمة الصندوق من شراء الأراضي إلى تحسين وتشجير الأراضي، والاهتمام بالمنزهات وتعبيد الطرق وبناء السدود، وساعد الصندوق أيضاً في عملية جذب المهاجرين عن طريق إنشاء قوى عمالية وتأمين العمل للقادمين الجدد، وفي عام 1960 وقعت اتفاقية بين الصندوق القومي والحكومة الإسرائيلية نصت على تشكيل ما يسمى بسلطة الأراضي لإدارة ممتلكات كل من الحكومة والصندوق القومي، وعين لهذه السلطة مجلس مؤلف من سبعة أشخاص ممثلين عن الحكومة وستة أشخاص ممثلين عن الصندوق القومي، ونصت على تشكيل سلطة تنمية الأراضي وتعمل هذه السلطة ضمن إطار الصندوق القومي ويشرف عليها مجلس مؤلف من سبعة أشخاص يمثلون الحكومة، وتقوم هذه السلطة بالإشراف على تنمية وتشجير الأراضي، إن الغالبية العظمى من الأراضي التي سجلت باسم الصندوق أو الحكومة الإسرائيلية فيما بعد كانت عبارة عن "هبات"، قدمتها الحكومة البريطانية له من الأموال العامة، وبمارس الصندوق نشاطاته في أربعين دولة حيث يقوم بعمليات التتقيف الصهيوني في المدارس وبين حركات الشبيبية في داخل إسرائيل وخارجها . (125)

2.3.1.3 الكيرن هايسود :

صندوق إعمار فلسطين أو الصندوق التأسيسي، أنشأه المؤتمر الصهيوني العالمي المنعقد في لندن عام 1920، وفي 1921 سجل في لندن باعتباره شركة بريطانية محدودة، مهمته جمع الأموال من

125 محمود، عباس، مطلب كيرن هايسود عربي، مرجع سابق، ص 5.

الصهاينة وغير الصهاينة لتمويل مشروع يتعلق بإيجاد قاعدة للاستيطان في فلسطين ولوضع الأساس المتين لتأسيس الوطن القومي اليهودي، وكذلك تشجيع المشاريع التجارية ضمن شركة مقفلة ذات رأس مال سري، وتم اختيار أعضائه من المجلس الصهيوني الأعلى، في عام 1926 نقل إلى القدس وعندما أسست الوكالة اليهودية الموسوعة المختصة بشؤون فلسطين، استمر الصندوق يؤدي دوره باعتباره الممول الرئيسي للميزانية الصهيونية، ومنذ عام 1925 مارس هذا الصندوق أعماله في الولايات المتحدة تحت اسم (صندوق إغاثة فلسطين الموحد) ويضم هذا الصندوق "الصندوق القومي اليهودي" الذي اتحد في عام 1939 مع كل من لجنة التوزيع اليهودية الأمريكية والمؤسسة القومية لخدمة اللاجئين، لقد قام هذا الصندوق بإبان الانتداب البريطاني على فلسطين بتمويل نشاطات الهجرة اليهودية والتعليم والإسكان وشراء الأسلحة والاستيطان الزراعي، ومن أهم أمواله أسست وطورت 820 قرية وبلدة ومولت مشاريع كثيرة أبرزها، البنك العام للرهن العقاري، وشركة تنمية الأراضي الزراعية ومؤسسة مكوروث للمياه، وارسكو وهي مؤسسة الاستيطان في القرى والضواحي، وسوليل بونيه (مبنى الهستروت ومؤسسة العقود) وشركة كهرباء فلسطين، ومشاريع استثمار بوتاس فلسطين، وبنك انكلو - فلسطين، ومؤسسة أفيدار للإسكان، وشركة العال للطيران، ومن أبرز مؤسسي هذا الصندوق حايم وايزمن، وفلاديمير جابوتنسكي، وللصندوق 54 فرعاً، في مختلف أنحاء العالم . (126)

لقد كان معظم اليهود الألمان إما لا صهيونيين أو معادين للصهيونية، وقبل عام 1937 وجد الاتحاد الصهيوني لألمانيا صعوبة كبرى في إسماع صوته إليهم، وفي تقرير قدمه الكيرين هايسود إلى الدورة الرابعة والعشرين للاتحاد الصهيوني الألماني عام 1932 جاء فيه: (في معرض تقويم عمل الكيرين هايسود في ألمانيا يجب أن لا يغرب عن البال أننا نتعامل ليس مع لا مبالاة الدوائر اليهودية الكثيرة بل أيضاً مع مواقفها العدائية) وفي الوقت الذي كان الصهيونيون أقلية صغيرة ولا نفوذ لها بين يهود ألمانيا كانت المنظمات غير الصهيونية هي التي تقوم بالدور الرئيسي بينهم، وعلى رأس هذه المنظمات كان يوجد الاتحاد المركزي للمواطنين الألمان من ذوي الديانة اليهودية الذي تأسس عام 1893، والذي كان يعتبر اليهود الألمان كما يدل اسمه ألماناً وكان يرى واجبه مكافحة اللاسامية، وانسجماً مع هذا الموقف الأساسي فإن الاتحاد المركزي أعلن رفضه البات

126 د. محمود، عباس مطلوب كيرن هايسود عربي، مرجع سابق، ص 6.

للصهيونية ووقف قبل أي منظمة أخرى في مقدمة الفئات والمنظمات التقدمية التي وقفت تكافح اللسامية، ولقد تحدد موقف الصهيونية إزاء التهديد العدواني للسيطرة الفاشية في ألمانيا نتيجة بعض المنطلقات العقائدية المشتركة، فقد كان الفاشيون الصهيونيون يؤمنون بنظريات عرقية غير علمية . (127)

كما التقى الطرفان على أرضية واحدة في اعتقادهم تعميمات صوفية مثل (الشخصية القومية)، والعرق، وكان كلاهما يتصف بالشوفينية ويميل نحو التفرد العرقي الحصري، ففي الوقت الذي يسجل البرنامج الصهيوني مفهوم الشعب اليهودي المتجانس، أي أن معيار الشعب اليهودي ليست التصريح باعتناق الدين وإنما هو شعور شامل بالانتماء إلى مجموعة عرقية تربط بين أفرادها روابط الدم والتاريخ وتصميم على الاحتفاظ بشخصيتها القومية الفردية في نفس الوقت نرى الفاشيين يستعملون نفس التعابير ويرحبون بالمفاهيم الصهيونية، على هذه الأرضية الفكرية المشتركة وعلى ضوء التقسيمات السياسية بين اليهود والألمان نشأت علاقات التعاون ذات الطابع الاقتصادي الظاهر بين الحركتين العرقيتين الفاشية والصهيونية، وكانت الخطوة الأولى من جمعية (الهانوتيا) التي شكلت الأوساط الاستيطانية الصهيونية في فلسطين، والتي كانت تمتلك مساحة كبيرة من الأرض في منطقة مدينة نتانيا الحالية في فلسطين، وبتكليف من هذه الجمعية سافر سام كوهن إلى ألمانيا ونجح في عام 1933 في الحصول من وزارة الاقتصاد الألمانية على رخصة بتحويل مبلغ مليون مارك، وذلك بأن تتلقى الشركة دفعات نقدية بالمارك من المهجرين اليهود لشراء سلع ألمانيا تصدر إلى فلسطين على أن تكون السلع مخصصة لاستهلاك الشركة، إلا إن هذه الشركة استطاعت الحصول من وزارة الاقتصاد على ترخيص بتحويل مبلغ ثلاثة ملايين مارك دون أن تلزم نفسها بتخصص السلع المشتراه بها لاستهلاكها الخاص، ولما كان مثل هذا العمل من اختصاص المؤسسات العامة الصهيونية إذ أنه يتحقق بسياسة الهجرة ونقل الأموال إلى فلسطين، لذلك قام الممثلون الأساسيون للاقتصاد في فلسطين بزيارة قنصل ألمانيا العام واقترحوا جعل البنك الفلسطيني - البريطاني صاحب الحق في الترخيص العام بالتحويل، وكان أن نصح القنصل وزارة الخارجية بقبول الاقتراح .

¹²⁷ محمود، عباس (ابو مازن)، الوجه الآخر للعلاقات السرية بين النازية والصهيونية، ص 16.

بسبب هذا الاقتراح تخلت شركة هانوتيا عن الترخيص الخاص الممنوح لها وفي 8 آب 1933 عقدت في وزارة الاقتصاد الألمانية محادثات حاسمة مع مندوب الحكومة (هاركشتاين) اشترك فيها هوفيان مدير بنك انجلو فلسطين وممثلون عن هانوتيا، أبلغ بعدها وزير الاقتصاد الألماني هوفيان عن استعداده لتوسيع الأساس العام للاتفاق المعقود مع شركة هانوتيا لهدف منح اليهود والمهاجرين من ألمانيا إلى فلسطين إمكانية أكبر لنقل ثرواتهم وتعزيز وتصدير السلع الألمانية إلى فلسطين في الوقت ذاته . (128)

كان الاتفاق يشمل الأفراد اليهود فحسب الذين يرغبون في الهجرة أو الذين يمكن أن يهاجروا في المستقبل إلى فلسطين ولكنه لم يشمل الأموال اليهودية ذات النفع العام ولذلك تحركت الأوساط الصهيونية في فلسطين وألحقت بطلب شمول الاتفاقية لهذا النوع من الأموال، ولهذا الغرض فقد أوصى القنصل الألماني في فلسطين بتاريخ 1933/6/24 بأن تقبل ألمانيا طلباً قدم من (أوسيشكين) صاحب النفوذ الكبير في مؤسسة الكيرين كيمييت إسرائيل (صندوق ارض إسرائيل) بشأن تحويل أموال هذه المؤسسة من ألمانيا إلى فلسطين في إطار اتفاق التحويل، وقد أكد القنصل ان قبول مثل هذا الطلب سيكون بمثابة بادرة حسنة من الحكومة الألمانية ودليلاً على استعدادهم لتقديم تنازلات معينة في المجال الاقتصادي، وقد لقيت مقترحات القنصل آذاناً صاغية في برلين، إذ انه تم الاتفاق مع البنك الانجلو - فلسطين يمنح الكيرين كيمييت الحق بتحويل أموالها، إن من أهم الأهداف التي دعت الحركة الصهيونية لتحقيق مثل هذا الاتفاق هو تمويل هجرة الشباب والعمال من الطبقات الفقيرة غير القادرة على تأمين المبلغ المقرر من قبل الحكومة البريطانية للسماح للمهاجرين من دخول أراضي فلسطين المقدر بـ (1000 دينار فلسطيني)، وبذلك تكون الحركة الصهيونية قد فازت بإحضار طبقتين مهمتين لعلميات الاستيطان ، الطبقة الأولى هي أصحاب رؤوس الأموال والمصانع والمعامل، والثانية هي مجموعة الشباب والعمال الضروريين لتسيير المصانع والمعامل من جهة والقيام بالأعمال العسكرية والعدوانية من جهة أخرى وكل هذا يصب في ساحة تكثيف التواجد اليهودي الصهيوني في فلسطين ليصبح فيما بعد أغلبية قادرة على بسط

128 محمود، عباس (ابو مازن) ، الوجه الآخر للعلاقات السرية بين النازية والصهيونية، مرجع سابق، ص 17.

نفوذها على كل أرض فلسطين سواء من ناحية العدة والإمكانيات أو من ناحية العدد الذي بدأ يتزايد بفضل السياسة الألمانية الفاشية. (129)

إن ما قدمه هذان الصندوقان لخدمة أغراض إقامة الدولة اليهودية في فلسطين لا يتناسب مع حجم تكاليف هذه الدولة والجهود التي بذلت بهذا الصدد، لأن الأطراف الأخرى ساندت والتي لم تظهر في الصورة المرئية كان لها النصيب الأوفر في إعداده وتنفيذه، أن صندوق الكيرين هايسود الذي تكلف بتأمين المهاجرين والمهجرين إلى الكيان الصهيوني وتوفير العمل المناسب لهم في فلسطين، وكذلك تأمين الإقامة المغرية لهم، ومما لا شك فيه أن أسباب النجاح الذي حققه مشروع تهجير اليهود برعاية الكيرين هايسود لا يعود في الأساس إلى بريق لمعان الحركة الصهيونية وجاذبيتها، وإنما يعود إلى الأسباب القاهرة والظروف الاضطرارية والطارئة الصعبة التي مر بها اليهود في أوروبا إبان الحرب العالمية الثانية والتي تمثلت في المذابح النازية التي أصابت من جملة ما أصابت اليهود في كل مكان وصلت إليه أقدام الجنود النازيين . (130)

لقد كانت حصيلة الحرب العالمية الثانية أربعين مليون إنسان من مختلف شعوب العالم، دفع الشعب الألماني منها عشرة ملايين، والشعوب السوفيتية عشرين مليون، والباقي موزعين بين يوغسلافيا وبولونيا وبقية الشعوب، إلا أن ما أشيع بعد الحرب أن ستة ملايين يهودي كانوا ضمن هذه الضحايا، وان حرب الإبادة شملت اليهود بالدرجة الأولى ، ثم انسحبت على باقي الشعوب الأوروبية، وأن لا أحد لا يستطيع أن يؤكد هذا الرقم، ولا يستطيع نفيه كلياً، وان عدد الضحايا اليهود قد يكون ستة ملايين وقد يكون أقل بكثير بحيث يصل إلى أقل من مليون – ولكن إشارة الجدل حول الرقم اليهودي لا يقل بأي حال من بشاعة الجريمة التي ارتكبت بحقهم، لأن مبدأ قتل إنسان – مجرد إنسان – هو جريمة لا يمكن أن يقبلها العالم المتحضر، لا يمكن أن تقر بها الإنسانية . (131)

في عام 2011 توجه الرئيس الفلسطيني محمود عباس (أبو مازن) إلى هولندا، وكان من ضمن البرنامج اللقاء مع البرلمان الهولندي من شيوخ ونواب، وبعدهما تكلم أمامهم لمدة 10 دقائق كمقدمة،

¹²⁹ محمود، عباس (أبو مازن) ، الوجه الآخر للعلاقات السرية بين النازية والصهيونية، مرجع سابق، ص 19 – 20 .

¹³⁰ محمود عباس (أبو مازن) ، مطلوب كيرن هايسود عربي، مرجع سابق، ص 7.

¹³¹ محمود، عباس (أبو مازن) ، الوجه الآخر للعلاقات السرية بين النازية والصهيونية، مرجع سابق، ص 5.

تم فتح باب الأسئلة، وكان أول سؤال من قبل أعضاء البرلمان موجه للرئيس محمود عباس: هل تنكر المحرقة (الهولوكوست)؟ فأجابهم لا، ولكنك لا تعترف بالعدد، قال لهم: أنا ما ذهبت لأقوم بعدهم (أنا ما عديتهم)، قالوا: هناك عدد معترف به، قلت،— من الذي اعترف به، قالوا اليهود: قلت لهم ماذا يقول اليهود، قالوا ستة ملايين، قلت لهم هذا رأي اليهود، وأنا لا يوجد عندي عدد، وأنا تكلمت عن هذا الموضوع (الهولوكوست)، إذن انتم ماذا تريدون بالعدد سواء ستة ملايين أو عشرة ملايين، فمن قتل بريء فكأنما قتل الناس جميعاً، فصمتوا . أنا كمسلم أرى أن هناك آية في القرآن الكريم في منتهى الخطورة تقول:

بسم الله الرحمن الرحيم: " مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ " صدق الله العظيم . * (132)

وبذلك يشكل محمود عباس موقفاً ثابتاً برفضه قتل اليهود، (موقف إنساني (أخلاقي) وموقف عقائدي).

ويبدو أن مصلحة الحركة الصهيونية أن تضخم العدد الذي قتل في الحرب ليكون مردود المكاسب التي وطنت النفس على الوصول إليها كبيراً، الأمر الذي دعا إلى توكيد هذا الرقم وتثبيته في ذهن الرأي العام العالمي ليشعر بمزيد من تأنيب الضمير ومزيد من العطف على الصهيونية بشكل عام، ولقد ناقش علماء كثيرون مبدأ الرقم - ستة ملايين - وخرجوا بنتائج مذهلة تجعل مجمل الضحايا اليهود يعدون بمئات الآلاف، إن الكاتب والمؤرخ راوول هيلمبرغ فيعتقد أن العدد لا يزيد عن ثمانمائة وست وتسعين ألفاً فقط، وتصر الحركة الصهيونية إن الملايين الستة قتلوا جميعاً وان احد منهم لم ينج من الموت، ثم تحاول الحركة أن تصور طريقة قتلهم وكيف تمت في معسكرات الاعتقال وغرف الغاز، مغفلة جانبيين أساسيين: أولهما أن أعداد كبيرة من هؤلاء اليهود كتبت لهم الحياة سواء من تم إنقاذهم من قبل الحركة الصهيونية للهجرة إلى فلسطين أو من تمكنت شعوب ودول العالم من حمايتهم وإبعادهم عن أيدي النازيين، كما فعل الاتحاد السوفييتي عندما رحل

* سورة المائدة (آية 32)

¹³² مقابلة مع الرئيس الفلسطيني محمود عباس، فلسطين - رام الله، مكتب الرئيس، 2011/07/07.

مليون يهودي إلى الجمهوريات الشرقية، بالإضافة وجود مئات الألوف من اليهود في معسكرات الاعتقال أحياء عندما حررت المناطق من قبل دول الحلفاء، والجانب الثاني هو القضاء على الضحايا لم يتم في معسكرات الاعتقال وغرف الغاز بشكل قاطع وإنما وقع جزء من هذه الضحايا بسبب المشاركة في الحروب والقتال وحرب الأنصار، وكذلك بسبب الجوع والمرض الذي شمل شعوب أوروبا ومواطنيها هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن معسكرات الاعتقال لم تقتصر على اليهود وإنما ضمن أناساً من كل الشعوب الأوروبية من محاربين ومفكرين ومتقنين وأسرى حرب ومناهضي الفاشية، وأيضاً الحقيقة تتعلق بغرف الغاز وغيرها، تلك الغرف التي أشيع أنها أعدت لقتل الأحياء من اليهود، ففي بحث علمي نشره البروفسور الفرنسي روبير فوريسون تحدى فيه وجود مثل هذه الغرف للأهداف الشائعة وهي قتل الأحياء مؤكداً أنها كانت فقط لحرق الجثث خشية انتشار الأمراض والجراثيم في المناطق.

فقد وقعت الحرب العالمية الثانية وسقط ملايين الضحايا وان هتلر متزعماً الحركة النازية الفاشية هو الذي أثار مدفوعاً بعقيدة شوفينية علوية عرقية توسيعية، وانه أسس معسكرات الاعتقال في كل أنحاء أوروبا لتستوعب كل خصومه وأعدائه ومناوئيه ومن صنفهم شعوباً لا تستحق الحياة، وهو الذي ابتدع الغاز أيضاً إلا ان جانباً آخر من الحقيقة بقي في الظلام، كيف يستطيع أصحاب الخيال الواسع، والأفق الرحب الفسيح ان يتصوروا أن شركة (بوت أسست) بين نازي هتلر وبين قيادة الحركة الصهيونية هدفها متجهاً قتل اليهود، كيف يمكن أن يصدق عقل أن مؤسسة الحركة الصهيونية تتصدى للدفاع عن (شعب) ثم تكون سبباً في إبادة هذا الشعب . (133)

عند مناقشة الفكر الصهيوني المعلن الذي اعتنقه إتباع الحركة عن قناعة وإيمان، نجد أن هؤلاء يؤمنون بنقاء العرق اليهودي وصفائه، مثلما أمن هتلر بصفاء العرق الآري ونقاؤه، وهي تدعو لإيجاد حل جذري وحاسم (للمسألة اليهودية) في أوروبا عن طريق الهجرة إلى فلسطين ، وهتلر يدعو ويمارس ذلك، وهي تدعي أن اللاسامية مسألة أبدية تسري في دم الأغيار ولا يمكن القضاء عليها أو التخلص منها، وتجد فيها المحرك الأساسي للهجرة الصهيونية، فان لم تكن موجودة يجب ابتداعها وان خمدت لا بد من تحريكها، ومن المعروف جيداً أن محرك اللاسامية هو الاضطهاد والقمع وهو بالتأكيد أمر مقبول من الحركة الصهيونية.

133 محمود، عباس (ابو مازن) ، الوجه الآخر للعلاقات السرية بين النازية والصهيونية، مرجع سابق، ص 7 .

إن حصيلة هذه الأفكار تعني الترخيص المفتوح لكل عنصري في العالم وعلى رأس هؤلاء هتلر والنازيون ليتصرفوا باليهود بالشكل الذي يريدون ما دام هذا يضمن هجرة الأفراد إلى فلسطين، ولم تكتفي بمنح هذا الترخيص بل كانت تطلب مزيداً من الضحايا لتتساوى مع تضحيات الشعوب الأخرى في الحرب، لأنها ترى أن ارتفاع عدد ضحاياها يجعلها تملك حقاً أكبر وامتنياز أوسع في الجلوس إلى طاولة المفاوضات بعد انتهاء الحرب وتوزيع الغنائم، وحيث أن الصهيونية لم تكن طرفاً مقاتلاً يقدم التضحيات من خلال الحرب والقتال، فلا بد لها أن تقدم مادة بشرية تحت أي اسم ليرتفع رقم الضحايا الذي ستفاخر به الأمم يوم الحساب. (134)

كيف انتهت الحركة الصهيونية بالتعاون مع هتلر، ثم تشير إلى كتاب وأدباء ومفكرين ومثقفين صهاينة تحدثوا وأدانوا هذا التعاون، إن ما حصل مع الحركة الصهيونية عندما حكم (العمل) دولة إسرائيل رفضوا منح التحريفيين أنصبتهم، فبدأ هؤلاء بكشف الحقائق وتمزيق ستر البهتان، لكنهم نسوا في غمرة الحديث دور العماليين، الحديث عن دورهم - أنفسهم - المتكافئ والمتساوي مع الآخرين فجاء طرف ثالث ليفضح مواقف الجميع، إن كثيرين ممن اعتنقوا الصهيونية وعاشوا مرحلة الحرب، قد أذهلتهم نتائج التعاون الصهيوني النازي، وأرعبتهم ضخامة أرقام الضحايا، وصدمتهم فداحة الخسائر فأصيبوا بخيبة أمل في حركة لا يمكن أن يصل إجرام في عراقتهم إلى ما وصلت إليه، الأمر الذي جعلهم يسجلون انطباعاتهم ومشاهداتهم ويعلنون عن براءتهم من تلك الأعمال التي ارتكبت والجرائم التي اقترفت، يضاف إلى ذلك وقوع وثائق الرايخ الثالث في أيدي كثيرة تمكن بعضها من عرض هذه الوثائق التي توضح طبيعة العلاقة والتعاون بين النازيين والحركة الصهيونية، وإن التطرق إلى هذا الجانب من الحقيقة الذي يفضح نشاطات الحركة الصهيونية، يعتبر من المحرمات التي لا يجوز المساس بها أو كشف النقاب عنها، وكل من يحاول الوصول إليها أو الاقتراب منها، لن يكون مصيره أقل سوءاً من مصير ادولف ايخمان الذي خطف من الأرجنتين بعد أن أدلى بحديث مسهب لمجلة لايف الأمريكية، كذلك لن يكون أحسن حالاً من الزعيم الصهيوني إسرائيل كاستنر الذي تجرأ دافع عن نفسه أمام المحكمة الإسرائيلية فكانت نهايته الاعتقال على يد (شين بيت) في أحد شوارع تل أبيب، وقائمة التصفيات شملت أيضاً الصحفي

134 محمود، عباس (ابو مازن)، الوجه الآخر للعلاقات السرية بين النازية والصهيونية، مرجع سابق، ص 8.

الألماني الدكتور (كيون) الذي امتلك مجموعة من الوثائق المعدة للنشر والذي وجد (قبل أن ينشرها) قتيلاً في غرفته في احد فنادق ألمانيا.¹³⁵

4.1.3 العنصرية الصهيونية:

لقد أعلنت الصهيونية أن الشعب اليهودي شعب واحد استطاع المحافظة على سماته عبر أكثر من عشرين قرناً من الشتات وأنها تسعى لخلق ملجأ من أجل اليهود كل اليهود، وأنها تصنع الوطن لتجمع به كل يهود العالم وتحميمهم من الاضطهاد، والمذابح التي يتعرضون لها بين الحين والحين وهي بالتالي حركة تحرر وطني يهودي وحركة انبعاث قومي يهودي، شعارها الشوق إلى صهيون وهدفها ارض الميعاد وارض الأجداد، هل يعني أن الحركة الصهيونية استمدت عنصريتها من اليهود، تحقيقاً لما ورد في التوراة عندما اعتبر الله بني إسرائيل شعبه المخلص وفضلهم على الناس وخصهم بمحبته وأوكل إليهم مهمة المحافظة على وصاياها العشر وتعاليمه الإلهية وجعلهم موثلاً للأخلاق دون غيرهم من الشعوب التي خلقت مجبولة على الشر وغير قادرة على الخير التلقائي دون إشراف وتوجيه اليهود الذين هم أداة الرب الأزلية لفرض رسالته ومثله على عالم غير قادر على اكتشاف الخير وممارسته إلا بواسطتهم، حيث يخاطب الإله شعب إسرائيل بقوله : " أنتم أولاد الرب إلهكم لأنكم شعب مقدس للرب ، إلهكم وقد اختاركم الرب لكي تكونوا له شعباً فوق جميع الشعوب التي تعيش على الأرض " .

ولم يرد نص من نصوص التوراة على عبارة شعب الله المختار، دون أن يؤكد قدسية هذا الشعب، إن الصهيونية استمدت استعلائها وشموخها على الآخرين وتعاليمها عليهم من تعاليم الديانة اليهودية وهذا الافتراض يجرنا إلى اعتبار أن جميع اليهود صهاينة وأنهم في اعتناقهم للصهيونية إنما يتبعون أحكام دينهم وتعاليم توراتهم ولكن الحقيقة تتنافى مع هذا التعميم، ونحن في هذا نظم ملايين اليهود الذين لا يؤمنون بالصهاينة كعقيدة، وسياسة وأسلوب، بعضهم يرفضها استناداً إلى تعاليم الدين اليهودي، والبعض الآخر يرفضها لأنه لا يرى إنها الحل الصحيح للمشكلة اليهودية (إن وجدت هذه

¹³⁵ - محمود، عباس (ابو مازن)، الوجه الآخر للعلاقات السرية بين النازية والصهيونية، مرجع سابق، ص9.

المشكلة)، والبعض الآخر يرى أنها خلقت في العالم مشكلة اسمها المشكلة اليهودية، لم تكن موجودة في الماضي. (136)

إن المضمون الأيديولوجي للحركة الصهيونية يستند إلى سياسة تميز واحتقار وهذا التمايز يبرز دائماً بعبارات "التفوق وعدم الاندماج" فمثلاً وعد بلفور لا يشير إلى وجود الشعب الفلسطيني إلا تلميحاً بعبارة السكان غير اليهود، إن الحركة الصهيونية هو تعبير عن ذات الأساس التاريخي المنطلق من فكرة الاستعمار الاستيطاني، والاستعمار الاستيطاني في مضمونه هو أحد أشكال العنصرية المكرسة لخدمة الامبريالية العالمية، والصهيونية تستند على الأساس الفلسفي المعبر عن التفوق العرقي، والتفوق العرقي في مضمونه هو أرقى المفاهيم النظرية العرقية، حيث يمنح لعرق ما تفوقاً خاصاً على باقي البشرية، إن (شعب الله المختار) و (أرض الميعاد) هما التعبير عن التفوق العنصري الذي شكل الأساس الفلسفي للصهيونية. تعتبر إسرائيل من المجتمعات المتعددة القوميات التي تتكون من مجموعات عرقية وسكان أصليين ومستوطنين أوروبي الأصل، والتناقض الأساسي بين المستوطنين والسكان الأصليين القائم في المجال السياسي، يظهر أيضاً في المجال الاجتماعي، حيث يظهر من خلال التمييز في معاملة الجماعات المختلفة وفقاً لتحديدات قانونية ثابتة، وسكان إسرائيل الذين لا يتجاوزون الملايين الأربعة ينقسمون إلى يهود غربيين (35%) من مجموعة السكان، ويهود شرقيين (65%) من مجموع السكان اليهود، وكذلك حوالي ثمانمائة ألف عربي، إن إسرائيل تمارس سياسة طرد السكان الأصليين من بلادهم والاستيلاء على أراضيهم، وتجاه الأقلية العربية الباقية تحت الاحتلال تطبق قوانين الدفاع "الطوارئ" والتي أصدرتها بريطانيا أبان احتلالها لفلسطين". (137)

لقد جسدت الصهيونية أفكارها ببناء دولة لها على أرض فلسطين وجاءت بأنصارها وغير أنصارها من اليهود في العالم ليستوطنوا هذه البلاد لتحقيق حلم رواد خيال الاستعمار منذ قرنين من الزمان، لذلك فإن الصهيونية تطبق عنصريتها وسياستها التمييزية على أرض (دولتها).

ينقسم المجتمع الإسرائيلي الذي قام في الأصل على تجمع أشتات الجاليات اليهودية في جميع أنحاء العالم إلى مجتمعين رئيسيين مختلفين تماماً إلى درجة جعلت الكثيرين يسمون هذا الانقسام انقسام "

¹³⁶ محمود، عباس، الصهيونية بداية ونهاية، مرجع سابق، ص 8.

¹³⁷ محمود، عباس، قنطرة الشر، مرجع سابق، ص 132.

إسرائيل " إلى إسرائيليين (إسرائيل الأولى) وهي المجتمع المؤلف من اليهود الغربيين (الاشكناز) و(إسرائيل الثانية) وهي المجتمع المؤلف من اليهود الشرقيين (السفارديم)، بدأ انقسام اليهود إلى طائفتين في القرون الوسطى حيث صحبه اختلاف في العقائد والطقوس الدينية والثقافية واللغة والعادات والتقاليد، وتطورت هذه الاختلافات مع الزمن إلى أن أصبح الفريق منهم لا يندمج مع الفريق الآخر بل يكرهه ويحقد عليه، وتحول هذا خلال التاريخ إلى رواسب ذهنية لها أثر اجتماعي في تحكم فئة بأخرى ". (138)

يشكل اليهود الألمان جزءاً من المجتمع الصهيوني الاشكناز هم الذين أشرنا إليهم بعبارة "إسرائيل الأولى" إذ أن الاشكناز هم الطبقة العليا في هذا المجتمع، وهو مجموع اليهود الغربيين القادمين من دول أوروبا الشرقية والغربية، وتميزهم عن اليهود الشرقيين "السفارديم"، الذين قدموا من دول الشرق الأوسط وبخاصة الدول العربية، الاشكناز هم الذين بدأوا عملية الاستيطان في فلسطين وأقاموا الدولة، وتحملوا العبء الأساسي بل الرئيسي فان لهم الحق - حسب اعتقادهم - بأن تكون مقادير الدولة وأجهزتها ومؤسساتها بأيديهم، ولا يحق للآخرين (السفرديم) أن يطالبوا بالمشاركة والمساواة لأنهم جاءوا متأخرين يقطفون الثمار، فلا يجوز لهم أن يقطفوا ثمار جد الآخرين، هذا من جهة ومن جهة أخرى فان الاشكناز يعتبرون أنفسهم أرفع مستوى وأعرق حضارة وأكثر تقدماً وفهماً من الآخرين الذين - حسب تعبيرهم يحملون معهم صفات العرب بتأخرهم وبدائيتهم وهمجيتهم، لكن إذا اعتبر الاشكناز صفوة المجتمع الصهيوني، فان لهذه الصفوة قمة تتربع عل راس الهرم وتشكل هذه القمة من المهاجرين الذي وصلوا إلى فلسطين في الثلاثينات، حيث كونوا لأنفسهم حبلية جعلتهم يسيطرون بقبضة من حديد على كل مقادير البلد منذ ذلك التاريخ، أن الأشخاص الذين يتخذون القرارات بشأن مصير الشعب عموماً أشخاصاً بالغين واشكنازيين ومن القدماء في البلاد، ولا يمكن القول إن المؤهلات فقط التي رفعتهم إلى القمة، إذ تواجدوا هناك لأنهم وجدوا في الزمن الصحيح أو المكان الصحيح، أو لأنهم ولدوا للأباء الصحيحين، فالمكان الصحيح هو أرض إسرائيل والزمان الصحيح هو الثلاثينات، أما الأباء الصحيحون فهم أصحاب الحقول أو

138 محمود، عباس، الصهيونية بداية ونهاية، مرجع سابق، ص 13.

أرباب الصناعة أو الكيبوتسيين، وقد تبلور المقررون كقوة متكثلة منذ زمن وهم يحتلون القمة منذ ذلك التاريخ " (139)

ويعتقد مايكل سلزر من كراهية الغربيين لليهود الشرقيين تعود للأسباب التالية:

1. إن اليهودي الشرقي يذكر اليهودي الغربي بعدوه العربي الذي مافتئ يهدده بإفناء دولته والقضاء عليها .

2. طالما أن اليهود الشرقيين متأخرون كما يدعي الغربيون فليس هناك ما يبرر الفكرة التي تشيعها الصهيونية وهي أنها أدخلت الحضارة للعرب، خصوصاً وان الشرقيين هم الغالبية السكانية وبالتالي فان ثقافتهم العربية هي التي تغلب.

3. الشعور لدى الغربيين بالخوف من أن يأتي اليوم الذي ينحاز فيه اليهود العرب إلى جانب العرب.

4. إن عدم اهتمام الشرقيين بالصهيونية ولا سيما في بدء هجراتهم وعدم تحمسهم لها فيما بعد، يبعد بينهم وبين اليهود الغربيين ويحمل الآخرين على التخوف منهم وعدم ائتمانهم.

5. إن شعور الغربيين بأنهم أصحاب الفكرة الصهيونية التي أقامت الدولة، وبالتالي فان إسرائيل هي لهم وحدهم لأنها من صنعهم، وان سائر اليهود وبالذات اليهود العرب يأكلون ثمار أتعابهم بدون أن يكون لهم دور في إنشاء "الدولة" ومن ثم يتباهون عليهم ويعيرونهم خاصة وإن إعداد الشرقيين تزداد وتتفوق عليهم.

إن عوامل الكراهية والحقد هذه ترجمت إلى واقع ملموس وظهرت على السطح على شكل امتيازات عنصرية منذ بدء تأسيس الدولة، فكان الأوروبيون يتمتعون بمرتبة اجتماعية أعلى، وهذا أدى إلى أن يمنحوا أنفسهم دون سواهم المراكز العليا والأعمال الأفضل والوظائف الكبيرة وان يميزوا أنفسهم في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والمالية والسياسية.

ويعبرون لأنفسهم هذه التصرفات على اعتبار أن الشرقيين متخلفون وينقصهم الحد الأدنى من الثقافة والعلم، واستطاعت هذه الممارسات أن تعمق هوة الخلاف والشقاق وان تفتح جروحاً تتزف

139 محمود، عباس، استثمار الفوز، ط 2 ، بيلسان، فلسطين - رام الله، 2011، ص 33.

باستمرار، ومن أهم مظاهر التفرقة والتمييز بين اليهود الأشكناز والسفارديم التمييز في الإسكان، والتفرقة ضد اليهود الشرقيين في الأعمال، التفرقة في الزواج، التفرقة في مجال التعليم، والعمل على (تغريب) اليهود الشرقيين لإزالة هويتهم وذلك من خلال تطبيق المناهج الغربية في المدارس، وعدم الاهتمام الإعلامي والصحف بتراث الشرقيين الموسيقي والفني والفكري والتاريخي، وفيما يتعلق بالانتخابات والتي تؤدي إلى عدم حصول الشرقيين على أصوات انتخابية لأنها جعلت إمكانية النجاح في الانتخابات مرتبطة بالإمكانات المالية للمرشحين، أضف إلى ذلك القيام بدعوات تشجيع الغربيين على زيادة النسل وذلك بتقديم مساعدات مالية للعائلات التي تتجب أطفالاً وعدم معاملة الشرقيين بمثل هذه المعاملة، بحجة أنهم متأخرين". (140)

لقد جاءت حرب عام 1948 (النكبة) لتدمير المجتمع الفلسطيني وما ورثه من القدم، وتشريد الفلسطينيين وانتشارهم في الآفاق وإرهاقهم مادياً، كان هذا نتيجة للسياسة الصهيونية العنصرية وأساليبها في طرد السكان، وذلك للحصول على أوسع مساحة ممكنة في أرض فلسطين لإقامة دولة يهودية عليها لا يوجد فيه أحد من عرب فلسطين وهم السكان الأصليون، وبالتالي فإن عام 1948 أدت إلى اكتساح ثلثي مساحة فلسطين وإلى طرد (فرار) أغلبية سكانها عن وطنهم، وقد نجحت إسرائيل أو كادت تحقق مقولة المذهب الصهيوني ومفادها أن فلسطين أرض بلا شعب (والمقصود عرب فلسطين) لشعب (والمقصود يهود أوروبا) بلا أرض، كان المشروع الصهيوني عازماً على بناء (دولة يهودية) وفي الشهادة التي أدلى بها ديفيد بن غوريون، الزعيم الصهيوني الذي صار بعدئذٍ أول رئيس للوزراء في إسرائيل، أفاض في شرح هذا المفهوم قائلاً: "حين نقول "استقلالاً يهودياً" أو "دولة يهودية" فنحن نعني قطراً يهودياً، تربية يهودية، ونعني أيادي عاملة يهودية، ونعني اقتصاداً يهودياً، وزراعة يهودية، وصناعة يهودية، وبحراً يهودياً، نحن نعني سلامة يهودية، امناً يهودياً، واستقلالاً كاملاً كما هو الحال بالنسبة إلى أي شعب آخر". إن المشروع الصهيوني في فلسطين، فلم يكن يريد الاكتفاء بتجريد أهاليها الأصليين من أراضيهم، بل كان يريد كذلك طردهم إلى خارج البلاد لغرض بناء دولة تكون يهودية كما هي إنجلترا انكليزية، وتكون أيضاً ذات يد عاملة يهودية، أنها (رغبة صامتة) كادت تتحقق، رغبة أفصحت عنها بيانات بن غوريون القائلة بأن تحصل الحركة الصهيونية على قطر "يفرغ فعلياً من أصحابه السابقين" ولما لم تتمكن هذه

140 محمود، عباس، الصهيونية بداية ونهاية، مرجع سابق، ص 14 - 17.

الحركة من تحقيق ذلك عن طريق شراء الأرض وعن طريق "الترانسفير"، أي التهجير القسري للفلسطينيين بوسائل اقتصادية أو سلمية، فقد أنجزت القوات اليهودية المنظمة معظم هذه المهمة بقوة السلاح في عام 1948، إن القوات المسلحة اليهودية اكتسحت معظم مساحة فلسطين (78%) وطردت معظم سكانها ورفضت بعودة اللاجئين وبهذا الاكتساح والطرود استولت على معظم أراضي فلسطين العائدة منها للدولة والعائدة للأفراد، مع هذا لم تتمكن إسرائيل من أن تتخلص من جميع أهالي فلسطين الأصليين، فكان عليها أن تتعامل مع أقلية في وسطها وتمتلك أراضي زراعية وغيرها من الممتلكات، لذلك بادرت إسرائيل فوراً إلى فرض نظام الاستعمار الداخلي على من بقي من الفلسطينيين في البلاد، أنها عمدت بشكل منظم إلى ترسيخ سلطتها ليس فقط على الممتلكات التي تركها اللاجئين ورائهم، بل أيضاً على الفلسطينيين الذين بقوا في البلاد، وعلى ممتلكاتهم وذلك تجسيدا للعنصرية الصهيونية تجاه الفلسطينيين " . (141)

5.1.3 الجانب العسكري في الصراع:

إن (إسرائيل) تعتمد إستراتيجية الحرب السهلة والسريعة والتي تعطيها أفضل النتائج بأقل الخسائر مما يظهر أمام العالم بأنها الدولة التي لا تقهر، القادرة على سحق أعدائها في الزمان الذي تريد والمكان الذي تريد وهذا ما استطاعت أن تؤكد في الحرب الأولى لعام 1948 حيث تصدت لسبع دول عربية وانتصرت عليها جميعاً، وكذلك في الحرب الثانية عام 1956، حيث استطاعت بمنتهى السهولة أن تصل إلى مشارف قناة السويس، وفي حرب عام 1967 تمكنت من قهر ثلاث دول عربية كبيرة وتحتل أجزاء شاسعة من أراضيها في وقت قصير جداً وبأقل الخسائر، هذه النتائج لتلك الحروب أعطت الأمان لإسرائيل وأكدت لهم أن دولتهم دولة عظمى وإنها قادرة على أن تمنحهم الاطمئنان على أرواحهم وأملاكهم ومشاريعهم كما أوحت للكثيرين من مغامري اليهود بأن الوقت قد حان ليتقدموا الصفوف إلى أرض العسل واللبن لجني الثروات والأرباح والأموال، الأمر الذي جعل موجات الهجرة إلى الأرض المحتلة تتصاعد وتتسع، أما في حرب الرابعة حرب أكتوبر لعام 1973 فإن الأمر يختلف تماماً، الحرب لم تكن سهلة، ولم تكن سريعة، ولم تكن مضمونة النتائج كسابقاتها، ولم يرتفع القادة إلى مستوى الآلهة بل سقطوا، سياسيين وعسكريين، وفقدوا مراكزهم، وبدل أن يعم الحماس جماهير اليهود ويرفع موجة الهجرة حصل العكس، فقد توقفت

¹⁴¹ سميح، فرسون، فلسطين والفلسطينيون، مرجع سابق، ص 266 .

الهجرة من الخارج توقفاً شبه تام، وبدأت موجات هجرة حقيقية تغادر الكيان الصهيوني، يملأها اليأس والقنوط، وبدأت مرحلة انكماش اقتصادي، فاضطرت الحكومة أن تخفض سعر الليرة أربع مرات، كما اضطرت إلى فرض الضرائب الجديدة واتخاذ إجراءات لتخفيض مستوى المعيشة".⁽¹⁴²⁾

إن تحقيق أي نصر جزئي لا يتبع بنصر آخر أو يدعم ويثبت من أجل الانطلاق إلى نصر آخر هو في النتيجة مضيعة للوقت، وهذا ما يطلق عليه العسكريون اسم "استثمار الفوز" واستغلال المكاسب، ولا نستطيع أن نزع أننا نتفهم بشكل كامل كلتا القاعدتين وتطبيقهما في صراعنا مع إسرائيل، إلا أننا نجزم في الوقت نفسه أننا بدأنا السير على الطريق الصحيح، في تتبعها وتفهمها على المدى المعقول وان كان ينقصها الشيء الكثير، لقد كانت حرب 1981 نموذجاً صالحاً لتجارب يستشف منها إدراك الكثير من معاني القاعدتين المشار إليهما أعلاه لتلك الحرب التي انتهت بعلم مجلس الأمن ومساع من قبل الأمين العام للأمم المتحدة إلى موافقة الطرفين المتحاربين على وقف إطلاق النار، والطرفان المتحاربان هما منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل، وعلى الرغم من أن هذه الحرب لم تكن الأولى بهذه الشمولية - بين القوات اللبنانية الفلسطينية المشتركة وقوات الدفاع الإسرائيلية - فقد سبقتها حروب كثيرة مماثلة بدءاً بالكرامة 1968، وانتهاءً بحملة الليطاني، إلى إن هذه الحرب تميزت بأنها انتهت بوقف إطلاق النار بشكل شبه تعاقدي بين الطرفين، أشرفت عليه الأمم المتحدة وتوسطت لإصلاحية الولايات المتحدة الأمريكية، إن سعي الولايات المتحدة الأمريكية لإيقاف إطلاق النار لم يكن بالتأكيد تحقيقاً لمصلحة فلسطينية، وإنما كان من أجل حماية المصالح الإسرائيلية التي تهدد بشكل مباشر تلك المصالح التي تعرضت للعصف الشديد والمجدي من قبل القوات الفلسطينية اللبنانية المشتركة " .⁽¹⁴³⁾

يخطئ من يعتقد أن اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية بالصهيونية وبإسرائيل وبإقامة دولة يهودية في فلسطين يعود فقط إلى مؤتمر بلنمور حيث قررت قيادات هذه الحركة نقل مركز ثقلها إلى أمريكا بعد أن برزت كزعيمة للامبريالية العالمية، إن من السذاجة أن نتصور أن قيادة الحركة الصهيونية تمتلك حرية الاختيار بالانتقال من دولة إلى أخرى ومن معسكر إلى آخر، لأنها بحسب طبيعة تكوينها ونموها في حضان الامبريالية العالمية يجب أن تبقى مستعدة دائماً لتلقي التعليمات

¹⁴² محمود، عباس، الصهيونية بداية ونهاية، مرجع سابق، ص 71.

¹⁴³ محمود، عباس، استثمار الفوز، مرجع سابق، ص 9.

منها والتصرف حسب مصالحها وطبقاً لرغباتها، ولما كانت أمريكا هي الوارث الوحيد لبقايا الامبريالية في العالم القديم (انكلترا، فرنسا، ألمانيا) فإنها تصبح المؤهلة الوحيدة لاستلام كل هذا الإرث بما فيها الحركة الصهيونية " . (144)

إن الدور الذي رسمته الامبريالية الغربية للدولة الصهيونية في فلسطين والذي يقضي بحماية مصالحها في الشرق الأوسط، ويوفر الغطاء الأمني لمنابع النفط، ويشكل حاجزاً أمام المد الشيوعي في المنطقة، ويقمع حركات التحرر العربية الناهضة، هذا الدور بدأ متواضعاً أمام الأفاق التي فتحت أمامها والتي امتدت إلى القارات الأخرى في أمريكا اللاتينية والوسطى وفي إفريقيا السوداء وآسيا، بحيث أصبحت إسرائيل الذراع الغليظة الأمريكية، فإن الدور الشرق أوسطي - العربي - الذي تؤديه إسرائيل خدمة للامبريالية الأمريكية كبير جداً، لأن إسرائيل لا تستطيع أن تقوم بهذا الدور العالمي وهي الدولة الصغيرة والفقيرة دون أن يقدم لها الدعم المجزي والإمكانيات اللامحدودة، والمقدرة الاقتصادية والعسكرية الفائقة التي تجعلها قوية صلبة فحسب، بل قادرة أيضاً إن تقدم العون بكل أشكاله والقروض والمساعدات للأنظمة التي تختارها الولايات المتحدة، بحيث يكون دور إسرائيل (قنطرة شر) تعبر بواسطتها أمريكا إلى هذه الدول وتفرض سيطرتها عليها وتقمع كل حركة تحرر فيها وتحمي بكل حرايبها أنظمتها الفاسدة والقمعية، لذلك فإن الولايات المتحدة إذ تعتبر إسرائيل مصلحة حيوية إستراتيجية أمريكية تعزز وتحمي مصالح حيوية أخرى في مناطق مختلفة في العالم، فإن من واجبها أن تقدم لها كل ما تحتاج من أسباب الدعم السياسي والعسكري والاقتصادي والمالي والتقني لتستطيع أداء هذه المهمة بنجاح ومقدرة فائقتين. (145)

في حرب لبنان عام 1982/ التي تمت بتدبير ودعم وسلاح وتمويل الامبريالية الأمريكية نجد أن أمريكا كانت تلعب دور الوسيط بين الأطراف المتنازعة لتصل في النتيجة إلى تسوية بينهم من خلال مبعوثها فليب حبيب الذي كان يتردد على مختلف العواصم العربية ويستقبل من قبل زعمائها كمنقذ للبنان وللشعبين اللبناني والفلسطيني، ثم كان المبعوث نفسه حكماً في المفاوضات العسيرة التي تمت بين إسرائيل ولبنان للبحث عن اتفاقية يتم من خلالها انسحاب القوات الإسرائيلية من لبنان، إلا أن الأغرب من كل هذا أن "مكفرلين" مبعوث الرئاسة الأمريكية والخبير أساساً بأمور

¹⁴⁴ محمود، عباس، قنطرة الشر، مرجع سابق، ص 26.

¹⁴⁵ محمود، عباس، قنطرة الشر، مرجع سابق، ص 28 - 29 .

أمريكا الوسطى كان الوسيط في الأحداث اللبنانية التي وقعت بين جبهة الخلاص الوطني المدعومة من قبل سوريا وبين الحكومة اللبنانية، وقد وصل فعلاً إلى اتفاقية وقف إطلاق النار وتشكيل لجنة مشتركة للمصالحة الوطنية، واعتبر هذا الاتفاق حدثاً تاريخياً سيكون له أثر إيجابي على كل المنطقة.

إن الولايات المتحدة كانت طرفاً رئيسياً في التمهيد لاتفاقية كامب ديفيد وتطبيق الجزء الخاص بمصر منها، وكذلك اتفاقيات فك الاشتباك بين الجبهتين الشرقية والغربية والتي تم بموجبها انسحابات إسرائيلية جزئية من مواقع عربية، وعندما ستنتج أمريكا في ترحيل ما يسمى بالقوات الأجنبية على لبنان ستبدو بأعين السذج من أبناء الشعب العربي حماسة السلام التي تحاول أن تكون من خلال صداقاتها وخطواتها لدى إسرائيل تخلص الشعوب المجاورة من بطش الجيش الإسرائيلي، نذكر أن مبادرة الرئيس ريغن التي طرحها في 1/9/1982 اثر خروج القوات الفلسطينية من بيروت، لتسوية النزاع في الشرق الأوسط والتي يبدي فيها نواياه الطيبة تجاه الشعب الفلسطيني من حرمانه من حق تقرير المصير والتأكيد على أن أي حل يجب أن يكون بمعزل عن ممثليه الشرعيين.

إن تحمل أمريكا لهذه المشاق في السعي لدى إسرائيل لحل الأزمات المتلاحقة التي تختلقها في المنطقة، يوصف وكأنه (مكرمة) و (مغامرة) أمريكية في أن معاً، إذ في الوقت الذي تسعى لمساعدة العرب في مآسيهم، تغامر مغامرة محفوفة بالمخاطر في الوقوف بوجه اللوبي الصهيوني الأخطبوط الذي يسيطر على كل مناحي الحياة الأمريكية " .¹⁴⁶

وبعد بيان الموقف الأمريكي تجاه إسرائيل من تقديم كافة الدعم بكل أنواعه، نعود إلى حرب عام 1981، حيث أن تلك الشواهد التي ذكرت كافية للدلالة على الرغبة الملحة لدى الإسرائيليين والأمريكيين على غير عادة لإيقاف القتال الذي يمارسه الفلسطينيون واللبنانيين الذين لا تتوافر لديهم إمكانيات التدريب الجيد والتسلح الجيد والذخيرة الكافية والإسناد والدعم، وكل ما لديهم تصميم وإصرار على المواجهة، والمواجهة هي احد أهم الأسباب التي جعلت الإسرائيليين يلحون في طلب وقف إطلاق النار لأنهم لم يعتادوا المواجهة وليست لهم القدرة عليها، وجربوهم جميعاً مع العرب باستثناء حرب تشرين 1973 هي نوع من الغارات المفاجئة ذات الطبيعة الصاعقة التي تنتهي

¹⁴⁶ محمود، عباس، قنطرة الشر، مرجع سابق، ص 18 - 19 .

بطلب عربي لإيقاف إطلاق النار، ويذكر الإسرائيليون جيداً، إن بداية المواجهة الصارمة كانت في معركة الكرامة 1968 (سبق الإشارة لها في الفصل الثاني) في معركة قصيرة أعطت الإسرائيليين نموذجاً لحرب لم يعتادوا عليها من قبل، أما حرب عام 1981 فقد تميزت بطول المدة نسبياً إذ قيست بالحروب السابقة التي كانت تعد بالساعات، لأنه ليست بمقدور إسرائيل أن تخوض حرباً طويلة تستنفر فيها كل طاقاتها وإمكاناتها وتعطيل الحياة فيها، وتعرضها لمزيد من الخسائر التي لا طاقة لها بتحملها، إن الحرب التي خاضتها إسرائيل ضد م.ت.ف تختلف عن سائر الحروب التي وقعت في الماضي ضد مصر (1967، 1948، 1967، 1973) (تم الإشارة إليها سابقاً في الفصل الثاني) وعن المعارك ضد الأردن (1948، 1967) وعن النزاعات ضد سوريا، وليس المقصود الاختلاف التقني بين هذه الحروب، وطريقة استخدام القوات، وإنما في المبادئ والقيم الأساسية التي اتبعتها منظمة التحرير الفلسطينية مقارنةً بالحروب السابقة، إن الحرب ضد م.ت.ف في صيف 1981 ستسجل كحدث تاريخي في تاريخ الجيش الإسرائيلي، ويتمثل ذلك، بنقل الحرب إلى جبهة إسرائيل الداخلية المدنية، ونزوح عدد كبير من الإسرائيليين نتيجة لذلك بالإضافة إلى الخسائر البشرية الفادحة (كعب أخيل في الكيان الصهيوني) نقاط الضعف في إسرائيل التي يجب (استثمار الفوز) من خلالها " . (147)

إن خبراء الحرب والسياسة في إسرائيل يعتبرون الحرب السادسة (حرب لبنان) نمطاً جديداً من الحروب لم تعدها إسرائيل، وهي الحرب الأولى التي نقلت فيها المعركة إلى قلب الاستيطان الصهيوني، خلافاً للنظرية الداعية إلى نقل المعركة إلى أرض "العدو" باستمرار، تلك النظرية التي طبقتها في مختلف حروبها مع العرب، ويعلق على نتائجها الإسرائيليون، مؤكداً انتصار م.ت.ف فيها وقد انتهت بخسارة كبيرة لإسرائيل في النقاط، وبربح معين لم.ت.ف في النقاط.

إن النظرية العسكرية الإسرائيلية تستند إلى مبادئ أساسية اعتمدها القيادة الصهيونية وطبقتها من قبل إنشاء دولة إسرائيل وبعد قيام إسرائيل وتلك المبادئ هي:

1. **عدم المواجهة المباشرة:** وهي تعتمد في هذا المبدأ على الضربات الخاطفة والسريعة والصاعقة، والتي لا تمكن الطرف الآخر من المواجهة أو لجمع إمكاناته للتصدي، وتضعه أمام الخيار الواحد وهو الانسحاب الكيفي أمام قواتها الزاحفة.

147 محمود، عباس، استثمار الفوز، مرجع سابق، ص 13 .

2. **عدم التراجع عن رؤوس الرماح:** التثبت بالمستوطنات المتقدمة والدفاع عنها بكل الإمكانيات، لان انهيارها يعني حتماً انهيار كل ما سيأتي بعدها.

3. **الحرب الخاطفة:** لقد اعتمد إسرائيل الحرب الخاطفة ضد الدول العربية للتمكن من إخراج هذه الدول واحدة تلو الأخرى من المعركة. بحيث تشل حركتها وتوقع بها خسائر كبيرة دون أن تحمل هي أي خسائر تذكر، ولذلك فإنها تحشد كل إمكانياتها للقضاء على مفرزة صغيرة لتقضم ظهرها، وتترك أثراً معنوياً فعالاً لدى الآخرين بحيث تخرجهم من المعركة دون الدخول معهم في المعركة، ولعل ابرز ما تحرص عليه إسرائيل هو تخفيف خسائرها البشرية إلى الحدود التي لا تذكر ولا ترهقها أو تخرجها أمام المستوطنين الإسرائيليين.

4. **نقل المعركة إلى أرض العدو:** كانت أحد القواعد الأساسية التي اتبعتها إسرائيل منذ حرب عام 1948، هي نقل الحرب باستمرار إلى الأراضي العربية، بسبب غياب البعد الاستراتيجي وقرب الحدود من التجمعات السكانية المدنية، بحيث تحقق هذه القاعدة هدفين في آن معاً، أولهما إبعاد السكان اليهود عن خطر الحرب ومرمى نيران العرب، والثاني احتلال ما يمكن من الأراضي العربية بقصد التوسع باعتبار التوسع احد أهم ركائز النظرية الصهيونية الداعية إلى البحث باستمرار عن المجال الحيوي.

5. **الضوء الأخضر من قبل الدول الامبريالية:** لما كانت الحركة الصهيونية أساساً حركة عملية للامبريالية العالمية، تحمي مصالحها وتدافع عنها، وتقوم بالأدوار التي كانت في أيام الاستعمار تقوم بها جيوش تلك الدول، فانه من واجب إسرائيل إذا أرادت أن تشن حرباً على جيرانها ان تستأذن زعيمة الامبريالية العالمية أمريكا " . (148)

إن إسرائيل مخلوق إجباري، صنعتة الولايات المتحدة ووضعته تحت حمايتها لتؤدي جملة أغراض ومهمات تضمن مصالح الامبريالية الأمريكية، حتى غدت إسرائيل نفسها مصلحة حيوية أمريكية، ما دامت بهذه الصفة فان واجب أمريكا أن تحمي مصالحها وتقدم لها أسباب البقاء والاستمرار، لقد تهيأ لبعض زعامات العرب في لحظة من لحظات الخلط والجهل بالحقائق أنهم قادرون من خلال مواقفهم على جعل أمريكا تستعيز بهم عن إسرائيل خصوصاً أن لأمريكا علاقات حميمة مع

¹⁴⁸ محمود، عباس، استثمار الفوز، مرجع سابق، ص 15 - 17 .

بعض الأنظمة في المنطقة، الأمر الذي جعل هؤلاء يشطون بأفكارهم وأحلامهم إلى المستوى الذي يجعلهم يتوهمون أن أمريكا يمكن أن تضعهم بمنزلة إسرائيل أو تفضلهم عيها، والواقع أن هناك فرقاً كبيراً بين طبيعة العلاقة الأمريكية الإسرائيلية، والعلاقة الأمريكية مع مختلف دول المنطقة الصديقة لها، إن العلاقة الأمريكية مع هذه الأنظمة (الأنظمة العربية) هي علاقة مصالح مرهونة بوجود وبقاء هذه الأنظمة على سدة الحكم، وبالتالي فإن ذهاب تلك الأنظمة، يعني بالضرورة انهيار العلاقة بشكل كامل، وهذا ما حصل على سبيل المثال في إيران ونيكاراغوا وأنغولا، وهنا لا بد أن نميز جماهير الدولة وبين نظامها ذلك أن الجماهير بطبيعتها معادية للامبريالية لأنها تشعر أنها تمتص خيراتها وتسلب ثرواتها وتدعم كل من يسلبها حريتها وديمقراطيتها، ولا تحس تلك الجماهير بأي تعاطف أو ارتباط مع أمريكا، إن لم يكن العكس تماماً " . (149)

أما في إسرائيل فإن الوضع يختلف كل الاختلاف، لأن كل إنسان مهما بلغت درجة وعيه وإدراكه وفهمه السياسي يعرف انه مرتبط وجوداً وعمداً بالسياسة الأمريكية وبالدمع الأمريكي باعتبار الإنسان الإسرائيلي يشكل في منطقة الشرق الأوسط مصلحة حيوية أمريكية، وبالمقابل فهو مدين لأمريكا بكل ما يملك وبكل أسباب الأمن التي تحيط به وترعاه، وهو يعرف أن يكلف الخزينة الأمريكية مبالغ كبيرة جداً الذي يجعل مستوى معيشة الفرد الإسرائيلي أعلى مستوى في العالم، وعلى الرغم من تلك المبالغ الهائلة التي تقدمها أمريكا لإسرائيل وللمواطن الإسرائيلي فيها، فإن إسرائيل تعتبر اخص عملية استثمار خارجي تمارسه إدارة الاحتكارات الأمريكية خارج الولايات المتحدة.

هذا إذا قيس بمدى الخدمات ومردود هذه الأموال التي تعود على الخزينة الأمريكية والسياسة الأمريكية لا في الشرق الأوسط فحسب، بل وفي مناطق مختلفة من العالم سواء في إفريقيا أو أمريكا اللاتينية والوسطى أو آسيا.

وحسب رأي الصحفي الإسرائيلي فيليب بن، "فإن إسرائيل مخلوق إجباري"، هذا التعبير عمل مضموناً هاماً يبين نشأة واستمرار هذا الكيان لم تكن طبيعية كبقية الكيانات في العالم، فهو يعيش

149 محمود، عباس، قنطرة الشر، مرجع سابق، ص 35.

دائماً على الحقن الأمريكية ويقبع في بيت زجاجي أمريكي في مناخ اصطناعي ودرجة حرارة
اصطناعية ومرتبطة بأنابيب الأكسجين التي تمر عبر المتوسط والأطلسي " . (150)

¹⁵⁰ - محمود، عباس، قنطرة الشر، مرجع سابق، ص 36.

2.3 المبحث الثاني: الموقف من الاتصالات غير المباشرة مع إسرائيل وتوجهات

(م. ت. ف) من الاتصالات

في أجواء الحرب الأهلية في لبنان كان بعض قادة منظمة التحرير قد أدركوا من جوانب الحقيقة ما يكفيهم لكي يتأكدوا أن بقاءهم في لبنان لا يمكن إلا أن يكون مؤقتاً لعدة اعتبارات:

1. إن هناك إرادة دولية لها رأي فيما يتعلق بدور لبنان ومستقبله في المنطقة، فهناك اعتبارات كثيرة تفرض ألا تتخلى بعض الدول الأوروبية، وفي مقدمتها فرنسا، عن موقع تاريخي له أهمية حضارية واقتصادية على شاطئ البحر الأبيض مثل لبنان، وكذلك فإن الولايات المتحدة الأمريكية التي طالما اعتبرت لبنان مركز خدمات أساسياً في مجالات حيوية مثل المال والإعلام والمعلومات، لن ترضى في خاتمة المطاف أن يسقط هذا الموقع في يد من تعتبرهم أكثر العناصر تطرفاً في العالم العربي.

2. إن سوريا التي لم تستطع أن تصل مع إسرائيل إلى أكثر من فك ارتباط واحد محدود من مرتفعات الجولان، كانت تعد نفسها لصراع طويل مع إسرائيل، وهذا الصراع يصعب أن يكون عسكرياً في غياب القوة العسكرية المصرية، وإذا كان ذلك فهو إذن صراع سياسي يحتاج بالدرجة الأولى إلى مقدرة الصبر وقوة الأعصاب، وفي ذلك فإن سوريا لا بد أن تؤمن طريق الاقتراب إليها من لبنان، ومن ثم تصبح بيروت موقعاً لا يمكن ان تسمح فيه سورياً بقوى مناوئة لسياساتها أو خارجة عليها.

3. إن إسرائيل بدورها لن تسمح للمقاومة الفلسطينية ضدها أن تخرج من عمان، ثم تقصى عن القاهرة، ویرغم ذلك تجدها أمامها مباشرة في لبنان، وبالتالي فإن إسرائيل لن تقدر على السكوت طويلاً أمام تجمع فلسطيني كثيف يحاول أن يتخذ من لبنان قاعدة لعمله السياسي والعسكري والإعلامي، ولم تكن منظمة التحرير غافلة عن أن إسرائيل قامت باختراقات كبيرة متنفذه في لبنان، وبالتالي فإن الثورة الفلسطينية في لبنان كانت متوجسة خطواتها الأمامية، وغير مطمئنة إلى خطوطها الخلفية، وذلك دعاها إلى حيث لم تكن مدعوة في مواقع عديدة في لبنان.

4. إن كل القوى اللبنانية لم تكن سعيدة بالوجود الفلسطيني الكثيف في لبنان، وقد راودت بعض اللبنانيين مخاوف من أن يتحول لبنان إلى وطن بديل للفلسطينيين يعرض عليهم وطنهم المفقود، وحتى القوى القومية التي كانت شديدة الصلابة في حمايتها للوجود الفلسطيني في لبنان كانت تفعل ذلك، ولديها قدر كبير من الشك في كفاءة القيادة الفلسطينية وفي مقدرتها على إدارة صراعها، ونتيجة لهذه الأوضاع، فإن العلاقة بين قيادات الثورة الفلسطينية وبين القيادات اللبنانية على اختلاف ألوانها كانت علاقة مشوبة بقدر كبير من الازدواجية فالقيادات الفلسطينية تعرف رأي القوى المختلفة اللبنانية في أحوالها وفي نوعية رجالها، وهي تدرك أن كل هؤلاء الأطراف يحاولون استخدام الوجود الفلسطيني الذي لم يقدروا على منعه في مناوراتها الداخلية بأكثر مما يساندونه إيماناً بقضية يقدر أصحابها على الوصول بها إلى نتائج مقبولة، ونتيجة لذلك فإن العلاقات اتخذت طابعاً لا يطمئن فيه جانب إلى الآخر. (151)

من أثر هذه الاعتبارات السابقة فقد كانت منظمة التحرير تدرك أن لديها فترة سماح محدودة في بيروت، وإن عليها أن تتحرك بشكل ما كي تجد لنفسها منفذاً في أوضاع شديدة السيولة، وربما ساعد على هذا الإحساس أن وجود المنظمة في بيروت إحاطتها بالمناخ الذي أشاعته المقاهي الثقافية في العاصمة اللبنانية، كانت أجواء المنظمة قبل بيروت أجواء حافلة بالعنف مكدسة بالسلاح، وفي بيروت أضيف عنصر آخر إلى هذه الأجواء، وهو عنصر التزاحم الفكري والفلسفي بصرف النظر عن القيمة الفعلية للأفكار والفلسفات والحاصل أن المدافع والرشاشات المعبأة بالطلقات وجدت إلى جانبها فوهات أخرى على استعداد لأن تطلق الكثير من الاجتهادات والتنظيرات، وكان إن بدأ التفكير يسري بتساؤل شاع في البداية ومفاده: لماذا لا تعتبر المنطقة نفسها طرفاً مفاوضاً ومستقلاً ما دامت المنظمة كلها تضج بحديث عن المفاوضات بين مصر وإسرائيل، وبين سوريا وإسرائيل، وبين الأردن وإسرائيل، وكان السر الذائع في المنطقة هو وجود قنوات اتصال لم تتوقف بين الأردن وإسرائيل.

وفي ذلك الوقت برز في أجواء المنظمة دور واحد من أعضائها القدامى راح اقتناعه يتزايد يوماً بعد يوم بضرورة أن تقوم المنظمة باكتشاف إمكانية الاتصال مع عناصر في إسرائيل، وكان هذا الرجل هو محمود عباس (ابو مازن)، ولم يكن في اقتناعات محمود عباس اكتشاف جديد، فالمنطق

¹⁵¹ محمد، حسنين، هيكل، المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، سلام الأوهام، مرجع سابق، ص 51-52.

الذي يقول به الآن مسبوق وقد مارسه بالفعل كثيرون، ولكن الجديد أن القائل به اليوم من قيادات الثورة الفلسطينية، وتلك مسألة بالغة الأهمية " . 152

إن كل ما عرفناه عن إسرائيل هو مظاهر قوتها، وآثار جبروتها، رأينا طيرانها المرعب يملك أجواءها وأجوائنا، ورأينا دباباتها تسرح وتمرح فوق أرضنا دون وازع أو رادع، ولم نعرف ، ولم يقدر لنا أن نعرف، ولم يسمح لنا أن نعرف أكثر من هذا، كان الشعار المقدس الذي يكتب على الجدران ويملاً صفحات الكتب والمجلات "أعرف عدوك" شعار يمكن أن يقرأ فقط ولا يمكن أن يطبق أو أن يسمح بتطبيقه "وهكذا عاشت الجماهير العربية مرحلة جهل وتجهيل بهذا العدو الذي نخافه ونخشاه حيناً إلى درجة الرعب، ونستهين به إلى درجة اللامبالاة أحياناً أخرى، كان أمراً مستهجناً أن يضبط إنسان فلسطين أو عربي يتابع أخبار المجتمع الإسرائيلي، أو يقرأ كتاباً عن إسرائيل، ليتعرف على أسرار هذا المجتمع وخبائمه، ويتعرف إلى تركيبته، ليكتشف مكامن ضعفه وأسباب قوته، ويفهم حقيقته وأسلوب حياته، إن أول مبادئ العسكرية الناجحة، تفرض على قائد قبل أن يبدأ هجومه على أعدائه، أن يقوم بعملية استطلاع لتقدير قوته وتحديد أنواع أسلحته وعدد جنوده وأماكن تمركزه، وشؤونه الإدارية، وطرق إمداداته، التي تجعله قادراً على تقدير الموقف، واستنباط النتائج المتوقعة ومدى قدرته على تحقيق الانتصار، وبالمفهوم السياسي فان الدول التي ترسل مبعوثها وجواسيسها ورجال مخابراتها إلى الدول الغربية لتطلع عن كذب على طبيعة الناس وتركيبية المجتمع، ومظاهر قوته، وتناقضاته وعيوبه، ثم تنقف جماهيرها بكل ما يساعدها على رفع معنوياته، بتقديم المعلومات اللازمة عن هذا العدو، بما يضمن لها في النهاية أن تضعه تحت المجهر للتصرف على ضوء ذلك " . (153)

وولدت " فكرة الاتصالات " الضرورة، بعدما سادت في الوطن العربي (بفضل الأنظمة الرسمية وبخاصة دول الطوق) مقولات بل ومفاهيم لها بعد إيديولوجي طالت غالبية القوى والتنظيمات والأحزاب في السلطة والمعارضة، تعتبر مثل هذه الفكرة (فكرة الاتصالات) محرقات قومية، وضرورة أمنية للمصلحة العليا، تبرز بسذاجة بأنها تخدم مسار استمرارية العداء ضد المجتمع الإسرائيلي، وكان الجهل بذاته أصبح ميزة وسمة العمل الوطني، وبازدياد الغرق فيه يزداد الموقف

152 محمد، حسنين، هيكل، المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، سلام الأوهام، مرجع سابق، ص 53.

153 محمود، عباس، طريق أوسلو، مرجع سابق، ص 25 .

صلابة ضد إسرائيل التي قامت في بلادنا على حساب الأرض والشعب، وفي لحظة نوم (ان لم نقل غير ذلك) للأنظمة.

وفي إطار ممارسة التغييب هذه لمعرفة المجتمع الإسرائيلي، اعتقدت الأنظمة وبخاصة أنظمة الطوق، إنها بمقدار مضيها في سياسة الجهل والتجهيل وأحجامها عن ذكر كل ما يتعلق بإسرائيل والإسرائيليين وعدم التعاطي مع ذلك كله، فإنها تضمن عدم وجود الآخر، حتى أن البعض فاض بأفكاره الثورية إلى حد اعتبار إسرائيل مجرد "وجود مزعوم" وقد راق هذا الاكتشاف النظري - لإسرائيل المزعومة - لوسائل الإعلام الأنظمة، فراحت تردده بلا حساب أو تفكير، أما الوسائل الإعلامية المكتوبة فتصفها بين معترضتين (إسرائيل) دلالة وتوكيد على التشكيك في وجودها، وبهذا دخل في روعها أنها تؤدي دورها الكفاحي الإعلامي، واعتقدت أنها أراحت ضميرها، وكفرت عن ذنبها وقدمت خدماتها الجليلة في صالح الجماهير ووجدانها الثوري تجاه قضية فلسطين، وأشبع رغبات الجماهير للنضال لا تعرف عنه شيئاً سوى كونه مزعوماً، ولكن الواقع شيء والواقع في الوهم شيء آخر فمثل تلك السياسات والأفكار والمفاهيم لن تسهم في نفي واقع وجود إسرائيل بقدر ما خلقت من قتل لوجدان واندفاع الإنسان العربي في الدفاع من أجل عودة الشعب الفلسطيني إلى أرضه وإقامة دولته عليها.

إن الاعتقاد بان الجهل أو بالأحرى تغييب الآخر (العدو) بأنه نضال قومي ليس في الحقيقة سوى هروب من المسؤولية تجاه النضال القومي وهو عملية متعكسة معه، وإذا كان هذا الجهل والتجهيل قد طبق المحكوم، فإن الحاكم ذاته قد مارسه بنفس الدرجة، فتساوى الحاكم والمحكوم في أغرب مفارقة مأساوية تعيشها بلداننا، مفارقة تبلغ ذروتها عندما تدق طبول الحرب، فهل حقاً يمكن لابد أن تقاوم مجهولاً؟ أو أن تتجح في حرب مع مزعوم يعرف عنها كل شيء ولا يعرف عنه إلا النذر اليسير. وكان ما كان من حروب أثبتت أن الجهل لا يولد سوى الهزيمة، وأكدت المقولة بأن تلك الأنظمة لم تكن معنية بالصراع العربي - الإسرائيلي، ولو كانت غير ذلك لمارست غير ذلك، ولا عملت على ممارسة الجهل والتجهيل بالمجتمع الإسرائيلي". (154)

"في بداية عام 1970 قد توليت مهمة التعبئة والتنظيم في حركة فتح، لم أجد ما أعبئ به كوادرات الحركة إلا بضعة من التجارب الثورية التي سبقتنا مثل تجربة فيتنام والصين والجزائر وكتب

¹⁵⁴ محمود، عباس، هذه الاتصالات لماذا، ط 2، بيلسان، فلسطين - رام الله / 2011، ص 4 - 5 .

جيفارا، أو التجربة الصهيونية منذ هرتزل إلى إقامة الدولة وما بعدها، فلم نكن نعرف أكثر من عناوين بسيطة وبدون أية معلومات. وفي أحد الأيام قرأت خبراً في صحيفة محلية، يفيد بأن يهود البلاد العربية أصبحوا يشكلون أكثر من نصف سكان إسرائيل، وأثار هذا الخبر فضولي وتساؤلاتي، كيف زودت الدول العربية إسرائيل بنصف سكانها؟ وكيف يعيشون فيها؟ وما هي علاقتهم مع اليهود الغربيين؟ وعدد من الأسئلة التي لم أجد لها جواباً عليها، وكان لابد من بدء مرحلة جديدة من القراءة والإطلاع والبحث عن مكونات إسرائيل وخباياها، ومنذ عام 1970 حتى عام 1977 نشرت كتابين عن الهجرة اليهودية من البلاد العربية والدول الغربية، وعلاقات إسرائيل وأمريكا، وأنصار السلام داخل هذا المجتمع وغير ذلك من المعلومات الأولية التي تفيد في تكوين فكرة أولية عن إسرائيل. (155)

وفي تلك الفترة رفع محمود عباس شعارين: الأول مطالبة الدول العربية بالسعي لإعادة اليهود الذين هاجروا أو هجروا منها، وقد لبت كل من مصر والعراق وليبيا وتونس والمغرب هذه الدعوة، وأصدرت كل منها بياناً أو قراراً يسمح لليهود بالعودة إلى بلادهم، والثاني، العمل على الاتصال بالقوى الإسرائيلية لإجراء حوار معها للوصول إلى السلام، وقد صادف الشعار الأول معارضة بعض السياسيين والمتقنين الفلسطينيين، بينما ووجه الثاني بهجوم عنيف من مختلف الأوساط الفلسطينية (منظمة التحرير الفلسطينية) والعربية الرسمية منها والشعبية.

عقدت دورة المجلس الوطني الثالثة عشر في القاهرة في الفترة الممتدة ما بين 12-22/3/1977، وقد سبق هذه الدورة لقاءات أجراها عصام السرطاوي مع عدد من الإسرائيليين، وقد شنت جميع الفصائل دون استثناء على عصام السرطاوي هجوماً لا يحتمل، وقد تولى المساهمة في الهجوم عدد من قيادات وكوادر حركة فتح التي ينتمي السرطاوي لها. (156)

لقد بدأ التفكير جدياً بأنه يجب البحث عن منافذ، وطبعاً البحث عن المنافذ ليس سهلاً، لأنه ومنذ البداية تكلم عن الكفاح المسلح ومنظمة التحرير الفلسطينية بكافة فصائلها تتتهج أسلوب الكفاح المسلح كأسلوب وحيد لتحرير فلسطين، (وتأتي لتقول مفاوضات)، هذه كانت صعبة على منظمة التحرير والشعب الفلسطيني، ومن هنا خرجت (محمود عباس) قليلاً عن السياق مع القيادة

155 محمود، عباس، طريق أسلو، مرجع سابق، ص 26.

156 محمود، عباس، طريق أسلو، مرجع سابق، ص 27.

الفلسطينية وبدأت أتحدث وأفكر وأكتب عن الحوار مع الجانب الآخر (الطرف الآخر)، وكان المفصل إلهام عام 1977 في دورة المجلس الوطني الثالثة عشر، لقد كان هناك اتهامات كثيرة لمن يتصل مع الإسرائيليين، وكان في ذلك الوقت عصام سرطاوي، وكنت أنا (محمود عباس) من كلفته فوقفت بالمجلس الوطني ودافعت عن الفكرة للقاء مع الإسرائيليين بصراحة ووضوح.⁽¹⁵⁷⁾

وقبل أن ينهي رئيس المجلس الحوار ويقفل باب النقاش في هذا الموضوع، طلبت الكلمة لأرد على كل المتحدثين في هذا الموضوع (الاتصال)، وقد اكتشفت أنهم على غير علم بالموضوع الذين يتحدثون عنه، ولا يعرفون من إسرائيل إلا اسمها، ولا يفهمون عنها إلا أنها العدو، الذي لا بد أن نستمر في حربه، ولذلك عملت على أستغل نقطة الضعف هذه، وأن أتسلل من هذه الثغرة لأعرض أسلوب التعامل مع الأعداء، وطرق الوصول إلى الهدف، غير مقلد لأهمية البندقية، التي هي أحد وسائلنا للوصول إلى غايتنا، وساعدتني قراءة سبع سنوات وتأليف كتابين على الخوض في مواضيع لم يسمعوها من قبل، وأن أفهم بينهم بكل ثقة متحدثاً مرتجلاً حديثاً دام خمساً وأربعين دقيقة، طارحاً الأفكار التي رغبت في نقلها إليهم بأسلوب منظم ومتسلسل، وقرأت في عيونهم وصمتهم المطبق ما يفيد بأنهم يستمعون لأول مرة إلى نوع من الكلام لم يسمعه من قبل، وعندما أدافع عن عصام السرطاوي فإنما أدافع عن أفكاره التي رحت أثبتها في كل مكان، لأن عصام السرطاوي لم يقم بما قام به من تلقاء نفسه، وإنما بتعليمات مباشرة مني (محمود عباس). بعد 48 ساعة، اتخذ المجلس الوطني قراراً إيجابياً يشير إلى أهمية العلاقة والتنسيق مع القوى اليهودية الديمقراطية، والتقدمية المناضلة داخل الوطن المحتل وخارجه، ضد الصهيونية كعقيدة وممارسة.⁽¹⁵⁸⁾

ومن هنا بدأ التطور في الفكر السياسي الفلسطيني، ومن هنا بدأ الاختراق ولكن هذا الاختراق لم يلقى أذن صاغية من الجميع، ولم يشكل قرار المجلس الوطني بالاتصال بالعناصر الإسرائيلية لأول مرة، بالجدية الكافية ليكون منهجاً فرفض.⁽¹⁵⁹⁾

¹⁵⁷ مقابلة مع الرئيس محمود عباس، فلسطين-رام الله- مكتب الرئيس، 2011/7/7.

¹⁵⁸ محمود، عباس، طريق أسلو، مرجع سابق، ص 28.

¹⁵⁹ مقابلة مع الرئيس محمود عباس، فلسطين-رام الله- مكتب الرئيس، 2011/7/7.

إن القرار بهذه الاتصالات لم يكن قراراً فردياً، وإنما بإطلاع وموافقة عدد من أعضاء قيادة فتح، الذين بدأت تروق لهم مثل هذه الأفكار، إلا أنهم كانوا غير مستعدين للدفاع عنها، لأن الدفاع يتطلب ذخيرة من القراءة والمعلومات والإطلاع التي لم تتوفر لهم، وأن توفرت فلم يجدوا الرغبة في متابعتها، لأن الموضوع برمته لم يكن في ذلك الحين قد وصل من وجهة نظرهم إلى الجدية التي يستحق معها أن يتابع، لقد أصبحت الاتصالات ذات طابع شرعي محمي بالقرار الصادر عن المجلس الوطني، ومع ذلك فقد بقي معظم من في الساحة الفلسطينية لا يؤمنون أو لا يقبلون الممارسة من الناحية النفسية، وذلك نتيجة للتربية الطويلة التي تربي على أساسها أجيال من الشعب الفلسطيني، تربية ترفض مجرد ذكر اليهود أو الإسرائيليين، بقيت هذه العقلية تسيطر على الكثيرين على الرغم من صدور القرار، وكانوا يصدرن بيانات الاستنكار والتنديد كلما وقع لقاء فلسطيني مع هذه القوى التي صنفها المجلس الوطني، وقد دفع العديد أرواحهم ثمناً لهذا الجهد.⁽¹⁶⁰⁾

خرجت توجهات من محمود عباس، بموافقة من ياسر عرفات إلى عدد من مكاتب المنظمة بأن تبدأ في إجراء اتصالات طبقاً للقرار الصادر عن المجلس الوطني الفلسطيني لكن عواقبها (الاتصالات) لسوء الحظ تتحدث عن نفسها، فبعض الذين قاموا بها لم يلبثوا أن واجهوا مقاديرهم المأساوية في ظروف غامضة، قيل مرة أن بعض المتشددين الفلسطينيين هم الذين فعلوها لوقف أي اتصال مع عناصر السلام الإسرائيليين، كما قيل مرات أخرى أن المخابرات الإسرائيلية (الموساد) هي التي قامت بها لتمنع الفلسطينيين من الاتصال بعناصر السلام في إسرائيل. وهكذا جرى اغتيال "رؤوف القببسي" مدير مكتب منظمة التحرير في باريس، ثم جرى اغتيال "علي ياسين" مدير مكتب منظمة التحرير في الكويت، ثم جرى اغتيال "سعيد حمامي" مدير مكتب منظمة التحرير في لندن، ثم جرى اغتيال "عز الدين القلف" مدير مكتب منظمة التحرير في فرنسا، وكانت هذه هي المرة الثانية التي يُغتال فيها مدير مكتب منظمة التحرير في العاصمة الفرنسية، وربما كان السبب أن الاتصالات في باريس كانت أنشط وأسهل، وكان نفس المصير ينتظر "إبراهيم عبد العزيز" مدير مكتب منظمة التحرير في قبرص، و"نعيم خضر" في بروكسل، و"ماجد أبو شرار" مدير مكتب منظمة التحرير

¹⁶⁰ محمود، عباس، طريق أسلو، مرجع سابق، ص28.

في روما، و"عصام السرطاوي" الذي كان مكلفاً من قبل محمود عباس بالاتصال بالقوى الإسرائيلية الداعية إلى السلام.⁽¹⁶¹⁾

في الدورة الثالثة عشر للمجلس الوطني الفلسطيني، فجرت قنابل كثيرة حول قضية اليهودية والصهيونية، واختلفت الاجتهادات والأقوال ثم انتهى المجلس إلى قرارات هامة، كان أبرزها النقطة الرابعة عشر من الإعلان السياسي الصادر عن المجلس والتي تعتبر تقدماً نظرياً جاداً نحو ما يمكن أن نسميه تجاوزاً -المسألة اليهودية في الصراع العربي الصهيوني، فقد نصت هذه الفقرة على إقامة حوار مع القوى الديمقراطية والتقدمية اليهودية داخل الوطن المحتل وخارجه المعادية للصهيونية فكرياً وممارسة. إن تضمين قرارات المجلس الوطني هذه الفقرة يعتبر إنجازاً لم يحصل من قبل، لقد أسند في الأساس إلى الفقرة التي أقرت في الدورة الثانية عشر والتي تنص على إقامة الدولة الديمقراطية الفلسطينية التي يعيش فيها اليهود والمسلمون والمسيحيون على قدم المساواة ودون تمييز، وتعتبر نظرية الحوار مع القوى الديمقراطية والتقدمية لأن الأولى تفترض التعايش مع كل من يرضى أن يبقى في فلسطين من اليهود بصرف النظر عن تقدميته الفكرية أو ديمقراطيته العقائدية وهي هنا لا تشترط عليه التخلي عن أفكاره، بينما تعلن الثانية إقامة أي علاقة أو تنسيق مع القوى الديمقراطية والتقدمية على شرط التخلي عن الصهيونية فكرياً وممارسة.

إن فهم عبارة القوى الديمقراطية والتقدمية، ومواصفات تلك القوى التي يمكن أن نحدد على ضوءها إمكانية التنسيق والتعاون مع هذه القوى، بالإضافة إلى المعيار الذي يمكن أن يفصل هذه القوى عن غيرها، يفسر من زاويتين مختلفتين، الزاوية الأولى تتعلق بالموقف الاجتماعي لهذه القوى والأيدولوجية التي تتبناها والأفكار المجتمعية التي تؤمن بها، هذا التفسير يجعلها تنطبق على القوى التي تتبنى الاشتراكية أو الماركسية، ويمكن أن نأخذ مثلاً على هذا الحزب الشيوعي الإسرائيلي.

(راكاح) الذي يناضل من أجل إقامة دولة شيوعية تلغي الامتيازات الطبقية في إسرائيل وله علاقات متينة وقوية في (الاتحاد السوفييتي)، والزاوية الثانية التي تفسر من خلالها تلك العبارة هي موقف تلك القوى من الحركة الصهيونية بصرف النظر عن العقيدة الاجتماعية التي تتبناها، وبمعنى أكثر تحديداً بصرف النظر عن التصنيف التقليدي الذي يعزز القوى بين اليمين واليسار. إن هذا التفسير ينطبق على طائفة ناتوري كارتا أو أي فئة أخرى مثلها، وهذه الطائفة لا تعترف إطلاقاً بالصهيونية

¹⁶¹ محمد، حسنين هيكل، المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، سلام الأوهام، مرجع سابق، ص58.

ولا تعترف بكل ما يخرج من رحمها بما في ذلك دولة إسرائيل وكل مؤسساتها وأدواتها ومفززاتها وهي تتطلق في هذا من منطلق ديني بحث مستندة إلى التوراة والتلمود.¹⁶² يوجد بين الفكر والممارسة فرق شاسع وكبير، يتحدثون عن الصهيونية ولكنهم لا يمارسونها، فهي بالنسبة لهم شعار ويافطة يستعملونها في الوقت الذي يريدون، لقد عرف بن غوريون الحركة الصهيونية بكلمة واحدة وهي (الهجرة) الهجرة إلى فلسطين، ومن لا يهاجر فهو في نظره ليس صهيونياً، وعندما يقول بن غوريون (الهجرة) فهو يعني إحلال الصهيونية محل الفلسطينيين، أي إنهاء الوجود الفلسطيني ومحوه تطبيقاً لنظرية ثيودور هرتزل، ذلك هو المعنى الحقيقي لممارسة الفكر الصهيوني. إن كثيرين يمارسون الصهيونية دون أن يكونوا بالضرورة يهوداً أو يعتقدون الديانة اليهودية، ويمكن أن ينتموا لأية أمة أو قومية أو عقيدة، ومع ذلك فهم صهاينة بالممارسة. إن كل من يعمل على محو الوجود الفلسطيني مادياً أو معنوياً، وكل من يقف في وجه تطور وتنامي هذا الوجود هو صهيوني بالممارسة، ويمكن أن نفرز من يتحدثون عن الصهيونية ولا يمارسونها نصاً وروحاً، عن أولئك الذين يمارسونها ويعملون من أجل تعميمها وتطبيقها، وتعتبر هؤلاء صنفاً قابلاً للتطور والتغير والانتقال إلى مرحلة نكران الصهيونية، وهكذا يمكن أن نقسم اليهود إلى فصائل متباينة في الفكر مختلفة في الممارسة، وتعاملنا مع هذه الفصائل بحسب موقفها من الحركة الصهيونية.

الفصل الأول: صهاينة الفكر والممارسة، أحفاد هرتزل وجابوتنسكي، أتباع بن غوريون وجولد مائير وشاريت وشتينر، أنصار بيغن وديان وبيرس، الذين تحدثوا عن إبادة الفلسطينيين ومحو أسمائهم من كتب التاريخ والوجود، الذين مارسوا الإرهاب الأسود من أجل تهجيرهم إلى فلسطين، المطالبون بدولة يهودية تمتد حيث تصل أقدام جنودهم المرتبطون بالدولة الإمبريالية والمدافعون عن مصالحهم وأطماعهم، أبناء الألف عائلة التي تحكم إسرائيل قبل أن تولد إسرائيل، أصحاب المواصفات المحددة والمعروفة سواء من حيث منشئهم أو نشأتهم وثقافتهم أو ارتباطاتهم العائلية، أولئك المسيطرون تماماً على مفاتيح السياسة والدبلوماسية والاقتصاد والمال والجيش، المتحكمون بكل منافذ الحياة في إسرائيل، الأشكنازيم الديانة والأصل، هؤلاء هم صهاينة الفكر والممارسة الذين يقفون على قمة ساحة العدا للعراب والفلسطينيين، والذين يعلنون باستمرار أنهم سيجتثون الفلسطينيين من جذورهم ويقتلون الأطفال والنساء قبل الرجال، بماذا يمكن أن تحدثهم وما هي اللغة

¹⁶² محمود، عباس، اللاجئون الفلسطينيون - اليهود، ط2، بيلسان، فلسطين، رام الله، 2011، ص21-22.

التي يفهمونها، لن تكون لغتنا معهم أقل من لغتهم معنا، ولا يجوز أن تكون غير البندقية محور الحديث معهم، فهم لن يفهموا لغة أخرى، أنهم نقيضنا الرئيسي وهم الذين أجبروا كل اليهود ليكونوا في موقف العداء منا.

الفصل الثاني: يمثل هذا الفصل الصهاينة المتراجعون من خلال التجربة والمعاناة ومن استقراء التاريخ واستشفاف المستقبل، باتوا يؤمنون أن مسيرة الحركة الصهيونية مليئة بالثغرات وأن الخطر محقق عاجلاً أم آجلاً باليهود واليهودية، وأنهم بسبب سياسة حكوماتهم المتعاقبة سيؤدون بكل اليهود، وستحصل مذبحه أخرى لهم (Holocaust) وسيكونون هم سببها. لقد بدأوا يعيدون النظر بالأفكار والممارسات ويعلنون عن رغبتهم بتغيير الأسلوب والقبول "بالتنازلات" ومن ثم الاعتراف بما لم يعترف به أحد قبلهم بـ فلسطين، إلا أن هذا الاعتراف بدأ من زاوية ضيقة جداً واستمر فهو ليس كما نريد، ولكنه مع معرفته بالظروف والخلفية السياسية والعقائدية لهؤلاء الناس يعتبر بداية حسنة، ولكن هل هو محبة خالصة للفلسطينيين، بالتأكيد لا، إن السبب الأساسي في هذا التحول هو الإصرار الفلسطيني على تثبت الوجود الفلسطيني، هو نتيجة لحرب تاريخية استمرت منذ بداية القرن العشرين وأثبتت أن الوجود الفلسطيني لا يمكن محوه أو تجاهله أو نكرانه، هو البندقية الفلسطينية التي قرعت رؤوس هؤلاء وأجبرتهم على إعادة التفكير بالأمر، ولذلك فإن أسلوب الحوار الجدي معهم لا بد أن يكون البندقية وغصن الزيتون، استعمال الأول والتلويح بالثاني.⁽¹⁶³⁾

الفصل الثالث: يمثل هذا الفصل المجموعة الشيوعية التي تطلق على نفسها اسم الحزب الشيوعي الإسرائيلي (راكاح)، هذا الحزب ينتظم في صفوفه عدد من اليهود والعرب الذين آمنوا بالماركسية، وتبنوها واعتبروها أيديولوجية يناضلون لتحقيقها في الوسطين العربي واليهودي، وانطلاقاً من هذه الأيديولوجية فهم يرفضون الفكرة الصهيونية، لأنها تقوم على أسس باطلة، لأنها تعتبر اليهودية عرفاً خالصاً صافياً يؤدي إلى القومية العنصرية، وهي من جهة أخرى لا تستطيع أن تكون عميلة للإمبريالية، ولذلك يصنفها الماركسيون كحركة رجعية، بالإضافة إلى العداء المستحکم بين الفكر الماركسي والفكر الصهيوني، هذا من حيث المنطلقات الفكرية. أما من حيث الممارسات، فالحركة الصهيونية حركة توسعية تؤمن بالمجال الحيوي وتسعى إلى تحقيقه، ولذلك فهي مرفوضة ماركسياً عندما تعادي على الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني والشعوب العربية، وهكذا فإن الماركسيين

¹⁶³ محمود، عباس، اللاجئون الفلسطينيون - اليهود، مرجع سابق، ص 23-25.

يرفضون الحركة الصهيونية فكراً وممارسة إلا أنهم يقبلون إقراراتها المتمثلة بدولة إسرائيل ويعترفون بها وإن كانوا يعلنون أنهم يناضلون من أجل إنهاء الصبغة الصهيونية عن هذه الدولة.¹⁶⁴

الفصل الرابع: ويتمثل هذا الفصل في ناتوري كارتا الرافضين للصهيونية فكراً وممارسة، المناضلين علناً ضد قيام دولة إسرائيل وكل مؤسساتها التشريعية والتنفيذية والقضائية من منطلقات خاصة. يمكن اعتبار هذا الفصل جزءاً لا يتجزأ من الساحة الفلسطينية بل هو فصل من فصائلها، تلك هي ناتوري كارتا بأفكارها ومبادئها وأرائها ومواقفها التي تعتبر بنظر الكثيرين راديكالية مغالية في التزمت. إن ناتوري كارتاهم - كما يصفون أنفسهم - اللاجئون الفلسطينيون اليهود الرازخون تحت نير الاحتلال الصهيوني، أن الفقرة الرابعة عشر من الإعلان السياسي الصادر عن المجلس الفلسطيني في دورته الثالثة عشر بالقاهرة تنطبق عليهم جملةً وتفصيلاً.⁽¹⁶⁵⁾

إن فكرة الاتصالات مع القوى الإسرائيلية حكمتها ضرورة البحث عن المجتمع الإسرائيلي ومعرفته، وهناك حقيقتان ساطعتان هامتان تدفعان من إيمان بفكرة الاتصالات وضرورة مواصلتها وتطويرها:

الأولى: أن المجتمع الإسرائيلي ليس كتلة متراسة متماسكة، لا يكمن النفاذ منها، وإنما هو مجموعة أفكار سياسية واجتماعية ودينية متباينة، وهو بالتالي ليس مجتمعاً متجانساً في رؤية واحدة لهدف واحد، إن الدراسات والإحصائيات عدت حوالي تسعين قومية يتألف منها المجتمع الإسرائيلي بأكثر من مئة لغة، وأن ذلك قد حمل معه أمراضه منذ بدايته، رغم أنه ظهر لنا لفترة من الزمن، وكأنه مجتمع إسبارطي، طبقاً لقاعدة الجهل والتجهيل التي أراد الحكام لها أن تسود جنباً إلى جنب مع سياسة الاستعمار التي أوحى لنا بأن ذلك المجتمع متماسكاً فولاذي في وحدته، نموذجي في مساره، وأن أي محاولة لاختراقه ليست سوى نوع من العبث بل وضرب من المستحيل.

الثانية: أن سياسة الأحزاب الإسرائيلية وآراءها لم تكن متباينة ومتضاربة على النحو الذي عليه الآن، فبعد قيام إسرائيل لم يعد الإسرائيلي بحاجة للتفكير في قضية فلسطين وشعبها، وفي حقه أو عدم حقه في تقرير المصير، ولماذا يجهد نفسه بمسألة اعتقد أنها لم تكن موجودة، خاصة بعد طمس

¹⁶⁴ محمود، عباس، اللاجئون الفلسطينيون - اليهود، مرجع سابق، ص 26.

¹⁶⁵ محمود، عباس، اللاجئون الفلسطينيون - اليهود، مرجع سابق، ص 28.

ما تبقى من هوية وأرض سواء بالإلحاق أو بالإشراف. وبدلاً من ذلك اتجهوا للتفكير في "أرض العسل واللبن" وأرض الاستقرار والأمان، بل وبعض ممن عارضوا قيام الدولة اليهودية في فلسطين انتقد ذاته على ذلك الموقف، وسار ذلك الوهم طويلاً.⁽¹⁶⁶⁾

إن المجتمع الإسرائيلي كغيره من المجتمعات، ينقسم إلى مجموعة من الأحزاب يصطلح على تسميتها أحزاب يمين ويسار، إن هذا الاصطلاح يختلف في دلالاته من مجتمع لآخر، ولعله في إسرائيل مفهوم مختلف عن السائد في بلادنا، فهو اصطلاح يشمل مفاهيم سياسية وأخرى اقتصادية -اجتماعية وأحياناً مفهوماً دينياً، فالإعلام في إسرائيل وبلدان أوروبا وأمريكا وغيرها مثلاً يعتبر تكتل الليكود (يميناً) فيما حزب العمل (يساري) وذلك لا يعني السياسة بل الفهم الاقتصادي - المجتمع، وينطبق مثل هذا المصطلح على بعض الأحزاب الدينية، أما فيما يخص موقف هذه الأحزاب من القضية الفلسطينية، سنستخدم مفاهيم أنصار السلام وليس التقسيم المصطلحي (اليمن واليسار)، وباللقاء نظرة على موقف الأحزاب الإسرائيلية من القضية الفلسطينية نجد ما يلي:

أولاً: تجمع المعراخ، كان في السابق يجمع بين حزبي المباي والمبام، ومؤخراً خرج المبام من المجتمع، ودخله قائمة (ياحد) التي يتزعمها عزرا وايزمان، وبدخل هذا التجمع هناك مجموعات سياسية متباينة الموقف من القضية الفلسطينية أو ما يصطلح بتسميتهم (الصقور) و(الحمام) بيدي "الحمام" موقفاً أكثر مرونة تجاه ضرورة التعامل مع القضية الفلسطينية والدعوة لحل يقوم على أساس مبادلة الأرض بالسلام، أي الانسحاب من الأراضي المحتلة عام 1967، وبضرورة الحوار مع م.ت.ف، وشكل الحمام مجموعة الـ17، لأنها تضم سبعة عشر نائباً يحملون هذه الأفكار، ويطالبون قيادة الحزب بالخروج من التحالف الحكومي مع الليكود بسبب مواقفه المتطرفة تجاه القضية الفلسطينية، أما مجموعة الصقور، والتي يقف على رأسها اسحق رابين، فإنه يعمل كعصا بيد الليكود ضد الانتفاضة 1987.

ثانياً: نواته الأساسية حزب حيروت الذي أسسه بيغن، وتحالف معه بعض من الأحزاب منها حزب الأحرار، تتعايش داخل التكتل ثلاث جهات نظر سياسية، الأولى التي يمثلها شارون، موداعي وليفني، وهي المجموعة الأشد تطرفاً والمنادية بتصفية الانتفاضة عبر أكثر الوسائل عنفاً، ورفض أي إمكانية للتجاوب مع أي مطلب سياسي ينتقص من السيادة الكاملة على (أرض إسرائيل)،

¹⁶⁶ محمود عباس، هذه الاتصالات لماذا، مرجع سابق، ص 7-8.

وأخرى يمثلها شامير، أرينز، تتحدث عن إمكانية تقديم حلول (حكم ذاتي) دون أن تقدم تنازلات إقليمية، والثالثة مجموعة يهودا أولمرت ودان هيردور، وهي تضم بعض شباب الليكود، يعتقدون بأن الموقف القائل بعدم التجاوب مع الواقع السياسي يعتبر عبثاً ولكن مواقفهم لا تزال بعيدة عن التعبير العملي بسبب ضعفهم داخل الحزب، ولا شك أن مصير موشيه عميداف الذي طرد من التكتل بسبب تصرفاته تجاه المسألة الفلسطينية.⁽¹⁶⁷⁾

ثالثاً: معسكر قوى السلام، ويضم قوى مختلفة واتجاهات عدة أبرزها الحزب الشيوعي (راكاح) مبام راتس (حركة حقوق المواطن)، وشينوى، ونشاط من حركة السلام الآن، تنادي هذه القوى بضرورة الاعتراف بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني وبحقه في إقامة دولة مستقلة.

رابعاً: الأحزاب الدينية، تعتبر الأحزاب الدينية أقصى اليمين من حيث تمسكها بالنواحي الدينية وتطبيق التوراة، إلا أنها تختلف فيما بينها سياسياً وعرقياً، فمثلاً نجد حزب -شاس- الديني يمثل اليهود من أصل مغربي أساسي، فيما يمثل حزب -المفدال- و-أغودن إسرائيل- اليهود الغربيين، وقد سجل الخلاف السياسي بين هذه الأحزاب تطوراً بارزاً عندما أطلق الحاخام السابق للطائفة اليهودية الشرقية (عوفاديا يوسف) قنبلة سياسية في تصريح أكد فيه أن الدم أهم من الأرض، وكان على استعداد لإصدار فتوى دينية بذلك، وشهدت إسرائيل على أثرها حرباً من التصريحات بين الحاخامات، أدت إلى انقسام داخل المؤسسة الدينية.

إلى جانب هذا التقسيم السياسي نشهد تقسيماً من نوع آخر داخل المجتمع الإسرائيلي يقوم على الأصل العرقي والديني بين يهود من أصل أوروبي ويهود من أصل أوسطي عربي، وهناك خلافات حادة بين المعسكرين بسبب اختلاف اللون والتاريخ والحضارة والتقاليد وحتى في ممارسة العقيدة الدينية، ويبرز ذلك بوضوح من خلال التمييز داخل أجهزة الحكم والمؤسسات الإسرائيلية بين اليهود الغربيين واليهود الشرقيين، فالغربيون يمثلون السلطة الحاكمة فيما الشرقيون الجماهير الشرقية، وهذا ينعكس بكل دلالاته على العلاقة بينهم.⁽¹⁶⁸⁾

كان محور الاتصالات (غير المباشرة) ذات اتجاهين، الأول مع كل القوى اليهودية التي تناصر السلام والتي أطلقت على نفسها (حركة السلام الآن)، وهذه القوى متعددة الأفكار، متفاوتي الفهم

¹⁶⁷ محمود، عباس، هذه الاتصالات لماذا، مرجع سابق، ص 12-13.

¹⁶⁸ محمود، عباس، هذه الاتصالات لماذا، مرجع سابق، ص 14.

لعملية السلام، ولديها تناقضات كثيرة واختلافات أكثر، ولكن تجمعها كلمة السلام بمفهومها العريض الواسع دون أن تجد تحديداً أو تعريفاً موحداً لمعنى هذه الكلمة، والاتجاه الثاني، كان نحو اليهود الشرقيين المنحدرين من أصل أندلسي والذين عاشوا أساساً في البلاد العربية وتركيا وبلغاريا، وهم يشكلون ثلثي سكان إسرائيل، وقد جاءوا إليها في ظروف يحيطها الغموض والمؤامرات والدسائس وعمليات القتل والاعتقال، وبعد عام 1977، عقد عشرات اللقاءات والمؤتمرات التي تضم إسرائيليين من مختلف الاتجاهات، سواء من حركة السلام الآن أو من اليهود الشرقيين الذين كنا نحاول أن نجعل منهم جسر سلام بين الفلسطينيين وإسرائيل، ولم نخدع بالمعلومات التي تحاول وضعهم موضع العداء للعرب والفلسطينيين، ولقد لمسنا من اللقاءات والاجتماعات التي عقدت معهم أنهم مستعدون في حدود طاقاتهم ونفوذهم، وهي محدودة جداً، أن يقوموا بدور الجسر بين الفلسطينيين والإسرائيليين وبين العرب واليهود، وقد عقدنا ثلاث اجتماعات كبيرة، الأولى في رومانيا 1986/11/6، والثاني في هنغاريا 1987/6/12، والثالث والأهم في توليدو بإسبانيا 1989/7/5، لكن الإعلام المضلل والدعايات التي يبثها اليمين الإسرائيلي، كثيراً ما كانت تحول دون البناء على اللقاءات والاجتماعات التي تحصل، خاصة بعد صدور قرار في 1986/8/6 عن الكنيست والذي يحرم اللقاءات مع منظمة التحرير تحت عقوبة السجن تصل إلى 3 سنوات بالإضافة إلى غرامة مالية باهظة.⁽¹⁶⁹⁾

وهذا ومنذ القرار الرسمي لمنظمة التحرير الداعي للاتصال بالقوة الإسرائيلية تمت عملية مسح للقوة المنادية بإنهاء الاحتلال والاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني، وتمت مراقبة تطورها وتكثفت الاتصالات معها كونها الأقرب للحل السياسي باتجاه دولتين، رغم أن البداية اقتصرت على القوى محددة وخاصة (راكاح)، المتعرف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير وبإقامة الدولة المستقلة وبضرورة التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني فإن هذا المعسكر ازداد بعد عام 1982، وبعد انطلاق الانتفاضة الأولى 1987، فبات معكسراً واسعاً يمتد من (راكاح) إلى راتس إلى مبام إلى شينوي، وشخصيات أكاديمية وثقافية وعسكرية (سابقة) لها وزن داخل إسرائيل.⁽¹⁷⁰⁾

¹⁶⁹ محمود، عباس، طريق أسلو، مرجع سابق، ص 29-30.

¹⁷⁰ محمود، عباس، هذه الاتصالات لماذا؟، مرجع سابق، ص 15.

بعد انتهاء الدورة السادسة عشر للمجلس الوطني 1983، تلك الدورة التي كرر فيها المجلس الوطني موقف المنظمة من اللقاءات مع القوى الديمقراطية والتقدمية الإسرائيلية، قام صلاح خلف (أبو إياد) بزيارة إلى المجر في 11/3/1983، وهناك تحدث مع المسؤولين في الدولة والحزب عن قرارات المجلس وقام بشرح القرار الخاص باللقاء مع القوى اليهودية، الأمر الذي أعجب المجريين، فما كان منهم إلا أن أبلغوا صلاح خلف (أبو إياد) بأن وفداً من حركة السلام الآن يقوم بزيارة لهم وأنها فرصة جيدة أن يرتبوا لقاءً بين الطرفين، إذ لم يكن لدى صلاح خلف (أبو إياد) مانعاً أو لدى الإسرائيليين مثل هذا المانع، لقد فوض أبو إياد لأنه لم يلتقي في السابق مع الإسرائيليين، ولم يهبي نفسه لمثل هذه اللقاءات التي يرغب في التحدث عنه فقط أكثر مما يرغب في إجرائها، ولكنه في تلك المناسبة لم يتسن له الرفض، وتم اللقاء الذي حضره من الطرف الإسرائيلي الصحافية المشهورة (حنازيمر) وعدد من أركان حزب العمل واستمر اللقاء أربع ساعات كاملة.⁽¹⁷¹⁾

بالإضافة أنه تم إجراء اتصالات متعددة وهامة مع "حمام" العمل من خلال الحضور المشترك لندوات دولية ومؤسسات عقدت في أوروبا وأمريكا، ولكن اللقاءات المباشرة معهم كانت تتم بسرية لأنها تخشى - صقور العمل. وفي غالبية مواقفها السياسية لا تختلف عن قوى السلام السابق ذكرها، لا تعلن كل مواقفها، ومن داخل الليكود تم لقاءان هامين مع شخصيتين من التكتل، لقاء الأول تم داخل الأراضي المحتلة بين موشيه عميراف وعضو اللجنة المركزية للتكتل، وفيصل الحسيني، وعندما كشف النقاب عن اللقاء تخلت قيادة الليكود عن عميراف فانسحب وانضم إلى حركة "شينو" وصرح عميراف أنه التقى بالحسيني بمعرفة وإطلاع عد كبير من قادة الليكود بمن فيهم اسحق شامير وميردور وألمرت، وفي فينا حدث لقاء بين عبد الرزاق يحيى -عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير- و"هالي" عضو اللجنة المركزية لتكتل الليكود، وعندما كشف النقاب عن اللقاء، أنكر "هالي" حدوثه.

ومن الاتصالات مع المعسكر الديني فهو يحظى بنوع من الإثارة جراء الخلافات الحادة بين الحاخامين حول ذلك والخلافات اشتدت أكثر على إثر مشاركة اثنين منهم في لقاء طليطلة في إسبانيا، وحضره وفد فلسطيني، وآخر يهودي شرقي، وقد أثار حضورهما زوبعة داخل المؤسسة

¹⁷¹ محمود، عباس، طريق أسلو، مرجع سابق، ص 14.

الدينية، وجرت اتصالات متعددة ومتنوعة مع القوى المعادية للصهيونية داخل إسرائيل وخارجها، وتتميز هذه القوى باعترافها الواضح بحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير وإقامة دولته المستقلة، وبعضها يتنكر أساساً لقيام دولة إسرائيل باعتباره مخالفة توراثية، ومن أبرزها "ناتوري كارنا"، ونظرنا بضرورة الاتصال بالمنظمات اليهودية في العالم، وخاصة في أوروبا والولايات المتحدة، نظراً لأثر هذه المنظمات على الحياة السياسية والاجتماعية في إسرائيل، واللقاء والاتصال بالمنظمات غير الحكومية الإسرائيلية واليهودية والتي تشارك في الندوات والمؤتمرات الدولية، وغالبية هذه المنظمات لا يزيد عددها عن السنتين منظمة، تبدي تعاطفاً وتأييداً للحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني، ولها تأثير على الرأي العام في إسرائيل لكونها تمثل قطاعات مختلفة من المجتمع، واللقاء النوعي حصل في طليطلة الذي تم مع وفد مثل شريحة من اليهود الشرقيين من كافة الاتجاهات السياسية الأشد تطرفاً في عدائها للشعب الفلسطيني، ضم 43 شخصية سياسية ثقافية، اجتماعية، عسكرية، إلى جانب ممثلين ليهود من أوروبا وأمريكا.⁽¹⁷²⁾

لقد نشطت الاتصالات بعد الخروج من بيروت إلى تونس عام 1982، وبدأت الاتصالات بيننا وبين الإسرائيليين وقد أجرينا أكثر من لقاء في بودابست، واللقاء الهام (آخر لقاء) أجرينته في طليطلة أو في توليدو مع مجموعة من اليهود، وهذا النهج والاتصالات كانت مرفوضة من العامة من الناس، بحجة أنه لا يجوز أن نتحدث مع اليهود، ولكن ماذا نفعل؟ هل نحاربهم؟ ولكن الحرب لن تؤدي إلى تحقيق الغرض فكان لابد أن نقوم بإيصال صوتنا إلى اليهودي الإسرائيلي.⁽¹⁷³⁾

وأيضاً اعتبرت السلطة الحاكمة في إسرائيل أن الاتصال أو اللقاء باليهود الشرقيين في إطار محرمتها، ورغم ذلك نجح لقاء طليطلة وصدر عن الحاضرين من اليهود الشرقيين بياناً أكدوا فيه ترحيبهم بالمبادرة الفلسطينية وسياسة منظمة التحرير، ودعوتهم لإقامة دولة فلسطينية، وبحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، وبعد عام 1987 ازدادت حركة الاتصالات ورغبة القوى الإسرائيلية باللقاء مع المنظمة متحدية قانون الكنيسة لإدراكها أن السلام عملية لن تأتي ولا تتحقق دون دفع ثمن باهظ يدفعه المؤمنون بها.⁽¹⁷⁴⁾

¹⁷² محمود، عباس، هذه الاتصالات لماذا، مرجع سابق، ص 16.

¹⁷³ مقابلة مع الرئيس محمود عباس، فلسطين - رام الله - مكتب الرئيس، 2011/7/7.

¹⁷⁴ محمود، عباس، هذه الاتصالات لماذا، مرجع سابق، ص 17.

استناداً لهذه المعطيات وخدمة للنضال السياسي الفلسطيني، واكتمال حلقاته، كان القرار الفلسطيني بضرورة الاتصال بالقوى الإسرائيلية والتي بدأت بشكل رسمي عام 1977 عندما اتخذ المجلس الوطني في دورته (13) دورة الشهيد كمال جنبلاط المنعقد في القاهرة القرار رقم (14) "بأهمية العلاقة والتنسيق مع القوى اليهودية الديمقراطية التقدمية المناضلة داخل الوطن المحتل وخارجه ضد الصهيونية كعقيدة وممارسة". وتم التأكيد على ذلك القرار في الدورة (15) في دمشق عام 1981، والدورة (16) في الجزائر عام 1983، وفي الدورة (17) في عمان 1984، وفي الدورة (18) في الجزائر 1987، وفي الدورة (19) -دورة الانتفاضة- دورة الشهيد أبو جهاد في الجزائر 1988، وفي المؤتمر الخامس لحركة فتح، بتشكيل اللجان الخاصة بالاتصالات الصادر عن اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية في عام 1989، حيث أجري عليها عدد من التعديلات بهدف تطويرها وتعميقها، وبعد أن كانت في البداية تقتصر فقط على القوى المعادية للصهيونية (أي قرار ذو بعد أيديولوجي)، فإنها تحولت إلى قرار يتيح الاتصال بالمناضلين بإنهاء الاحتلال والاعتراف بمنظمة التحرير وبالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني (قرار ذو بعد سياسي)، أي إعطاء المرونة للاتصال برقعة سياسية أوسع داخل المجتمع الإسرائيلي".⁽¹⁷⁵⁾

انفجرت الانتفاضة الأولى بتاريخ 1987/12/7، لتحقيق التخلص من الاحتلال، وكان لا بد من قواعد سياسية لها حتى لا تصبح فورة أو فقاعة لا تلبث أن تنتهي وتنتاشي. إن الحديث عن قواعد سياسية للانتفاضة تحتاج إلى عقل لا يخضع للخطوط الحمراء، ولا ينصاع للشعارات والياقظات الجامدة، ولا ينظر إلى المسألة نظرة تخلو من الإحساس بالمسؤولية تجاه الشعب ومصالحه واحتياجاته ومتطلباته، وبعد أن مضى على الانتفاضة بضعة أشهر جلس محمود عباس مع رجل اختاره لرجاحة عقله واتزان تفكيره وهو نعيم الأشهب، عضو المكتب السياسي في الحزب الشيوعي الفلسطيني، وطرح عليه سؤالاً محدداً، (هل أنت مستعد لأن نفكر سوياً دون خطوط حمراء؟) ودون الخوف مما تعارفنا عليه على أنه محرقات؟ قال: نعم، قلت: هل تتفق معي بأن الانتفاضة قامت من أجل انسحاب القوات الإسرائيلية من غزة والضفة الغربية؟ قال: نعم، قلت: هل تعتقد أننا لو طلبنا من أهلنا في الضفة والقطاع أن يستمروا في إلقاء الحجارة حتى يخرج الإسرائيليون من حيفا وعكا سيقبلون ذلك؟ قال: لا، قلت: ماذا سيكون ردهم علينا؟ قال: سيرموننا بالحجارة. قلت: إذن تعال

¹⁷⁵ محمود عباس، هذه الاتصالات لماذا، مرجع سابق، ص 14.

ندرس ماذا يمكن أن نقدم لهم؟ وهنا برزت ضرورة طرح فكرة القبول بالقرارين 242، 338، كأساس لعملية سياسية سميت فيما بعد المبادرة السياسية الفلسطينية. لم يكن بالإمكان صدور مثل هذه القرارات عن المجلس الوطني دون أن تطعم ببعض القرارات المعنوية التي لا بد منها، ولذلك جرى الحديث عن ضرورة إعلان الاستقلال الفلسطيني، وكان الخوف من أن يعترض إعلان الاستقلال مع المبادرة السياسية الفلسطينية، وبالتالي فإن القرارات جميعها ستكون بلا فائدة ولا جدوى، وفي 15/11/1988 في دورة المجلس الوطني التاسعة عشر (دورة الانتفاضة والشهيد أبو جهاد) في الجزائر تبني المجلس المبادرة السياسية بأغلبية ساحقة، وإعلان الاستقلال بالإجماع، عبّر المجلس كأعلى سلطة تشريعية فيها عن تعريفه للحق الفلسطيني والتزامه بتحقيقه كهدف يمثل الحد الأدنى المقبول لحل ممكن، وترك بهذا التعريف مكاناً للآخر، فتشكلت بذلك قاعدة السلام الواقعية، وكانت الانتفاضة وما أحدثته من ضغط متنوع على الأحداث في إسرائيل الأساس القوي الذي استند عليه المجلس في صياغة الهدف السياسي للموقف الفلسطيني، وانهالت اعترافات الدول بالدولة الفلسطينية المعلنة، سواء كانت من العالم العربي أو الغربي حتى تجاوز عدد هذه الدول المائة، وقد ظن البعض أن الاعتراف جاء بناءً على إعلان الاستقلال، ولكنهم لم يعرفوا أن الموقف السياسي العقلاني، الذي تضمنته مبادرة السلام الفلسطينية، هو كان وراء هذا الاعتراف وذلك تشجيعاً لمنظمة التحرير على الاستمرار في هذا النهج.⁽¹⁷⁶⁾

في عام 1988 كان هناك المفصل الحقيقي الجدي في تطور العمل السياسي الفلسطيني ككل، وأنا أدعي (محمود عباس) أنني كنت أحد الأشخاص الذين عملوا فيه، وأحد الأشخاص الذين خرجوا إلى جميع الدول بما فيها الاتحاد السوفييتي في ذلك الوقت، لإقناعهم بأن منظمة التحرير الفلسطينية تريد أن تعترف رسمياً بالقرارات 242، 338، إلى جانب ذلك أعلننا الدولة الفلسطينية في المنفى ولكن الدولة الفلسطينية على أساس القرار 242 (حدود الرابع من حزيران لعام 1967) وليس على أساس فلسطين التاريخية، لأنه لو تحدثت على أساس كل فلسطين، لن يسمعك أحد، حتى أن القرارات في ذلك، نص القرار: "أنه لا بد أن تنسحب إسرائيل من كافة الأراضي التي احتلتها عام 1967، ونبني دولتنا الفلسطينية المستقلة عليها" البعض قرأها والبعض الآخر لم يقرأها، البعض انتبه للقرار

¹⁷⁶ محمود عباس، طريق أسلو، مرجع سابق، ص 40-41.

والبعض لم ينتبه للقرار، وبدأ الاعتراف الدولي بهذا النهج السياسي الذي يعتبر قفزة نوعية في تاريخ القضية الفلسطينية⁽¹⁷⁷⁾.

انعقد المجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر بين 12 و15 نوفمبر/تشرين الثاني 1988، وأصدر إعلان الاستقلال الذي أعلن قيام دولة فلسطينية وبياناً سياسياً قدمه ممثلو منظمة التحرير الفلسطينية لبعض النقاط الواردة في إعلان الاستقلال الفلسطيني في الجزائر، تأكيداً للمبادئ التي تضمنتها قرارات الأمم المتحدة الداعية إلى حل عادل، بإقامة دولتي إسرائيل وفلسطين، ومن تلك النقاط:

أولاً: يوافق المجلس الوطني الفلسطيني على الدخول في مفاوضات سلام في إطار مؤتمر دولي يعقد بإشراف الأمم المتحدة وبمشاركة الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن، وبمشاركة منظمة التحرير الفلسطينية بصفتها الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني على قدم المساواة مع أطراف الصراع الأخرى، وعلى هذا المؤتمر أن يعقد على أساس قراري الأمم المتحدة 242 و338، وحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره دون تدخل خارجي، وفقاً لما ينص عليه ميثاق الأمم المتحدة بما في ذلك الحق في إعلان دولة مستقلة، وعلى هذا المؤتمر أن يجد حلاً للمسألة الفلسطينية في كافة أوجهها.

ثانياً: يعلن إقامة دولة فلسطين المستقلة، ويوافق على وجود إسرائيل كدولة في المنطقة.

ثالثاً: يعلن رفضه وإدانته للإرهاب في كافة أشكاله بما في ذلك إرهاب الدولة.

رابعاً: يدعو إلى إيجاد حل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين، وفقاً للقانون الدولي والأعراف الدولية وقرارات الأمم المتحدة المتعلقة بهذه المشكلة، بما في ذلك الحق في العودة أو الحصول على تعويضات.

وضعت الخطوات التي اتخذتها منظمة التحرير الفلسطينية في المجلس الوطني الإدارة الأمريكية في موقف حرج جداً، ولكنها أصرت على الاستمرار في نهجها في الوقت الذي راحت تبحث فيه عن مخرج، لقد وجدت الحكومة الأمريكية أن الاتصالات والقنوات التي فتحتها بشكل سري وغير رسمي في منظمة التحرير لم تؤدي إلى نتيجة، كان العاقلون من الإسرائيليين يتطلعون إلى أمريكا

¹⁷⁷ مقابلة مع الرئيس الفلسطيني محمود عباس (أبو مازن)، فلسطين - رام الله - مكتب الرئيس، 2011/7/7.

لتملي عليهم حلاً ما، ولكن أمريكا نفسها لم تكن مقتنعة بالبحث عن حل، ولم تكن ترى أن الظروف ناضجة لهذا الحل. ومما لا شك أن تطورات كثيرة وخطيرة وهامة وقعت في المنطقة وفي العالم دفعت أمريكا إلى إعادة النظر بسياساتها تجاه القضية الفلسطينية، ولو أنها كانت ومازالت متمسكة بموقفها الثابت من منظمة التحرير، في وقت راحت فيه تحاول أن تفتح الأبواب للتخلص من هذا الموقف، ولذلك فإن هناك أسباب دعت أمريكا للتحويل إلى الموقف الجديد على الشكل التالي:

1- الوفاق الدولي.

2- الانتفاضة الفلسطينية الأولى.

3- الوضع الناشئ عن الانتخابات الإسرائيلية، والذي كرس نوعاً من الراديكالية والأصولية بما يسيء إلى سمعة إسرائيل ويضع شراً قوياً بين اليهود في العالم وإسرائيل.

4- الرغبة الأمريكية في فرض تأمين تدفق النفط في منطقة الخليج إلى السوق العالمية وخاصة الأمريكية بسعر معقول.

5- تنامي الدور الأوروبي في تعاطيه مع الشرق الأوسط، وخوف الولايات المتحدة من ذلك الدور.

6- تخلي الملك حسين عن الضفة الغربية من خلال قراره بفك الارتباط وإنهاء مقولة الخيار الأردني. (178)

لقد حققنا مكسباً هاماً، واجتزنا عقبة وضعها في طريق منظمة التحرير منذ أربعة عشر عاماً هنري كسنجر، عندما قدم تعهداً رسمياً لإسرائيل بعدم التحدث مع منظمة التحرير، ما لم تقبل القرارين 242، 338، وبحق إسرائيل في الوجود، ثم أضاف شرطاً ثالثاً وهو نبذ الإرهاب. ولم يكتف بهذا بل استصدر بشأنه قراراً من الكونغرس الأمريكي، أن فتح الحوار من قبل الولايات المتحدة مع منظمة التحرير يعني أن المنظمة أصبحت وبشكل حتمي طرفاً رسمياً وأساسياً في أي حوار حول نزاع الشرق الأوسط، وإذا كانت أمريكا جادة في الوصول إلى تسوية سليمة شاملة، فإن إسرائيل ستقبل بأسلوب أو بآخر بوجود منظمة التحرير وتعترف بها، وفي هذه الحالة فإن إسرائيل لا تستطيع أن تقف وحدها أمام العالم، لقد نُظر إلى هذه الخطوات نظرات مختلفة، فقد رحب جورج

178 محمود، عباس، طريق أسلو، مرجع سابق، ص 46-47.

حبش بقرار الإدارة الأمريكية، واعتبره انتصاراً جديداً يضاف إلى قائمة الانتصارات التي حققتها الثورة الفلسطينية، وقد أعطت الجماهير الفلسطينية بحسبها الفطري انطباعاً إيجابياً لأنها وصلت إلى النتيجة الفائلة بأن الحوار مع أمريكا ليس أمراً تفصيلياً أو قانونياً، وإنما له أهمية قصوى لأنه يضع إسرائيل وحيدة في مواجهة العالم، وكذلك مواجهة الولايات المتحدة نفسها، وهي ستكون غير قادرة على مواجهتها، أما في العالم العربي فقد كان مجمل الرد إيجابي ونقلت وسائل الإعلام العربية تصريحات زعماء العرب التي أيدت بدء الحوار.⁽¹⁷⁹⁾

وعلى الرغم من تواصل جلسات الحوار الفلسطيني-الأمريكي عبر سفارة الولايات المتحدة في تونس، فإن الحوار ظل في إطار مناقشات عامة، ولم ترتق إلى مستويات تصل إلى حد إرساء خطوات نحو تحقيق ما يؤدي إلى دفع عملية السلام في الشرق الأوسط وإيرازها إلى الوجود، وقد انقطع الحوار بعد أن استغلت أمريكا قيام مجموعة عسكرية تابعة لأبي العباس بعملية على شاطئ تل أبيب 1989، مما حمل الولايات المتحدة على قطع عملية الحوار، لأنها اعتبرت العملية خرقاً لشروط الحوار الفلسطيني الأمريكي.⁽¹⁸⁰⁾

والقضية الأخرى هي حول فكرة الموقف من العدوان على الكويت من قبل العراق، وكان موقف محمود عباس وشخصية أخرى هي صلاح خلف (أبو إياد) ضد هذا العدوان وقد بررها محمود عباس بما يلي: كيف نتبنى موقف احتلال دولة لأخرى ونحن أصحاب أرض محتلة وحركة تحرر وطني، ونقبل أن يحتل أحد أرض أخرى، ولكن الغالبية لم تقتنع بفكرة أن نكون ضد العدوان، ونتيجة لذلك عوقبنا عقاب شديد ولا زلنا إلى الآن نعاني منها، وفي سؤال وجه إلى الرئيس محمود عباس حول العدوان على الكويت بأن له نتائج إيجابية ومنها عودة 380 ألف فلسطيني إلى أرض الوطن؟ فأجاب: "بالعكس هذه من السلبيات لأنه كان بالإمكان إعادتهم إلى أرض الوطن، وهم حقيقةً لم يعودوا بل شردوا، لأنه كان في الكويت نصف مليون فلسطيني كانوا يعيلون مليون ونصف المليون فلسطيني، وكانوا يصنعون صمود في الأراضي المحتلة/الضفة الغربية بالإضافة إلى لبنان، وكان من أكبر المساوي ووقوفنا أو لاعتقاد آل الكويت أننا وقفنا ضدهم، وكانت النتيجة أن الفلسطينيين المتواجدون في الكويت كلهم رحلوا، ومن لم يرحل أبلغتهم السلطات الكويتية بالرحيل،

¹⁷⁹ محمود، عباس، طريق أسلو، مرجع سابق، ص56.

¹⁸⁰ محمود، عباس، طريق أسلو، مرجع سابق، ص58.

وهذه الثروة والعائدات تم خسارتها، وكذلك حصل مع الآلاف الفلسطينيين في باقي الدول الخليجية، وطرد كثيرين من دول الخليج وغيرها، وهذه كانت من أكبر النتائج السلبية التي وقعنا فيها، وكان موقفنا آنذاك بالرفض ويجب أن لا نؤيده، نحن الفلسطينيون أصحاب أرض محتلة وأصحاب قضية، كيف يمكن أن نقبل أن أحد يحتل أرض الآخر، ونقول نحن معه، هذا ليس منطقياً وغير مقبول نهائياً. (181)

¹⁸¹. مقابلة مع الرئيس محمود عباس، فلسطين-رام الله- مكتب الرئيس، 2011/7/7.

3.3 المبحث الثالث: المفاوضات المباشرة مع إسرائيل وموقف محمود عباس منها

بدأت مشاريع السلام والتسويات تطرح في منطقة الشرق الأوسط بعد حرب حزيران 1967، ومع أنها اشتملت على مراحل مختلفة، كان لكل مرحلة منها صفاتها وسماتها المختلفة، إلا أن أساسها القانوني بقي ثابتاً لا يتغير، متمثلاً بقرار مجلس الأمن 242، والقرار 338، الذي تضمن بعض الإضافات الإجرائية للقرار الأول، في جميع تلك المراحل لم يكن الرأي العام العربي جاهزاً بقبول أي نوع من التسويات السياسية لأنه في حينه إن مثل هذه التسويات لا تؤدي الغرض، ولا تحقق الأهداف ولا تلبي الحد الأدنى لمطالب الشعوب العربية وبخاصة الشعب الفلسطيني، كان لابد للشعب الفلسطيني حوض النضال بكافة أشكاله، بهدف لفت أنظار العالم إلى قضيته العادلة ومأساته التي لم يسبق لها نظير. وكان نتيجة هذا النضال الذي قادته منظمة التحرير الفلسطينية التي أنشئت عام 1964، وحركة فتح التي انطلقت ثورتها في 1/1/1965، أن أجبرت العالم أن يلتفت إلى الوضع في الشرق الأوسط ويتبين أسباب وأبعاد ودوافع هذه البؤرة المشتعلة والمتفجرة، وبالرغم من الاعتراضات عليها وعدم قبولها، فإن التسويات السياسية والمشاريع السلمية بقيت مطروحة ولم تتوقف على مدى ثلث قرن من الزمن، خاصة بعد ما رافقها وما تبعها من تداعيات وأحداث عسكرية وحروب شاملة أو محدودية تلك الحروب التي فرضت على العالم القناعة بضرورة الجلوس على طاولة المفاوضات لوضع حد للتدهور الأمني ومعالجة أسس المشكلة والوصول إلى حل. إن استمرار المقاومة الفلسطينية في نضالها من جهة، ووقوع أحداث أخرى بدءاً من حرب الاستنزاف وأحداث أيلول وحرب أكتوبر وانفجار الأوضاع في لبنان، ودخول الجيش السوري إليها، والاحتلال الإسرائيلي للجنوب عام 1978 واجتياح بيروت عام 1982، والحرب العراقية الإيرانية، وانطلاقة الانتفاضة الفلسطينية في الأراضي المحتلة عام 1987، وحرب الخليج الثانية عام 1990، كل ذلك زاد المجتمع الدولي إصراراً على إنعاش عملية السلام، وأضاف براهين أخرى إلى قناعات صناع القرار في العالم ليسيروا على هذا النهج ويصروا عليه حتى النهاية. إن جميع الأحداث تراكبت مع أشكال مختلفة من التحرك السياسي لدعم نظرية السلام الشامل وتأكيد ضرورة الالتزام بالمرجعية الدولية للوصول بالعملية السلمية إلى هدفها.

وقد بدأ هذا التحرك ببعثة غوتار بارينغ في عام 1969 إلى المنطقة مطالباً الأطراف المعنية بضرورة العمل الحثيث لتنفيذ القرار 242، وعلى ضوء هذا التحرك قدمت الإدارة الأمريكية

مشروعاً للحل، بذلك المشروع سمي بمشروع روجرز في 25/5/1970، والذي لم يصادف أي نجاح يذكر، الأمر الذي جعل عملية السلام برمتها تعود إلى أدرج الأمم المتحدة، وتدخل في حالة من الجمود والشلل. وجاءت حرب أكتوبر لتضيف قراراً جديداً للإلا القرار 242، وهو القرار 338 الذي حمل معه آلية العمل السياسي بالتفاوض بين الأطراف المعنية تحت رعاية أمريكا والاتحاد السوفييتي⁽¹⁸²⁾.

عقد مؤتمر جنيف يوم 22/12/1973 الذي دعت إليه الدولتان العظمتان، وحضرته كل من مصر والأردن وامتنتعت سوريا عن ذلك، وقد انتهى هذا المؤتمر إلى الفشل، ودخلت العملية مرة أخرى في حالة الجمود، وظهر أثر ذلك خلاف عميق بين مصر وسوريا، ودخلنا في دورة من تبادل الاتهامات والتخوين، وظهرت بشكل جلي محاور التحالف ومظاهر الاختلاف في الوطن العربي، وعدنا إلى نقطة الصفر بانتهاء العمل العربي المشترك. أما منظمة التحرير فقد وقفت في منتصف الطريق، فلا هي قبلت الدعوة لمؤتمر جنيف لأنها لم تدع إليه في الأصل، ولم ترفض كلا القرارين وإنما اكتفت بإشارة واضحة من المجلس الوطني الفلسطيني تقول: إن تبني السلطة المستقلة على أي شبر من الأرض يتحرر أو نتسحب إسرائيل منه.

جاءت مبادرة السادات بزيارة القدس يوم 19/11/1977، والمباحثات الثنائية مع الإسرائيليين ومن ثم قمة كامب ديفيد الأولى التي أشعلت نار الفرقة في العالم العربي، فكانت قمة بغداد التي حسمت الأمر بإعلان القطيعة مع مصر ومحاولة عزلها بسبب عقدها اتفاق كاب ديفيد 17/9/1978 مع إسرائيل برعاية الرئيس جيمي كارتر، وفي عام 1981 عقدت قمة عربية في مدينة فاس المغربية، وتميزت تلك القمة باقتراح سياسي قدمه الملك فهد، إلا أنه لم يكتب النجاح لتلك القمة، وتم تأجيلها إلى وقت غير محدد، ولكنه نتيجة لظروف وعوامل جديدة استؤنفت أعمال القمة في الفترة الواقعة بين 6-9/9/1982، ومن تلك العوامل العدوان الإسرائيلي على لبنان في حزيران 1982، وخروج قوات الثورة الفلسطينية من لبنان، بالإضافة إلى مشروع الرئيس الأمريكي رونالد ريغان الذي أكد على أن حل مشكلة الشرق الأوسط يجب أن يتم عبر مفاوضات تنطوي على مبادلة الأرض بالسلام، وهذه المبادلة منصوص عليها في قرار مجلس الأمن ذي الرقم 242، وأن

¹⁸² محمود، عباس، المسيرة السياسية في الشرق الأوسط، مركز زايد للتنسيق والمتابعة، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2001، ص 3-4.

المادة الخاصة بالانسحاب في القرار تنطبق على كل الجهات بما في ذلك الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس غير مجزأة ووضعها النهائي يجب أن يتقرر بالتفاوض، ولإسرائيل الحق في الوجود بسلام وراء حدود آمنة، ولها الحق في مطالبة جاراتها بالاعتراف بهذه الحقائق، وأن الأمن الذي تتطلبه إسرائيل لا يمكن تحقيقه إلا ن خلال سلام حقيقي.

لم يحقق مشروع الملك فهد ومشروع الرئيس الأمريكي رونالد ريغن أية نتائج إيجابية، بل على العكس تماماً فقد كان من أبرز نتائجها الانشقاق في منظمة التحرير الفلسطينية الذي أدى إلى المزيد من التباعد والخلاف في الساحة الفلسطينية، كما أدى إلى وأد مساعي العملية السلمية، وازداد الأمر تعقيداً بالحرب العراقية- الإيرانية التي استمرت أكثر من سبع سنوات⁽¹⁸³⁾.

خلاف هذه المراحل التي استمرت ربع قرن، حصل تغير في الرأي العام العربي الذي بدأ يميل نحو القبول بصيغة المفاوضات، ويجنح باتجاه الحلول السلمية بعد أن توصل إلى نتيجة مفادها: أن محصلة أي حرب هي الجلوس إلى طاولة المفاوضات من أجل التوصل إلى حلول، ولم تعد مستهجنة تلك الدعوات التي انطلقت من عدد من الجهات الرسمية العربية، وانتقلت إلى وسائل الإعلام والمؤسسات الشعبية بشكل خجول وحذر، وشيئاً فشيئاً بدأ يتكون رأي عام عربي يقبل بالتسويات السياسية، ولكن استمرت أجواء المنظمات الفلسطينية تعيش حالة الرفض لأية تسوية وبخاصة القبول بالقرارين 242 - 338، بسبب أن هذين القرارين يتسمان بسمعة سيئة وغير مقبولة، كذلك فإنهما تقيلان جداً على الأذن الفلسطينية العقلانية الداعية إلى تحقيق وتطبيق الشرعية الدولية، والاعتراف بالحقوق السياسية المشروعة للشعب الفلسطيني. لم تكن المؤسسة السياسية الإسرائيلية مستعدة لإعادة النظر فيما وطنت عليه العزم بإنكار وجود الشعب الفلسطيني على أرض فلسطين في أي وقت، وذلك لإنكار أية حقوق يمكن أن يطالب بها، ولكن بدأت في مرحلة معينة تبرز على السطح إشارات من شرائح يسارية إسرائيلية تدعو إلى التوقف عن المكابرة والتعامي عن الحقوق التي يصادفها الإسرائيليون في كل لحظة من حياتهم أو حركة من تحركاتهم، وكلها تشير إلى وجود هذا الشعب وآثاره وحضارته وتاريخه على أرض فلسطين، وإذا تأخر كثيراً القبول الإسرائيلي الرسمي أو الشعبي بوجود الشعب الفلسطيني، فإن الرأي العام العالمي سارع إلى تصحيح الأخطاء وتصويب الواقع الذي رسمته الدوائر السياسية ووسائل الإعلام وراح يعلن عن

¹⁸³ محمود عباس، المسيرة السياسية في الشرق الأوسط، المرجع السابق، ص5.

دعمه وتأييده لنضال الشعب الفلسطيني من أجل تحقيق تقرير مصيره بنفسه، وقد ترجم هذا الموقف بالترحيب الواسع لقرارات المجلس الوطني الفلسطيني الذي عقد في الجزائر في 15/11/1988، والذي تبني في حينه ما سمي بهجوم السلام والمبادرة السياسية بأغلبية ساحقة وإعلان الاستقلال بالإجماع، وكأعلى سلطة تشريعية فقد عبر عن تعريفه للحق الفلسطيني والتزامه بتحقيقه كهدف يمثل الحد الأدنى المقبول لحل ممكن فتشكلت بذلك قاعدة السلام الواقعية، وكانت الانتفاضة الأولى 1987 وما أحدثته من ضغط متنوع من الأحداث في إسرائيل الأساس القوي الذي استند عليه المجلس في صياغة الهدف الأساسي للموقف الفلسطيني، حيث اعترفت منظمة التحرير الفلسطينية لأول مرة بالشرعية الدولية وبالقرارين 242 - 338، والقبول بإقامة الدولة الفلسطينية على الأراضي التي احتلت في العام 1967. لقد كان هجوم السلام الفلسطيني في عام 1988 نقطة تصادمية مع كل طروحات وأفكار وآراء وحيثيات معارضي الاعتراف بالشعب الفلسطيني، حيث سحب من أيديهم كل أسلحتهم وأدواتهم التي يواجهون بها الحملات الشعبية والرسمية المتصاعدة على طريق ضرورة الاعتراف بهذا الشعب. وقد كان الهجوم قمة الدبلوماسية الفلسطينية حيث وضع المجلس الوطني النقاط على الحروف بأسلوب لا يقبل الغموض أو التأويل، وألقى بالكرة في مرمى الغرب وبالذات أمريكا وكذلك في مرمى إسرائيل. انتهت هذه المرحلة من العملية السياسية في الشرق الأوسط بحدثين هامين، أولهما تعطيل العلاقات مع الولايات المتحدة وتوقفها بشكل كامل بسبب حادثة شواطئ تل أبيب، وثانيهما حرب العراق ضد الكويت والتي أدت إلى قطيعة شبه كاملة بين الفلسطينيين وعدد كبير من الدول العربية بالإضافة إلى مختلف دول العالم، وهكذا دخلت العملية السياسية مرة أخرى إلى غرفة الإنعاش وإلى نفق مظلم مجهول البداية والنهاية⁽¹⁸⁴⁾.

بعد حرب الخليج الثانية مباشرة أعلن الرئيس جورج بوش عن مبادرة أمريكية لحل قضية الشرق الأوسط وهو كزعيم أوجد للنظام العالمي الجديد يريد أن يحل مشاكل العالم كلها من أجل أن يهيئ له الجو ليتحكم في مصير العالم، ومن جملة هذه المشاكل ومن بؤر التوتر الساخنة في العالم قضية الشرق الأوسط التي تعتبر أكثر بؤر العالم تفجيراً وخطورة، فنأى بنقاطه الأربعة حيث قال: نحن (الولايات المتحدة) مستعدون لحل قضية الشرق الأوسط على أساس: الأرض مقابل السلام، تطبيق القرارين 242 و 338، الحقوق السياسية المشروعة للشعب الفلسطيني، الأمن والسلام لدولة

¹⁸⁴ محمود عباس، المسيرة السياسية في الشرق الأوسط، مرجع سابق، ص 7-8.

"إسرائيل"، وكان لابد لمنظمة التحرير التقاط هذه اللحظة والاشتباك مع هذه المبادرة لتكون (المنظمة) جزءاً من عملية السلام المقترحة، والتي حددت مدريد في إسبانيا مقراً لانطلاقها.

إلا أن الوضع العربي العام نتيجة حرب الخليج لم يكن صحيحاً إلى الدرجة التي تسمح لمنظمة التحرير بالتعاطي المباشر مع تلك المبادرة، وذلك للأسباب التالية:

1. فقدان أي نوع من التنسيق أو التفاهم العربي حول الوقف وتحديد المطالب.
 2. طبيعة المؤتمر المقترح بتعدد المسارات العربية وعدم السماح بتوحيدها أو وحدانية تمثيلها.
 3. رفض التعامل مع منظمة التحرير الفلسطينية لتتطرق باسم الشعب الفلسطيني والاكتفاء بممثلي الضفة الغربية وغزة باستثناء القدس على أن يكون هؤلاء جزءاً لا يتجزأ من الوفد الأردني
- لقد رفضت منظمة التحرير التعامل مع البند الثالث رفضاً قاطعاً، وطالبت بوفد موحد، أو بتمثيل الجامعة العربية للدول العربية المعنية، ولكن أمام استحالة تغيير صيغة التمثيل وعدم إمكانية توحيد الوفد العربي، وبعد تردد طويل وجدال عنيف وحتى لا تستثني المنظمة من هذه العملية الجادة، فقد اضطرت في النهاية إلى القبول بما هو مطروح على أمل تحسينه وتطويره من خلال المسيرة مستفيدة من بعض التفاهات والنقاط الإيجابية التي وردت في رسالة الدعوة الأمريكية، رسالة التطمينات الأمريكية، بالإضافة إلى الاتفاق الأردني الفلسطيني حول طبيعة وآلية الوفد المشترك، وخلاصة هذه الرسائل والاتفاق تعني ما يلي:

1. الدعوة لحضور مؤتمر مدريد على أساس فردي ومسارات منفصلة باستثناء الوفد الفلسطيني.
2. جميع المسارات مدعوة إلى تحقيق اتفاق نهائي واحد، أما المسار الفلسطيني فينقسم إلى مسار انتقالي وآخر نهائي ويتم في خلال خمس سنوات.
3. لا تقرر أمريكا مصير القدس عندما ترفض السماح لممثليها بحضور المؤتمر، ولكنها تقرر بأن وضع القدس يخضع للمبادئ التالية: لا لضم القدس، لا لإعادة تقسيمها، لا لتغيير معالمها البلدية.

4. يتضمن الاتفاق الأردني الفلسطيني بدأ يدعو إلى أن الوفد الفلسطيني يتناول مساره وأن الوفد الأردني يتناول مساره، (وهذا يعني نوعاً من الاستقلالية للوفد الفلسطيني سيسعى الوفد الأردني لتحقيقها، وقد تم ذلك في بداية مفاوضات واشنطن والتي سميت بمفاوضات الكوريديور).

5. المفاوضات تتم على أساس القرارين 242 - 338، والأرض مقابل السلام.

إن تطورات قانونية طرأت على وضعية الوفد الفلسطيني تسجل كإيجابيات من خلال استمرار المطالبة والمثابرة وهي، انفصال المسار الفلسطيني عن المسار الأردني، وقبول تمثيل القدس من خلال السماح لأحد أبنائها بالانضمام إلى الوفد المفاوض، وبعد ذلك حصل انقلاب سياسي في دولتين من دول مؤتمر مدريد، حيث سقط شامير رئيس وزراء إسرائيل بالصوت العربي واستبدل بإسحاق رابين، وخرج جورج بوش من الساحة السياسية ليحل محله بل كلنتون.⁽¹⁸⁵⁾

إن الظروف التي كانت وراء مؤتمر مدريد للسلام واتفاقيات أوسلو تتلخص بما يلي: عزلة منظمة التحرير وتدهورها، حيث أن الحوار الفلسطيني - الإسرائيلي العربي، قد بدأ في نهاية حرب الخليج، وكانت الأحوال العربية والدولية بالنسبة للفلسطينيين دون الصفر، وكانت المنظمة محاصرة وتعاني معاناة شديدة من نتيجة هذه الحرب (حرب الخليج)، وبخاصة إخراج 400 ألف فلسطيني كانوا يعيلون مليوناً ونصف المليون فلسطيني، حيث أصبح مليوناً فلسطيني دون مستوى الفقر، وأصبح هناك مشكلة اقتصادية اسمها -تتأج حرب الخليج- وفرض على منظمة التحرير حصار سياسي، وحصار دبلوماسي عربي - دولي، وكانت كلها تنوي القضاء على منظمة التحرير الفلسطينية، والضغط على الشعب الفلسطيني. جاءت تلك المفاوضات باستمراريتها لتفرج عن المنظمة شيئاً فشيئاً، بحيث عاد الفلسطيني مرة أخرى إلى الخارطة السياسية، وبدأ العالم يسمع باحترام بالغ الصوت الفلسطيني، وبدأ ينسى شيئاً فشيئاً ما قيل عن الموقف السياسي الفلسطيني باتجاه حرب الخليج، بأنه موقف غير عقلاني وغير متوازن، وأنه يؤيد احتلال أراضي الغير بالقوة في الوقت الذي تكون أرضه محتلة من قبل إسرائيل⁽¹⁸⁶⁾.

أضف إلى ذلك كلفة الانتفاضة المتزايدة التي أثقلت كاهل إسرائيل، وهيمنة الولايات المتحدة على العالم بسبب انتهاء الاتحاد السوفييتي، ووضع الشرق الأوسط بعد الانتصار على العراق، أما الذي

¹⁸⁵ محمود، عباس، المسيرة السياسية في الشرق الأوسط، مرجع سابق، ص11.

¹⁸⁶ محمود عباس، مباحثات السلام الفلسطينية الإسرائيلية، ط2، بيلسان، رام الله- فلسطين، 2011، ص8- ص214.

دفع منظمة التحرير في النهاية نحو تلك الاتفاقيات فهو (إجراءات التجسير) التي اقترحتها إدارة الرئيس كلنتون، وكانت عبارة عن محاولة للتغلب على حالة الاستعصاء التي سادت محادثات السلام في واشنطن في أعقاب مؤتمر مدريد، فبعد عشر جولات من مفاوضات لم تسفر عن شيء بين الفلسطينيين والإسرائيليين، أعدت إدارة كلنتون في حزيران 1993 مقترحاً سمته "إعلان المبادئ"، وكان هذا هو الاستعمال الأول لهذا التعبير قبل اتفاقيات أوسلو، وقد تضمن المقترح ثلاث عناصر لم يسبق أن طرح مثلها حتى من قبل الدبلوماسية الأمريكية، كان العنصر الأول في المقترح الأمريكي يتضمن إعادة صياغة لمفهوم الوضع القانوني للضفة الغربية وقطاع غزة، فبدلاً من تسميتها مناطق "محتلة" سمينا مناطق "متنازعاً عليها"، والعنصر الثاني أن المقترح خلا من ذكر الصيغة المطروحة سابقاً وهي صيغة الأرض مقابل السلام الواردة في قرار مجلس الأمن 242 و 338 لحل الصراع العربي- الإسرائيلي، كما أن المقترح لم يأت على ذكر انسحاب الجيش الإسرائيلي من المناطق، والعنصر الثالث في المقترح هو أن الأمور المتصلة بالسيادة الفلسطينية تقع خارج نطاق المفاوضات التي تجري لغرض عقد اتفاق انتقالي، وبالتالي فإن قضايا الأرض والمياه والمستوطنات والقدس أحييت كلها عدداً من السنين، والمقترح الأمريكي له مغزاه أيضاً، إذ أنه لم يذكر قط حقوق اللاجئين الفلسطينيين من نازحي عامي 1948 و 1967، هذا وبالنظر إلى أن قضايا الأرض وطبيعة السلطة التي تمارس عليها هي من المسائل التي يتم بحثها بشكل منفصل في المستقبل، فإن المفاوضات الخاصة بالمرحلة الانتقالية ستكون مقتصرة على موضوع السلطة على الناس لا على الأرض، وعليه فإن الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة اعتبروا في هذا المقترح الأمريكي مجرد "قائمين" فيهما، ولهم بعض حقوق مدنية فقط، وبلا حقوق وطنية سياسية على الإطلاق. وقد أصيب الوفد الفلسطينى وكذلك منظمة التحرير بالصدمة والفرع من جراء هذه الصيغة الجديدة والمتحيزة جداً، والتي تعتبر بحد ذاتها خروجاً عن السياسة الأمريكية التقليدية السابقة وعن الضمانات التي قدمتها إدارة الرئيس بوش للوفد الفلسطيني. ومع مثل هذا الوسيط في النزاع كالولايات المتحدة التي تبدو إسرائيلية أكثر من الإسرائيليين أنفسهم باتت حالة الاستعصاء أكثر استعصاءً من أي وقت مضى، فقررت منظمة التحرير الفلسطينية، ومن دون إخبار الفريق الفلسطيني المفاوضات في واشنطن، أن تختار إجراء مفاوضات سرية مباشرة مع

إسرائيل وقد أدركت أن ما سينجم عن تلك المفاوضات لن يكون أسوأ مما هو معروض بأي حال (187).

لقد جاءت قضية أوصلو بالصدفة، كيف حصلت مفاوضات أوصلو؟ في يوم من الأيام جاء اثنين من الإسرائيليين الأكاديميين، والتقى في بيت السفير الفلسطيني في لندن عفيف حافية، وكان حاضراً فيصل الحسيني، وحنان عشراوي، وأحمد قريع، وجلسوا جلسة عادية تحدثوا فيها بشكل عام حول القضية، وقضية المفاوضات وغيرها، وقبل أن تنتهي الجلسة اقترح أحدهما أن يتم لقاء آخر مع أحد قريع، فقال قريع: لم لا، وكان في ذلك الوقت يقود مفاوضات متعددة الأطراف، وعاد إلى تونس وأخبر القيادة بأنه التقى مع اثنين من الأكاديميين الإسرائيليين وعرضوا عليه لقاء آخر، ربما في السويد، ربما في النرويج، فما هو الرأي من القيادة وخاصة ياسر عرفات ومحمود عباس وتحمس الأخير للفكرة وقال له: لن نخسر شيئاً من وراء ذلك، أبلغهم أنك تريد أن تلتقي معهما، وفعلاً تم اللقاء بعد أقل من شهر في النرويج، وبدأوا الحديث حول القضية والخلافات، تبين أنهما يريدان التفاوض. في تلك الأثناء رافق أحمد قريع كلاً من حسن عصفور وماهر الكردي، وكان ذلك في منتهى السرية، لأنه يجب أن تغطي هذه اللقاءات، وإذا خرجت منها نتائج تعلن، وإذا لم تخرج فلا حاجة لإثارة ضجة حولها، خصوصاً وأن منظمة التحرير تفاوض الإسرائيليين في واشنطن، وحصل عدة لقاءات مع الأكاديميين الإسرائيليين وفي هذه الأثناء دخل على الخط شخص آخر، وهو أوري سفير المدير العام في وزارة الخارجية الإسرائيلية، هنا تيقنا أن المسألة ليست مسألة أكاديميين، وإنما مسألة حكومية، واستمروا في الحوار - وكان هناك تيري لارسون وزوجته منى لارسون، وكانا مفروزين من وزارة الخارجية النرويجية لاحتضان تلك المفاوضات، لتأمين الجو المناسب لحماية التسهيلات اللازمة من أجل أن يستمر الحوار، وبعد فترة جاء يوثيل زنجر المستشار القانوني وهو محامي لوزارة الخارجية، فتيقنا أن الأمور أكثر جدية، وبدأت تأخذ منحى جدياً، وأخذوا يتحدثون عن الوضع، وكيف يمكن أن نصل إلى إعلان مبادئ بين الطرفين، الإسرائيلي والفلسطيني، وتم السؤال من قبلنا لأحد أصدقائنا ومعارفنا في إسرائيل حول الأشخاص الإسرائيليين، فقيل لنا أن هؤلاء يمثلون الحكومة ولكن الحكومة الإسرائيلية لا تريد أن تعترف بأنهم يمثلوها، لأنه لو عرف أن هناك مفاوضات، ربما تفشل، ربما تكشف وتفضح، فنتتهي الأمور، ثم

¹⁸⁷ سميح، فرسون، فلسطين والفلسطينيون، مرجع سابق، ص 466.

تبين لنا في النهاية إن شمعون بيرز واسحق رابين يرعيان هذه المفاوضات فتأكدنا من جديتهما. انتهت حكومة الليكود، وجاءت حكومة حزب العمل برئاسة إسحق رابين وهي التي رعت تلك المفاوضات السياسية من البداية⁽¹⁸⁸⁾.

1.3.3 اتفاق أوسلو:

جاءت اتفاقيات أوسلو مفاجأة غريبة للجميع باستثناء قلة من المسؤولين الفلسطينيين والإسرائيليين والنرويجيين الذين شاركوا في المفاوضات مشاركة مباشرة، فحتى الولايات المتحدة، تلك الدولة العظمى الحليفة والداعمة لإسرائيل، لم تكن على علم بالمفاوضات أو بفحوى الاتفاقيات. أما على الجانب الفلسطيني، فإن أربعة فقط منهم كانوا على معرفة بالمفاوضات، وبمحتوى الاتفاقيات، حين جرى التوقيع عليها بالأحرف الأولى، وهم ياسر عرفات، محمود عباس، ياسر عبد ربه وأحمد قريع⁽¹⁸⁹⁾.

لقد فتحت قناة أوسلو السرية بعد مراوحة المفاوضات في واشنطن مكانها باعتبارها طريقاً إضافيةً يمكن أن تؤدي إلى نتيجة، وإذا ما وصلت إلى طريق مسدود ولم تحقق ما نريد فلن نخسر شيئاً. وهكذا جاء اتفاق إعلان المبادئ في 1993/8/20، وتبعه مفاوضات حول الاعتراف المتبادل بين منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة الإسرائيلية، ذلك الاعتراف الذي وقع في 1993/9/9 في تونس، وفي 1993/9/15 في تل أبيب. وقد ضم إعلان المبادئ 17 مادة وأربعة ملاحق ومحضراً واحداً متفقاً عليه. أما رسالة الاعتراف المتبادل التي وقعها إسحاق رابين فقد ورد فيها ما يلي:

"إن حكومة إسرائيل قررت الاعتراف بـ م.ت.ف باعتبارها الممثل للشعب الفلسطيني، وبدء المفاوضات معها في إطار عملية السلام في الشرق الأوسط".

إن المفاوضات السرية لا تعني الاتفاقيات السرية، لأن لا أحد يملك حق التوقيع أو التعهد بقضايا مصيرية نيابة عن المؤسسات الرسمية التشريعية منها والتنفيذية، لذلك لا يجوز الخلط بين المفاوضات ونتائجها، فالأولى لا ضير أن تكون سرية، ومغلقة وبعيدة عن متناول وسائل الإعلام

¹⁸⁸ محمود، عباس، مشروع من تاريخ الثورة الفلسطينية (شهادات تاريخية)، مرجع سابق، ص 95-96.

¹⁸⁹ سميح، فرسون، فلسطين والفلسطينيون، مرجع سابق، ص 469.

وحتى الجمهور، أما نتائجها فإنها لا تصبح سارية المفعول وملزمة، ما لم تعتمد بها بشكل رسمي المؤسسات المعنية، وهذا يدحض كل التساؤلات والاستفسارات والاستنكارات التي ارتفعت تدين إعلان مبادئ أوسلو على أنه اتفاق سري. أما مسألة الاستفراد أو التفرد بعيداً عن باقي المسارات، فمن المؤكد أن مختلف المسارات بدأت منفردة وسارت منفردة وانتهت منفردة⁽¹⁹⁰⁾.

إن فورة الحماس التي اعترت الأوساط الرسمية ووسائل الإعلام في الغرب عند الإعلان عن أمر الاتفاقيات، أثارت ردود فعل مختلفة في أوساط الفلسطينيين والشعوب والحكومات العربية، وقد حدث الانقسام بشأنها حتى في صفوف المسؤولين في منظمة التحرير ذاتها، فاختلقت الآراء حولها فيما بينهم. أما المواقف السياسية تجاه الاتفاقيات وعواقبها فكانت موضع استقطاب شديد، وما فتئت تزداد تصلباً وانقساماً بمرور السنين. إن الجدل حول الاتفاقيات وطريقة تنفيذها المحفوفة بالعثرات، والتطورات السياسية التي حدثت منذ التوقيع عليها، أخذت تهدد بتدمير الوحدة السياسية للشعب الفلسطيني⁽¹⁹¹⁾.

ومن هنا يرى الباحث أن يأخذ برأي المؤيدين للاتفاق والمعارضين له بناء على النصوص الواردة في اتفاقيات أوسلو، حيث أن الانتقادات التي يوجهها الفلسطينيون والعرب وغيرهم للاتفاقيات المختلفة ولطريقة ياسر عرفات في إدارة الشؤون الفلسطينية، ومنها انتقادات لاتفاقية أوسلو، نجد أن ياسر عرفات قد وقع على إعلان المبادئ من دون إجراء مناقشة علنية أو مصادقة عامة، وبلا تصديق رسمي وشرعي ومؤسسي من منظمة التحرير، أن عرفات بتوقيعه هذا قد بدد جهود قرن كامل من كفاح الفلسطينيين وأهدر تضحياتهم التي بذلت من أجل الحقوق السياسية الوطنية، وهي حقوق يؤكدتها القانون الدولي، وجرى تشبيهها مراراً في قرارات متعددة أصدرتها الأمم المتحدة وغيرها من المنابر الدولية⁽¹⁹²⁾.

ويرد محمود عباس على ما تم ذكره سابقاً، لقد اعتمدت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، وكذلك المجلس المركزي إعلان مبادئ أوسلو، كما اعتمدته اللجنة المركزية والمجلس الثوري لحركة فتح، هناك من وافق، ومن عارض، وأصبح هناك موافقة شرعية وقانونية بمعنى النصف+1

¹⁹⁰. محمود، عباس، المسيرة السياسية في الشرق الأوسط، مرجع سابق، ص 13

¹⁹¹. سميح، فرسون، فلسطين والفلسطينيون، مرجع سابق، ص 469.

¹⁹² سميح، فرسون، فلسطين والفلسطينيون، مرجع سابق، ص 472.

ممن وافقوا عليها. ولم لم يوافق عليها النصف+1 في اللجنة المركزية، واللجنة التنفيذية كان سيتم رفضها، وكذلك الحال بالنسبة للمجلس الثوري والمجلس المركزي النصف+1، لأن القيادة الفلسطينية سواء ياسر عرفات، محمود عباس، أحمد قريع ممن قادوا هذه المفاوضات لا يمكن أن تستطيع أن تتحمل قضية على عاتقها، وفي النهاية يجب أن تمر عبر المؤسسات التشريعية والتنفيذية للموافقة عليها⁽¹⁹³⁾.

أضف إلى ذلك أن بعض الدول العربية كانت على اطلاع كامل على مجريات المفاوضات من بدايتها وحتى نهايتها، مثل جمهورية مصر العربية، وجمهورية تونس، والمملكة المغربية، والمملكة العربية السعودية، والأردن التي جرى الاتصال معها أيضاً، وهذا كلام للتاريخ لكي يجلي الغموض عن بعض الوقائع وتصحيح بعض المعلومات الخاطئة التي تواترت على ألسنة الكثيرين من السياسيين والمفكرين والصحافيين في الوطن العربي⁽¹⁹⁴⁾.

إن الحقوق الأساسية المقننة دولياً والمتعلقة بتقرير المصير والدولة الفلسطينية المستقلة ذات السيادة والعودة أو التعويض للاجئين عام 1948 و عام 1967، وإعادة الأراضي والموارد التي صودرت بشكل غير قانوني في الضفة الغربية وقطاع غزة وتعويض الشعب الفلسطيني عما أصابه. فإن لبت إسرائيل هذه الحقوق فعندئذ لا تعود قضايا الحدود والقدس الشرقية مسائل متروكة للمفاوضات، فحدود إسرائيل والمناطق المحتلة عام 1967 معروفة وواضحة كل الوضوح. أما الذي سيبقى للمفاوضات فهو شكل الانسحاب الإسرائيلي، وإعادة الأرض الفلسطينية لأهلها، ودفع التعويضات عما صودر من الأراضي، وإزالة المستوطنات غير الشرعية وتحديد مسؤولية إسرائيل القانونية عن انتهاكاتها لحقوق الإنسان والحقوق المدنية وحقوق الملكية، وأخيراً وضع الترتيبات الأمنية لكلا الطرفين.

أما الانتقاد الآخر: فهو أن منظمة التحرير بدلاً من استخدام القانون الدولي وقرارات الأمم المتحدة إطاراً قانونياً للمفاوضات، وضع على الرف الحقوق الفلسطينية المقننة دولياً وجعلها مجرد مواقف يجري التفاوض عليها. إن إعلان المبادئ ما هو إلا وثيقة فوق ما هو معروف من الجهود القانونية الدولية ولا تستند إلى أي أساس قانوني، ومع أن الإشارة في الإعلان إلى قرار مجلس الأمن

¹⁹³ محمود، عباس، صفحات مشرقة من تاريخ الثورة الفلسطينية، مرجع سابق، ص104.

¹⁹⁴ محمود، عباس، المسيرة السياسية في الشرق الأوسط، مرجع سابق، ص14.

242 و 338 وفيهما صيغة الأرض مقابل السلام، هي إشارة مهمة، إلا أن الإعلان أغفل ذكر عدد آخر من قرارات الأمم المتحدة، إنه مثلاً تغاضى عن ذكر قرار الجمعية العامة رقم 194 الذي يؤكد الحق الجماعي بعودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم أو تعويضهم. إن الإعلان ينص على عودة بعض النازحين الأفراد فقط في حرب 1967 ويشير إليهم على أنهم (أشخاص مشردون)، ولكنه لا يأتي على ذكر لاجئي 1948 الذين ظلوا بنداً في مفاوضات (الوضع النهائي). إن الإعلان يستبعد عن نصوصه اللاجئين الفلسطينيين وعددهم نحو أربعة ملايين لاجئ يشكلون زهاء ثلثي عدد الفلسطينيين الذين هم خارج الأراضي المحتلة، ويتجاهل الإعلان كذلك جميع قرارات مجلس الأمن عن القدس. لقد أرجئ وضع القدس إلى مفاوضات لاحقة، وجرى التغاضي كذلك عن القرارات الخاصة بالمستوطنات الإسرائيلية غير الشرعية في المناطق المحتلة. إن نقل السكان بالقوة (الترانسفير) على يد المحتل، والاستيطان في أرض تحت الاحتلال أمران يتعارضان ليس فقط مع قرارات الأمم المتحدة، وإنما مع نصوص ميثاق جنيف الرابع، الخاصة بالحرب والاحتلال⁽¹⁹⁵⁾.

بينما نأتي إلى الرأي الثاني المؤيد لاتفاقيات أوسلو حيث يقول محمود عباس (موقع الاتفاق) من خلال البنود الواردة في إعلان المبادئ ما يلي:

ورد في المادة الأولى أن هدف المفاوضات هو تطبيق القرارين 242 و 338، بينما كانت الدعوة لمؤتمر مدريد تقول بأن تجري المفاوضات على أساس القرارين المذكورين وهناك فرق شاسع بين الصيغتين.

تحدث الكثيرون عن إسقاط القدس واللاجئين من حساب المفاوضات بينما نصت المادة (الخامسة الفقرة 13) على أن هذين الملفين جزء لا يتجزأ من مفاوضات المرحلة النهائية. وهناك فرق بين النازحين الذين أبعدهوا عن أرض الوطن إثر حرب حزيران 1967، وبين اللاجئين الذين طردوا من وطنهم عام 1948. وإذا تقرر أن تبحث قضية اللاجئين في مفاوضات المرحلة النهائية، فإن قضية النازحين حسمت في اتفاق أوسلو من خلال المادة (الثانية عشر) التي جاء فيها: (ستضمن هذه الترتيبات إنشاء لجنة مستمرة ستقرر بالاتفاق أشكال السماح بدخول الأشخاص الذين نزحوا من الضفة الغربية وقطاع غزة عام 1967، ومن خلال ما ورد في البروتوكول حول صيغة الانتخابات وشروطها في البند (3) والذي ينص على: "لن يتم الإجحاف بالوضع المستقبلي للفلسطينيين

¹⁹⁵ سميح، فرسون، فلسطين والفلسطينيون، مرجع سابق، ص 374-375.

النازحين الذين كانوا مسجلين يوم 4 حزيران 1967، بسبب عدم تمكنهم من المشاركة في العملية الانتخابية لأسباب عملية".

2.3.3 القدس

أما القدس فقط أشير إليها في عدة أماكن هي:

المادة الخامسة فقرة (3) وتنص على ما يلي: "من المفهوم أن هذه المفاوضات سوف تعطي القضايا المتبقية، بما فيها القدس، اللاجئين، المستوطنات، الترتيبات الأمنية، الحدود، العلاقات، والتعاون مع الجيران آخرين، ومسائل أخرى ذات اهتمام مشترك. وفقرة (4): الاتفاقيات التي تم التوصل إليها في المرحلة الانتقالية لا تجحف أو تخل بمفاوضات الوضع الدائم".

البروتوكول الخاص بالانتخابات، والذي نص على أن: (فلسطيني القدس الذين يعيشون فيها سيكون لهم الحق في المشاركة في العملية الانتخابية، وفقاً لاتفاق بين الطرفين)، وأيضاً في الرسالة التي بعث بها شمعون بيرز لـ هولست وزير الخارجية النرويجي بتاريخ 1993/10/11، والتي يؤكد فيها على المحافظة على المؤسسات الفلسطينية الدينية الإسلامية والمسيحية والثقافية وغيرها في القدس. كذلك جاء في المادة الرابعة من إعلان المبادئ نص حول وحدة الأراضي الفلسطينية والمحافظة عليها يقول (يعتبر الطرفان الضفة الغربية وقطاع غزة وحدة مناطقية واحدة يجب المحافظة على وحدتها وسلامتها خلال الفترة الانتقالية)⁽¹⁹⁶⁾.

منذ حرب عام 1967، وبتاريخ 1967/6/28 أعلنت إسرائيل بقرار من الكنيست ضم القدس الشرقية التي احتلتها إليها موحية بأن هذه المسألة وهذه القضية أصبحت خارج الحوار، ومستثناة من أية مفاوضات مستقبلية. وعلى الرغم من صدور العديد من قرارات مجلس الأمن، وأهمها: (252، 253، 465، 478، 298، 267)، وغيرها فإن إسرائيل استمرت في سياستها والتي تقضي ببناء المستوطنات في القدس واستكمال إجراءات الضم التي أعلنتها رسمياً، وتسعى لتعميدها واقعيًا. إن قرارات الأمم المتحدة المشار إليها أعلاه، اعتبرت ضم القدس غير شرعي، وتعاملت مع الاستيطان على أنه غير شرعي أيضاً، ووجود غير قانوني. ولا بد من إزالته ولذلك عندما نتحدث عن الاستيطان في المفاوضات فإننا نعتبر بقاءه في الأراضي الفلسطينية المحتلة مرفوضاً من حيث

¹⁹⁶ محمود، عباس، المسيرة السياسية في الشرق الأوسط، مرجع سابق، ص 14-15.

المبدأ والنتيجة، وذلك منذ أن وضع الإسرائيليون أول حجر في أراضي الضفة الغربية، ويبقى موقف منظمة التحرير الفلسطينية من القدس بسيطاً وبلا تعقيد وهو أن القدس جزء من الأراضي التي احتلت عام 1967، وينطبق عليها قرار (242)، ولا بد من عودتها للسيادة الفلسطينية وتكون عاصمة الدولة الفلسطينية⁽¹⁹⁷⁾.

3.3.3 اللاجئين:

لم تكن قضية اللاجئين أقل أهمية من قضية القدس، بل ربما تكون من حيث نتائجها أكثر أهمية وصعوبة، حيث تواجه اعتراضات شديدة من قبل الحكومة الإسرائيلية، لأنها تعني من جملة ما تعني تغيير الطبيعة الديمغرافية التي يسعى إليها الإسرائيليون للمحافظة عليها، إضافة إلى هذا، فإن الإقرار بوجود قضية اللاجئين من قبل إسرائيل يعني مسؤوليتها عن هذه المأساة الإنسانية والسياسية المزمنة. اللاجئين أحد المحرمات الإسرائيلية، وأبرز قضايا الإجماع الوطني الإسرائيلي التي يلتقي عليها اليمين واليسار والوسط، المتدينون والعلمانيون، القادمون الجدد والمهاجرون القدامى، ولذلك فإن كل الأبواب مغلقة أمام هذه المعضلة بدءاً من الاعتراف بالمسؤولية ومروراً بمسألة العودة أو التعويض. إن وجهة النظر الإسرائيلية بخصوص مشكلة اللاجئين تعتبر أمر عربي عالمي لا يعني إسرائيل من قريب أو بعيد. تلك هي الأدبيات الإسرائيلية التي نراها ونسمعها في كل وسائل الإعلام من خلال بيانات وتصريحات زعمائهم، ويتحدث الإسرائيليون عن أن خروج الفلسطينيين من وطنهم كان بملء رغبتهم بدعوة صريحة من زعماء العرب. هؤلاء الذين كانوا يريدون القضاء على إسرائيل وعندما فشلوا راحوا يحملون إسرائيل مسؤولية مأساة اللاجئين القانونية والأدبية، وتدعى إسرائيل أن لا علاقة لها إطلاقاً بهذه المأساة. وبعد مضي أكثر من 60 عاماً أو أكثر على هذه المشكلة فإن الحديث عن حق العودة مرفوض تماماً، وإذا كانت هناك ضرورة لدفع تعويضات لهم فإن إسرائيل تعدها أن تؤسس صندوقاً دولياً، وهي مستعدة للمشاركة فيه لإعادة إسكان وتوطين اللاجئين خارج أراضي إسرائيل بالطبع، ولكن وحيث أن هناك مأساة نازية هي مأساة اليهود القادمين من البلاد العربية، فإن التعويضات الدولية يجب أن تشمل هؤلاء، وبالتالي، لا بد أن تقسم تلك التعويضات مناصفة بين الفلسطينيين واليهود⁽¹⁹⁸⁾.

¹⁹⁷ محمود، عباس، المسيرة السياسية في الشرق الأوسط، مرجع سابق، ص 22.

¹⁹⁸ محمود، عباس، المسيرة السياسية في الشرق الأوسط، مرجع سابق، ص 25.

أما منظمة التحرير الفلسطينية فكانت الحجج والبراهين بخصوص اللاجئين على النحو التالي:

- ورد في المادة الثانية فقرة (ب) من القرار 242 بضرورة البحث عن حل عادل لمشكلة اللاجئين ولم يتعاط أي قرار من قرارات الأمم المتحدة مع مشكلة اللاجئين من القرار 194 الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة لسنة 1949، والذي ينص على: (التعويض على من لا يرغب في العودة)، وهذا القرار يعني أن حق العودة أولاً ومن لا يرغب يمكنه أن يطالب بالتعويض، وأن الولايات المتحدة استمرت تعرضه كل عام على الأمم المتحدة لتجديد اعتماده من قبل المنظومة الأممية الذي سمي: (America Baby Resolution).

- لقد أثبت من خلال شهادات المؤرخين الإسرائيليين الجدد أن المسبب الرئيسي لخروج اللاجئين من بلادهم هو المذابح المتعمدة التي ارتكبتها المنظمات الصهيونية التي كانت تسعى من ورائها إلى إخلاء البلاد من أهلها وقد جاء هؤلاء المؤرخين على ذكر مذابح لم تكن مشهورة من قبل مثل مذبحتي الطنطورة وعين زيتون، إذ فإن المسؤولية القانونية تقع على عاتق إسرائيل، وهذا يعني من حق اللاجئين الاختيار بين العودة أو التعويض على أن يكون خيار العودة أولاً.

- إن التعويضات يجب أن تقدم من خلال صندوق أحوال الغائبين الذي أسسته إسرائيل عام 1949، من أجل الإشراف وتسيير واستثمار أموال الغائبين العرب الذين حرموا من أملاكهم، ولذلك فإن التعويضات يجب أن تشمل من يرغبون بالعودة أيضاً وذلك تعويضاً عن استعمال أراضيهم وعن المعاناة التي أصابتهم طيلة الفترة الماضية والتعويضات يجب أن تشمل الدول المضيفة للاجئين، وهي الأردن وسوريا ولبنان ومصر والعراق، ولو طبق هذا القرار وقت صدوره لما احتاج الذين يقررون العودة للتعويض، ولما احتاجت أيضاً الدول المضيفة إلى ذلك، أما وأن هذا القرار لم يطبق ومضى على صدوره أكثر من خمسين عام، فإنه بذلك يستحق العائدون التعويض، وكذلك الدول المضيفة.

إن ما تم توضيحه للإسرائيليين، أن حق العودة يشمل العودة إلى إسرائيل، وليس إلى الدولة الفلسطينية، لأن أراضي السلطة الفلسطينية التي ستكون دولة فلسطين لم تكن طاردة للاجئين بل مستوعبة لهم، ولذلك لا يوجد إطلاقاً لاجئ خرج من غزة أو الخليل أو نابلس، فكل أهالي هذه المدن بقوا فيها، واستقبلوا لاجئين من الجوار حتى أصبح 70% من سكان غزة لاجئين، و40% من

سكان الضفة الغربية لاجئين، فلذلك فعندما نتحدث عن العودة، نتحدث عن عودة اللاجئين إلى إسرائيل لأنها هي التي طردتهم ولأن أملاكهم هناك⁽¹⁹⁹⁾.

4.3.3 الحدود والمستوطنات:

من المفروض أن الشعب الفلسطيني كان يملك 44% من أراضي فلسطين عشية إصدار قرار التقسيم 181 لعام 1947، وأن العرب كانوا يعدون 1.2 مليون نسمة، بينما يعد اليهود 600 ألف نسمة، ومعروف أن قرار التقسيم أعطى اليهود 15% من أرض فلسطين، بينما أعطى العرب 43%، وأن إسرائيل احتلت إثر حرب عام 1948 ما يعادل 78% من فلسطين وبقية 22% التي تشكل مساحة الضفة الغربية وقطاع غزة. وفي عام 1967 احتلت إسرائيل باقي أراضي فلسطين بالإضافة إلى سيناء والجولان، لذلك إن الحدود الدولية التي أقرها القرار 181، فهي الحدود الدولية الوحيدة المعترف بها. وبناء عليها تم الاعتراف بإسرائيل دولة في الأمم المتحدة، ويجب الاعتراف بالدولة الفلسطينية ضمن حدود الرابع من حزيران 1967، وفي عام 1948 كان الشعب الفلسطيني متكامل العناصر، وكانت هناك حكومة عموم فلسطين. وفي عام 1950 قرر هذا الشعب بمؤتمر شعبي عقد في أريحا أن يؤسس اتحاداً فدرالياً مع الأردن وتشكلت في حينه المملكة الأردنية الهاشمية. أما مسألة الاستيطان، فالاستيطان واحد، وهو نتاج الاحتلال، وبالتالي لا بد من إزالته إشارة إلى معاهدة جنيف الرابعة لعام 1949، واتفاقية لاهاي عام 1907. وهكذا فقد كانت مسألة الحدود والاستيطان فجوى أخرى واسعة لا تقل أهمية عن مسألة اللاجئين والقدس⁽²⁰⁰⁾.

إن أفضل ما طرح في أوساط المثقفين والناشطين الفلسطينيين لصالح إعلان المبادئ هو ما ورد على لسان وليد الخالدي، الأستاذ الفلسطيني في مركز دراسات الشرق الأوسط التابع لجامعة هارفرد، ففي خطاب له ألقاه في الاجتماع السنوي الذي عقده "اللجنة الأمريكية- العربية لمكافحة التمييز" في واشنطن العاصمة عام 1995، حيث يصف الخالدي ويعدد منجزات الإعلان التي تحققت للفلسطينيين وهي:

1. اعتراف إسرائيل بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل للشعب الفلسطيني.

¹⁹⁹ محمود، عباس، المسيرة السياسية في الشرق الأوسط، مرجع سابق، ص 26-27.

²⁰⁰ محمود، عباس، المسيرة السياسية في الشرق الأوسط، مرجع سابق، ص 29.

2. اعتراف الولايات المتحدة بمنظمة التحرير الفلسطينية.

3. تثبيت مبدأ الانسحاب الإسرائيلي من الأراضي الفلسطينية المحتلة.

4. تثبيت مبدأ إجراء انتخابات عامة تتبثق عنها سلطة مركزية فلسطينية تتمتع بسلطات تشريعية وبجهاز شرطة قوي.

5. تثبيت مبدأ وضع جدول زمني لتحقيق النقاط السابقة.

6. تثبيت مبدأ نقل السلطات إلى السلطة الفلسطينية.

7. تثبيت أمر توفير الأموال من دول العالم²⁰¹.

ويضيف محمود عباس مكاسب أخرى تحققت من خلال اتفاق أوسلو وهي:

لقد كان اتفاق أوسلو مفصلاً هاماً في تاريخ الشعب الفلسطيني ومنعطفاً أساسياً في مسيرة النضال الفلسطيني، لأنه من حيث المبدأ فتح الأبواب لحل القضية، ولكنه لم يقلل هذه الأبواب، فهي إعلان مبادئ وليس معاهدة سلام، والفرق بين الأمرين شاسع وعميق، لأن إعلان المبادئ مقدمة لنهاية، فإذا لم يصل لهذه النهاية فإن الملف سيبقى مفتوحاً حتى تحقيق الهدف النهائي، وهذا يعيدنا إلى أساس مؤتمر مدريد الذي حدد مسارنا في مرحلتين واضحتين، أولاهما انتقالية والثانية نهائية. ومع ذلك فقد تحقق العديد من المكاسب، لقد كانت بدايات التسعينات سنوات عجاف بالنسبة لمنظمة التحرير الفلسطينية، وخاصة بعد تدهور علاقات المنظمة العربية والدولية، وتراجعت أوضاع المنظمة بشكل عام إلى حد كبير في هذه الأثناء جاء اتفاق أوسلو ليمنح قسماً من أبناء الشعب الفلسطيني العودة إلى جزء من الأرض والوطن، وليصبح هذا الجزء من الشعب والوطن عنواناً طالما فقد لفترة طويلة. واستمرت قافلة العودة إلى الوطن، واستمر توسع الرقعة التي تعود السيطرة والسيادة فيها لمنظمة التحرير، وتراجعت ظاهرة الفلسطيني التائه في مطارات وموانئ العالم، وتقلصت بشكل بسيط ومتدرج حاجة الفلسطيني إلى الهوية والعنوان.

إن أوسلو أعطى الحركة النضالية الفلسطينية زخماً جديداً، ودفعاً إلى الأمام من خلال بناء السلطة الوطنية الفلسطينية، بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية، حيث حصلت على جزء من المطالب

²⁰¹ سميح، فرسون، فلسطين والفلسطينيون، مرجع سابق، ص 470.

الفلسطينية، وفي نفس الوقت لم تتنازل عن الجزء الآخر. وقد استطاعت المنظمة أن تستعيد علاقاتها مع مختلف دول العالم، وتثبيت فلسطين رقماً معترفاً به على خارطة العالم السياسية، وأصبح الجواز الفلسطيني واقعاً، وباتت عواصم العالم مفتوحة أمام القادة الفلسطينيين، وصارت أبواب مؤسساته الدولية مشرعة أمانهم، ومع كل ذلك نؤكد أن كل هذا لا يعني أن قد وصلنا إلى نهاية المطاف، إذ أن الطريق لا يزال طويل وشاق. وعلى المنظمة أن تتأبر وتصبّر وتصر على الحصول على مطالب الشعب الفلسطيني، العادلة والحقوق الكاملة⁽²⁰²⁾.

وفي سؤال وجه إلى محمود عباس حول الحقوق والثوابت الفلسطينية ومطالب الشعب الفلسطيني العادلة، ابتداء من الدولة الفلسطينية على حدود الرابع من حزيران لعام 1967، القدس، اللاجئين، الحدود، الأسرى، وذلك من خلال فكره ومنهجه السياسي فأجاب:

بالنسبة للدولة الفلسطينية، نعم على حدود الرابع من حزيران لعام 1967 مع تعديلات متبادلة بالقيمة والمثل، ودولة فلسطينية بدون القدس عاصمة لها مستحيل، وبالنسبة للأسرى في السجون الإسرائيلية لا يوجد أي تسوية قادمة، وإلا ملف الأسرى سيكون في المقدمة لتبييض السجون بالكامل، واللاجئين يوجد هناك خمسة مليون لاجئ يجب أن أوجد لهم حلاً عادلاً، بمعنى أن أضع موضوعهم على الطاولة، وعلى العالم بأجمعه أن يعترف بمشاكلتهم حتى أوجد لهم حلاً. إذا قلت لإسرائيل عليكم إعادة الخمسة مليون لاجئ اعتقد أنه لا يوجد عملية سلام، لكن لا تقول لي بأن لا أحد منهم يرجع، لأن حق العودة للفلسطينيين يجب أن يحفظ والشعب الفلسطيني هو الذي يقرر ذلك⁽²⁰³⁾.

في 1996/5/5 وفي منتج طابا، افتتحت مفاوضات المرحلة النهائية مع حزب العمل، وتم الاتفاق على استئناف المفاوضات بعد الانتخابات الإسرائيلية لأنها كانت على الأبواب، وكان حزب العمل يعتقد أنه عائد إلى السلطة لا محالة، ولكنه فشل وحل محله حزب الليكود برئاسة بنيامين نتنياهو الذي كانت أدبياته إبان الانتخابات مبنية على الشعارات التالية:

1. عدم الاعتراف باتفاق أوسلو.

²⁰² محمود، عباس، المسيرة السياسية في الشرق الأوسط، مرجع سابق، ص16.

²⁰³ مقابلة مع الرئيس الفلسطيني محمود عباس (أبو مازن)، فلسطين- رام الله، مكتب الرئيس، 2011/7/7.

2. عدم الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية.

3. عدم التحدث إلى ياسر عرفات.

وبعد فترة من الزمن تحول شيئاً ما عن هذه الشعارات ووافق نتنياهو على بدء حوار مع منظمة التحرير الفلسطينية وكان ذلك بتاريخ 1996/7/23. عندما وقع لقاء إسرائيلي في منطقة "إيرز" واعتقد الجميع أن العجلة ستسير وأن الأمور يمكن أن تعود إلى سابق عهدها، وأن نتنياهو تراجع عن شعاراته تلك، ونتيجة لمواقف إسرائيل التفاوضية والأسس التي أقامت عليها حججها وبراهينها، تفجرت انتفاضة النفق في شهر أيلول عام 1996، وأدت إلى سقوط عشرات الشهداء والجرحى، وكان سببها المباشر إمعان إسرائيل في إجراء الحفريات تحت المسجد الأقصى بحثاً عن الهيكل المزعوم وتمهيداً لتدمير المسجد وما حوله. أما السبب غير المباشر فهو سياسة حزب الليكود، تلك السياسية العدمية التي تتكر الاتفاقات والحقوق وترفض الاعتراف بالسلطة الوطنية والمنظمة معاً، وعادت الأمور إلى نقطة الصفر، فما كان من الولايات المتحدة إلا أن دعت إلى قمة حضرها عرفات ونتنياهو والملك حسين ووزير خارجية مصر عمرو موسى، وانتهت هذه القمة باستئناف المفاوضات التي انتهت باتفاق الخليل يوم 1997/1/15، لم يطبق هذا الاتفاق وغرق المسار كله في متاهات الاتصالات واللقاءات غير المثمرة وتذرعت الحكومة الإسرائيلية بأن منظمة التحرير لم تلغ المواد المتعلقة بإسرائيل في الميثاق الوطني إلى تدعو إلى تدمير إسرائيل. وجاءت قمة (واي ريفر) بتاريخ 1998/10/23، والتي استمرت أكثر من عشرة أيام، وأسفرت عن ترتيب زيارة للرئيس الأمريكي بل كلنتون ليحضر لقاء لمتواجدي المجلس الوطني الفلسطيني والفعاليات الفلسطينية يوم 1998/12/13، وليسمع مرة أخرى إلى إعادة تكرار نص القرار الذي صدر عن المجلس الوطني فيما يتعلق بمواد الميثاق الوطني، ولكن الرئيس الأمريكي صدم من موقف حكومة الليكود التي أظهرت عدم الالتزام الإسرائيلي بباقي البنود التي تم الاتفاق عليها في قمة (واي ريفر) خاصة مسألة الإفراج عن الأسرى، حيث تم الاتفاق في القمة عن قضيتهم، وتم الاتفاق على تحديد فوري لدفعة منهم تتبعها دفعات متلاحقة، إلا أن حكومة نتنياهو تملصت من هذا الاتفاق. واحتفظت بهم كرهائن للمساومة على قضيتهم، وكانت زيارة الرئيس كلنتون إلى غزة علامة بارزة في تاريخ العلاقات الأمريكية الفلسطينية، وكانت اعترافاً من رئيس الولايات المتحدة بالكيان الفلسطيني،

ومضت سنوات ثلاث، قبل أن يسقط نتنياهو لم يتحقق فيها أي تقدم على مسار مفاوضات المرحلة النهائية، ولم يطبق إلا النذر اليسير في قضايا المرحلة الانتقالية⁽²⁰⁴⁾.

وجاء حزب العمل وأنصاره برئاسة أيهود باراك إثر الانتخابات المبكرة التي حصلت في إسرائيل بتاريخ 1999/5/17، تلك الانتخابات التي حصل فيها باراك على أربعمئة ألف صوت زيادة عما حصل نتنياهو، وقد جاءت هذه الزيادة من الصوت العربي الذي وهب له ثلاثمئة ألف صوت، اعتقاداً من عرب الداخل الفلسطيني جميعاً أنه سيجري تغييراً جذرياً في سياسة إسرائيل وأنه سيتعامل مع المفاوضات بجدية وإيجابية.

تلكاً باراك كثيراً في فتح المفاوضات، وقد مهد لهذا بإطلاق العنان لتصريحات عديدة متطرفة معدداً ومكرراً فيها لآهاته وخطوطه الحمراء، حيث لم يترك مناسبة تفوته إلا وذكر فيها مواقفه السياسية في محاولة منه لتثبيتها في ذهن المواطن الفلسطيني، وكذلك في ذهن الإسرائيلي لتصبح نقطة انطلاق لأية مفاوضات يخوضها، وراح يردد هذه اللآهات حتى أصبحت جزءاً أساسياً من السياسة الإسرائيلية، ولم يعد قادراً على التراجع عنها، وفي نفس الوقت لا يمكن لأحد أن يقبل بها، لقد تمثلت لآهات باراك وخطوطه الحمراء بالتقاط التالية:

- لا عودة لحدود الرابع من حزيران 1967، القدس موحدة وعاصمة أبدية لإسرائيل، لا توجد لجيش أجنبي غرب نهر الأردن، لا لإزالة المستوطنات، لا لعودة اللاجئين⁽²⁰⁵⁾.

5.3.3 قمة كامب ديفيد الثانية:

بعد مفاظلة زادت لأكثر من عام، بدأ الجانبين -الفلسطيني- والإسرائيلي، أنواعاً مختلفة من المفاوضات منها العلني ومنها السري، منها ما كان في المنطقة ومنها ما كان في دولة مختلفة مثل السويد والولايات المتحدة، منها ما كان ثنائياً ومنها ما كان ثلاثياً، حتى انتهت هذه اللقاءات إلى اتفاق شرم الشيخ بتاريخ 1999/9/4 في قمة كانت مهمتها محاولة استكمال تطبيق الاتفاقيات المرورية السابقة وبخاصة تلك التي عقدت في عهد نتنياهو. إضافة إلى هذا فإن المفاوضات تناولت قضايا المرحلة النهائية الأمر الذي جعل الأمريكيان يستضيفون أكثر من لقاء وفي ذهنهم عقد قمة

²⁰⁴ محمود، عباس، المسيرة السياسية في الشرق الأوسط، مرجع سابق، ص 17-18.

²⁰⁵ محمود، عباس، المسيرة السياسية في الشرق الأوسط، مرجع سابق، ص 19.

ثلاثية تضم الأطراف المعنية إلى جانب الأمريكان، وقد استمر الحديث عن هذه القمة فترة طويلة، وكان الأمريكان والإسرائيليون خلالها يرفضون فكرة منظمة التحرير الداعية إلى الإعداد الجيد لهذه القمة حتى لا تكون فشلاً يصعب بعده ترميم الأوضاع، فقد تبلورت لدى الأمريكان والإسرائيليين فكرة بأنهم لو عقدوا مثل هذه القمة، فإن الرئيس عرفات سيقبل بالأفكار التي يطرحونها عليه، بالإضافة إلى ذلك فقد اعتقدوا أن وجود الوفد الفلسطيني وحده في سجن كامب ديفيد يجعل هذا الوفد مع شيء من التهديد والوعيد والترهيب أو الإغراء قابلاً للتجاوب مع تلك الأفكار، والمواقف التي وطنوا عليها النفس بأنها الحد الأدنى الذي يقبلون به. لم تنفع كل الحجج والأسباب التي أوردناها للأمريكان بضرورة الإعداد الجيد والاستعداد لتلك القمة، وأصروا على أن تكون يوم 2000/7/11 في كامب ديفيد، وحددوا عدد كل وفد وأبلغونا بالضرورات التي يجب احترامها وأهمها، أن الخروج من الكامب قبل انتهاء أعمال القمة لا يجوز، وأن استعمال الهواتف النقالة غير مفيد لأن الأجهزة الأمريكية ستعمل على تعطيلها، وأن أي طرف يريد أن يحضر عدداً إضافياً من جانبه لن يسمح له بدخول الكامب⁽²⁰⁶⁾.

لقد كانت نتائج قمة كامب ديفيد بعكس ما نصت عليه اتفاقيات أوسلو. إن الفترة الانتقالية المؤلفة من خمس سنوات التي نصت عليها أوسلو كانت ستقضي من خلال سلسلة من المفاوضات على ترتيبات مرحلية، ومن ثم على مسائل الوضع الدائم، كمسألة اللاجئين، إلى إنهاء الصراع برمته، وفيما تجري المفاوضات، وينسحب الإسرائيليون، سوف تتوسع السلطة الفلسطينية تدريجياً، بعد أن تكون قد بدأت من قسم من غزة ومدينة أريحا في الضفة الغربية، لتشمل كل الأراضي، فما من شيء كان سيعرقل المسار الحتمي نحو الدولة، لقد شاهد ذلك ياسر عرفات والمنظمة بعين عقلم الأبراج والمآذن المنيفة في العاصمة المستقبلية، القدس الشرقية. لكن ذلك لم يكن مقدراً له أن يحصل، فطبيعة عملية السلام المرعبة أمريكياً نفسها كانت تنفيه، كان السادات في سلامه المنفرد قد رضخ للخدعة الملازمة الكبرى التي أبقت العملية على قيد الحياة في الفترة اللاحقة كلها، وتمثلت بتأجيل قضايا الوضع الدائم الأسر حتى النهاية، بيد أن التأجيل كان باستمرار على حساب الفلسطينيين، لا الإسرائيليين، واتضح تدريجياً أن الهدف المتواضع بحد ذاته الذي اتخذته المنظمة بالقبول بـ 22% من فلسطين التاريخية، أي إقامة دولة فلسطينية على جزء صغير (1967)، لم

²⁰⁶ محمود، عباس، المسيرة السياسية في الشرق الأوسط، مرجع سابق، ص 21.

يكن ممكن التحقيق، وأن إسرائيل البعيدة عن القبول الصادق بتسوية تاريخية، كانت لا تفعل أكثر من استغلال المفاوضات القاسية والمضنية التي لا تنتهي لتعزز قبضتها على إسرائيل الكبرى التي قامت بعد العام 1967، ففي حصانة كاملة تقريباً، استمرت في كل السياسات الاستعمارية والتوسعية التقليدية، في خلق وقائع على الأرض إضافية، حولت الدولة الفلسطينية الجاري إنشائها هزأة أكثر من أي وقت مضى. كان إنشاء المستوطنات طوال الوقت في قلب هذه السياسات، وكانت النتيجة الحتمية حرمان الفلسطينيين وتشتيتهم، وكانت المستوطنات القائمة قبلاً في الأراضي المحتلة غير قانونية بحسب القانون الدولي مستترة تكراراً على هذا الأساس من قبل الأمم المتحدة، وقد سلم الفلسطينيون، وكذلك جزء كبير من العالم بأنها بفضل أوسلو ستفكك أو توضع في نهاية المطاف تحت السيادة الفلسطينية، لذلك كان التوقف عن النشاطات الاستيطانية الجديدة كلها بعد توقيع الاتفاقية سيشكل الدليل الوحيد الأكثر تظميناً على استعداد إسرائيل لنقاسم يترك للفلسطينيين السيطرة على ذلك الجزء من وطن أسلافهم الذين كانوا مستعدين ليقصروا أنفسهم عليه، وكان الاستمرار فيها سيمثل الدليل الأكثر إقلاقاً على العكس⁽²⁰⁷⁾.

فيما كان الفلسطينيون يشاهدون أن آخر ما تبقى من وطنهم يختفي ويستمررون في تحمل كل الثقل والإذلال الناجمين عن احتلال لم تخف وطأته كثيراً، جعل اليأس الذي أفضى إليه هذا الوضع حصول انفجاراً أمراً حتمياً، وقد حصل الانفجار في أعقاب مؤتمر كامب ديفيد في تموز 2000 الذي شكل محاولة لتكرار مؤتمر القمة الذي أنتج قبل سبعة وعشرون سنة أول فتح هائل في عملية السلام في الشرق الأوسط، لقد ترأسه الرئيس كلنتون، لكنه كان في الواقع فكرة رئيس الوزراء الإسرائيلي ايهود باراك. كانت الخطوات المرحلية لاتفاقية أوسلو قد توقفت، كما كان محتماً لها، وهكذا. وفي مناورة طموحة غير قابلة للتصديق، اقترح ضغط كل الخطوات ومفاوضات الوضع الدائم في خطوة أخيرة نهائية وهامة، وبمباركة من كلنتون وضع أمام عرفات وفريقه المفاوضات تسوية على طريقة "أقبل أو أرفض" ومقابل "أسخى عرض" تقدمت به إسرائيل وستتقدم به في أي وقت من الأوقات، كان على الفلسطينيين أن يتخلوا عن جميع مطالبهم المشروعة، وكان العرض ليمثل "نهاية صراع المائة سنة" وفوز إسرائيل بالجائزة الوجودية التي لا تقدر بثمن والمتمثلة بانضمامها بشكل كامل ورسمي إلى المنطقة. ربما كان العرض أسخى عروض إسرائيل، لكنه لم

²⁰⁷ ديفيد، هيرست، البنديقية وغصن الزيتون، مرجع سابق، ص 37.

يكن سخياً كفاية، ولا يقارن بأي شكل من الأشكال، على الصعيد التاريخي بالسخاء الذي كان الفلسطينيون أنفسهم قد أظهروه في أوسلو، فقد طالب باراك بأكثر من الثمانية والسبعين في المائة من فلسطين الأساسية التي كانت منظمة التحرير قد عرضتها عليه، وكذلك سلسلة كاملة من المكاسب الأخرى، المكاسب العقائدية أو الأمنية، التي كانت ستقلص الدولة الفلسطينية إلى صورة زائفة ضعيفة ومثيرة للشفقة عن الدولة الفعلية. أما ما كان مستعداً لأن يعطيه للفلسطينيين فكان أقل بكثير من النسب المئوية التي ادعت إسرائيل أنها تقع بين أوائل التسعينات وأوسطها، فهي قبل أن تبدأ بحساب أبعاد الضفة الغربية، كانت تستثني دائماً مناطق معينة، مثل البلدية الموسعة من طرف واحد في القدس الشرقية والتي شكلت 5.4 في المائة من الإجمالي. ولكي تتمكن من أن تبقى الكتلة الأساسية من المستوطنات تحت سيادتها، سعت إسرائيل إلى ضم مناطق قيمة أو مهمة استراتيجياً تمتد عمقاً في الدولة الفلسطينية وتقطعها إلى ثلاثة كانتونات غير مترابطة بحيث أن مواطني هذه الدولة، كلما أرادوا العبور من منطقة إلى أخرى، كانوا سيضطرون إلى المرور في أرض إسرائيلية وعلى طرق تستطيع إسرائيل قطعها متى أرادت، وكانت مظاهر الاغتصاب والمهانة هذه ستحافظ على كثير من أسوأ جوانب الاحتلال الذي كان الفلسطينيون يسعون إلى إنهائه، أضف إلى ذلك مسألة اللاجئين التي لا تحقق الحد دون الأدنى لعودة رقم بسيط منهم، وقد انهار كامب ديفيد من دون أي اتفاق على الإطلاق»⁽²⁰⁸⁾.

إن الانطباع السائد لدى مختلف زعماء العالم بأن أحداً لا يستطيع أن يقول (لا) لأمريكا، لأنها الدولة الأعظم القادرة على التحكم في مصائر الدول والشعوب، وهي التي تأمر فتناع، وهي التي تمكنت من تدمير إمبراطوريات، وشنت عشرات الحروب في مختلف أنحاء العالم، وأصبحت الشرطي الوحيد الذي يمتلك ناصية الأمن والاستقرار والمسؤولية عن كل شاردة وواردة هنا وهناك، فهل يمكن لأحد كائناً من كانت قوته وهيئته أن يخالف لها أمراً⁽²⁰⁹⁾

أنا أرى كباحث أن منظمة التحرير الفلسطينية في قمة كامب ديفيد بأنها قالت للولايات المتحدة الأمريكية (لا) للتنازل عن حقوق الشعب الفلسطيني المشروعة والعادلة.

²⁰⁸ ديفيد، هيرست، البندقية وغبن الزيتون، مرجع سابق، ص 40.

²⁰⁹ محمود، عباس، المسيرة السياسية في الشرق الأوسط، مرجع سابق، ص 21.

في 2000/9/28 أي بعد شهرين، اندلعت الانتفاضة الثانية (انتفاضة الأقصى)، ولا يزال من قبيل الجدل التاريخي السؤال حول إذا ما كان باراك قد أطلقها خدمة لأهدافه الخاصة، بأن وضع ألفي جندي ومروحيات (أباتشي) في الجو في تصرف خصمه السياسي اليميني المتطرف، أرائيل شارون، وزمرة من نواب الليكود ليقوموا بزيارة راجلة ملؤها الاستفزاز المتعمد وهدفها إثبات (حق الملكية" المتعلق بـ (جبل الهيكل)، حيث يقوم المسجد الأقصى وقبة الصخرة، ثالث الأماكن المقدسة عند المسلمين، أو إذا كان عرفات قد شجع عليها كوسيلة لتعزيز وضعه الدبلوماسي، لكن الأكيد أنها كانت آتية لا ريب فيها، وكانت في جوهرها ثورة شعبية تلقائية موجهة أولاً إلى الاحتلال الإسرائيلي المستمر، وتعبيراً عن اليأس من أن تتمكن أسلو من إنهاء هذا الاحتلال، وموجهة ضمناً إلى عرفات الذي أصر بعناد على أن الاتفاقية ستجرح في نهاية المطاف، وكانت في الواقع "حرب استقلال" الفلسطينيين، على الرغم من أن الاستقلال المنشود اقتصر على اثنين وعشرين في المائة من وطنهم الأصلي. لقد بقي بعض المشاركين فيها، ولا سيما الرافضون الأصوليون المنتمون لحركتي حماس والجهاد الإسلامي، متمسكين من حيث المبدأ بالموقف العرفاتي القديم الداعي إلى التحرير الكامل، من خلال استغلال مبدأ العنف، من تحويلها على الطريقة الجزائرية إلى نضال وجودي من طراز كل شيء أو لا شيء. لكن قاداتها من "الحرس الجديد" المنتمين إلى التيار السائد، ولا سيما مروان البرغوثي الذي وقع في نهاية المطاف في الأسر، من خلال المنظمتين اللتين ترأسهما، التنظيم، وكتائب شهداء الأقصى، وكلاهما متفرع من حركة فتح الأساسية بزعامة عرفات، أكدوا تكراراً عدم وجود أي طموح لديهم يتجاوز الاثنين والعشرين في المائة. لقد أرادوا لدولتهم المستقلة أن تتعايش مع إسرائيل، لا أن تدمرها⁽²¹⁰⁾.

كانت صدمت الفلسطينيين عميقة، وكانت الرغبة في الانتقام عنيفة، وقد أفضى ذلك إلى أنماط أكثر فاعلية من العنف الفلسطيني، وقد بلغت هذه الأنماط ذروتها الرهيبة مع المفجرين الانتحاريين لكن فيما كان ذلك يتحقق، لم يرد الرأي العام الإسرائيلي إلا برص الصفوف في ظل رغبة متنامية بالمعاقبة والانتقام. لقد كان الرأي العام هذا في أي حال من الأحوال مشبعاً بعمق المواقف الازدرائية نحو شعب خاضع مثلما هو الحال في المجتمعات الاستعمارية في أي مكان، وكثير التقبل للشعار الاستعماري النموذجي: "اللغة الوحيدة التي يفهمونها هي القوة". وبالنسبة إلى أولئك

²¹⁰ ديفيد، هيرست، البنديفة وغصن الزيتون، مرجع سابق، ص41.

اليساريين، الذين اعتبروا عن حق بحسب ظنهم أنهم قد فعلوا الكثير للترويج لعملية السلام، وكانت الانتفاضة، حتى من دون المفجرين الانتحاريين، عبارة عن خيانة. لقد أسفوا لأن عرفات الذي كانوا قد منحوه ثقتهم، قد خيب أملهم بشكل فادح، وقبلوا رأي باراك أنه قد (عرى الوجه الحقيقي لعرفات) من خلال الرفض الذي ووجه به (عرضه السخي)، وتقلص معسكر السلام الصلب الحقيقي إلى ما يشبه التلاشي. أما بالنسبة إلى اليمين، فقد حققت الانتفاضة نبوءاتهم؛ لم يرد الفلسطينيون السلام يوماً، وبقي عرفات (القائد المجرم) المصمم على تدمير إسرائيل كما كانوا وصفوه، ولم يمر وقت طويل قبل أن يصبح اليسار واليمين معاً مستعدين للمنقذ الذي وعدهم بحل عسكري بسيط، ففي الانتخابات العامة في شباط 2001، اختاروا بأغلبية كبرى شارون ليحل محل باراك على رأس أكثر الحكومات تطرفاً وميلاً للقتال في تاريخ إسرائيل⁽²¹¹⁾.

بالنسبة إلى شارون، مثلت الانتفاضة، الفرصة التي كان ينتظرها. هو من الزعماء الإسرائيليين الذين عارضوا كل خطوة من خطوات عملية السلام من كامب ديفيد الأولى في العام 1978 إلى أوسلو، وقد قام بذلك لأنه عرف أن هذه التسويات كانت تشمل، أو على الأقل دلت لإعادة تقسيم (أرض إسرائيل)، المنطقة المعتبرة في التفكير العام لليمين الإسرائيلي مطابقة لفلسطين التاريخية التي أصبحت بعد العام 1967 واحدة موحدة. فبالنسبة إليه، وإلى كثيرين غيره، من أعضاء الليكود ومستوطنين وقوميين علمانيين ومتطرفين دينيين بشكل عام، كانت أوسلو، أعظم محنة تحل بإسرائيل على الإطلاق، ونقضاً للصهيونية كما كانوا يفهمونها، وكانت الأجهزة الأمنية الإسرائيلية بطلب من باراك آنذاك، قد نشرت تقريراً ينص على: "أن عرفات كشخص يمثل تهديداً شديداً لأمن الدولة، وأن الضرر الذي سينجم عن اختفائه أقل من ذلك الناجم عن وجوده"، وتلا ذلك صدور "كتاب أبيض" مؤلف من ستين صفحة حمل عنوان: (عدم إذعان السلطة الفلسطينية: سجل عدم الثقة وسوء السلوك". وبعد أن اتهم الكتاب عرفات بتنظيم الانتفاضة، وحتى ما كان يحصل بمجرد الحلقة الأحدث في سلسلة طويلة من الأدلة على أن الرجل لم يكن قد تخلى عن "خيار العنف والكفاح المسلح" وعن إعطاء الضوء الأخضر تكراراً للإرهاب الإسلامي، ولم يقدم الكتاب دليلاً جدياً على هذا الإدعاء. أما بالنسبة إلى شارون، فكان ما حصل عن أمرين متداخلين، فمن ناحية، كان مبارزة شخصية حتى الموت مع خصم تاريخي كان قد وصل مثله إلى ذروة حياته السياسية. لقد عبر

²¹¹ ديفيد، هيرست، البنديفة وغصن الزيتون، مرجع سابق، ص44.

تكراراً بشكل علني عن ندمه على أنه كان في مراحل سابقة قد ترك عرفات حياً ليخوض معركة جديدة، ومن الناحية الأخرى، كان إلحاق الهزيمة بما كان يعتبره أكبر تهديد لإسرائيل من قيامها في العام 1948، لقد حمل عرفات والسلطة الفلسطينية المسؤولية المباشرة عن كل عملية (إرهابية)، وطالبهما بوقف العمليات من هذا النوع، فقد كان هذا الشيء أعمال شارون نفسه، فقد أخضع عرفات لحصارات طويلة ومذلة شلت حركته في مقره في رام الله، أثناء آخرها فجر جيشه بالديناميت المجمع كله وجرفه بالجرافات، ولم يترك سوى مكتب عرفات قائماً، جزيرة وسط أكوام من الركام، ثم دمر المؤسسات نفسها، والأجهزة الأمنية والشرطة، التي أصبح عرفات من دونها لا يملك القدرة اللازمة لفرض إرادته، وظل شارون يقدم عرفات بوصفه العقل المدبر للإرهاب⁽²¹²⁾.

مع نهاية عام 2002 أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل مقاطعة ياسر عرفات سياسياً وتوالي الضغط على السلطة الفلسطينية لتشكيل حكومة فلسطينية على رأسها رئيس وزراء، وخصوصاً بعد تهديد إسرائيل غير مرة باغتيال ياسر عرفات أو نفيه خارج فلسطين، وفي خطاب منح الثقة لأول رئيس مجلس وزراء فلسطيني بتاريخ 2003/4/3 أمام المجلس التشريعي الفلسطيني أكد أن منصب رئيس الوزراء هو موقع دستوري أقرته جميع المؤسسات الوطنية، وهو في الجوهر محاولة جديدة لتطوير أداء السلطة الفلسطينية والإعداد لبناء الدولة، بما في ذلك التحضير للانتخابات القادمة بعد زوال العقبات التي يضعها الاحتلال الإسرائيلي لتكريس نظام سياسي ديمقراطي، أضف إلى ذلك تأزم الوضع السياسي الفلسطيني الداخلي، وانغلاق فرص العودة إلى طاولة المفاوضات ما بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل، وبعد ما يقرب على ثلاث سنوات من الانتفاضة، وأن كانت قد أكدت قوة إرادة الشعب الفلسطيني، إلا أنها لوحدتها لم تكن مهياً لإجبار إسرائيل على الاعتراف بالحقوق الوطنية الفلسطينية المشروعة. بعد كل ذلك طرحت الولايات المتحدة مدعومة بأهم قوى سياسية دولية وبمباركة عربية رسمية خطة خارطة الطريق، وكان المطلوب من الفلسطينيين الرد على هذه المبادرة الجديدة، التي بالرغم من كل الثغرات التي تحتوي عليها إلا أن أصحابها (الرباعية) وبقية دول العالم يعترفون ولأول مرة بحق الفلسطينيين بدولة على أراضي 1967، يمكن أن تقام عام 2005.

²¹² ديفيد، هيرست، البنديقية وغصن الزيتون، مرجع سابق، ص 45-46.

تدارست القيادة الفلسطينية بكل مستوياتها التنفيذية والتشريعية هذه الخطة، ووافقت القيادة على تكليف محمود عباس الرجل الثاني في منظمة التحرير والقيادة بتشكيل هذه الحكومة، وهذا ما حدث بعد مشاورات مكثفة مع كافة القوى السياسية وفعاليات المجتمع المدني. عرض محمود عباس التشكيلة الحكومية على القيادة الفلسطينية بكافة مستوياتها ونالت الموافقة، ثم عرضها على المجلس التشريعي ونالت الثقة، وبالتالي أصبحت الحكومة الجديدة حكومة شرعية من حقها اتخاذ الإجراءات والقرارات اللازمة للتجاوب مع خارطة الطريق، ولإصلاح النظام السياسي والوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي في مناطق السلطة الفلسطينية، وكان معلوم للمواطن والمسؤول أن خطة خارطة الطريق الأمريكية لا يمكن أن تنفذ إلا بدعم من الولايات المتحدة الأمريكية، وأن نجاح الخطة بضبط الوضع الأمني والسيطرة على الفصائل مرتبط بالتوصل إلى هدنة مع فصائل المقاومة، وهذا ما جرى حين باشرت الحكومة بالاتصالات المكثفة مع الإدارة الأمريكية ودول العالم، كما توصلت إلى هدنة مع فصائل المقاومة الفلسطينية رغم اعتراض إسرائيلي شديد⁽²¹³⁾.

كان من البديهي والمتوقع أن تبحث إسرائيل عن أي ذريعة للتهرب من الالتزام بخارطة الطريق، وأن الولايات المتحدة وإن كانت حريصة على نجاح خارطة الطريق إلا أن هذا لن يكون على حساب انحيازها لإسرائيل، وبالتالي كانت كل المراهقات على الجانب الفلسطيني، وقدرة الفلسطينيين، حكومة وشعباً، على عدم إعطاء إسرائيل فرصة للتهرب من التزامها ومحاولة جذب المواقف الأمريكية والأوروبية إلى جانب الموقف الفلسطيني. هذه المراهنة على الموقف الفلسطيني ودعم كل القوى السياسية الفلسطينية للحكومة الجديدة وتجاوز المصالح الشخصية الضيقة والتناحرات الحزبية.

ولكن جوبهت الحكومة منذ بدايتها بالتشكيك والتآمر المعلن والخفي، بحيث باتت ما بين مطرقة حكومة شارون وسندان قوى فلسطينية تريد إفشال هذه الحكومة، ليس لخدمة مشروع وطني، بل لخدمة مآرب شخصية وفئوية، وكان لابد أن توّول الأمور إلى النهاية الدراماتيكية، بتقديم محمود عباس كتاب استقالة الحكومة للرئيس ياسر عرفات بعد مائة يوم فقط من تشكيلها. إن برنامج الحكومة التي ترأسها محمود عباس بالرغم من قصر المدة، فقد حاولت الحكومة إشعار المواطن الفلسطيني بنوع من الطمأنينة والهدوء ولمست انجازات، وبالرغم من أنها محدودة إلا أنها مهمة،

²¹³ محمود، عباس، تجربة المائة وثلاثين يوماً، أول رئيس وزراء في فلسطين (إنجازات وعراقيل) دن، أيلول 2003، ص1.

والأهم في هذه الفترة إنها أحدثت نقله نوعية في الحياة السياسية الفلسطينية، فقد شكلت منعطفاً حقيقياً في الحياة السياسية والنظام السياسي الفلسطيني، من حكم الأشخاص إلى حكم مؤسسات شرعية تخضع للمراقبة والمحاسبة⁽²¹⁴⁾، إن شكل الدولة التي تطمح لها الحكومة في وضع الأركان الصحيحة تشمل في ترتيب الوضع الداخلي، ولا يتم ذلك دون التزام جماعي بمبدأ سيادة القانون، وسيادة القانون لن تكون ذات مغزى فعلي وتطبيقي دون وجود قضاء مستقل فاعل ونزيه، ومؤسسات قانونية فاعلية، ووزارة عدل تدعم استقلال القضاء والعملية التشريعية وأداة تنفيذية قادرة على فرض الأحكام، لحفظ الأمن والنظام العام وتطبيق القانون، أما من الناحية الاقتصادية فقد وضعت الحكومة خطة تنموية شاملة على المستوى الوطني، وخاصة القدس، من خلال توفير الخدمات التعليمية والصحية والإعلامية والثقافية والزراعية اللازمة للمواطن، إضافة إلى استمرار التواصل مع القطاع الخاص وسن وتفعيل التشريعات والأنظمة لحماية الاستثمار والمستثمرين.

فيما يتصل بالموضوع المالي، فإن الحكومة تلتزم باستمرار بالعمل على تطبيق السياسة المالية عبر قانون الموازنة، وتنظم استثمارات السلطة والتي ستخضع للإشراف الحكومي والوقاية الدائمة وتوحيد كافة موارد السلطة الوطنية ضمن وزارة المالية لإدارة المال العام، ولن تسمح الحكومة باستغلال النفوذ الوظيفي، وإحالة المتهمين بالفساد وسوء استخدام المال العام إلى النيابة العامة، معتمدة في ذلك على الحقائق المثبتة والآليات النزيهة الموصلة إليه⁽²¹⁵⁾.

أما البرنامج السياسي تشمل من خلال برنامج حكومة محمود عباس بالتأكيد على الثوابت والحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني المتمثلة بالتخلص من الاحتلال بكافة أشكاله بإقامة الدولة الفلسطينية على حدود الرابع من حزيران لعام 1967، والقدس العاصمة الأبدية لها، والتأكيد على قرارات الشرعية الدولية ومبادرات السلام الدولية بناءً على قراري 242 و 338، وإيجاد حلاً عادلاً ومنتفق عليه ومنصفاً ومقبولاً للاجئين، بتطبيق قرارات الشرعية الدولية وخاصة القرار 194، وحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، والإفراج عن الأسرى من السجون الإسرائيلية، تلك هي أسس الحل، وليس بمقدور احد أن يفرط في إحداها.

²¹⁴ محمود، عباس، تجربة المائة وثلاثين يوماً، مصدر سابق، ص2.

²¹⁵ محمود، عباس، تجربة المائة وثلاثين يوماً، مصدر سابق، 7-8.

إن منظمة التحرير هي المرجعية الوحيدة للشعب الفلسطيني، وصاحبة شرعية النطق باسمه والتفاوض نيابة عنه وإبرام الاتفاقيات بتحويل من مؤسساتها الرئيسية، إن الحكومة، التي هي جزء من النظام السياسي الوطني، نظام منظمة التحرير، ملتزمة تمام الالتزام ببرنامج وقرارات المجلس الوطني والمركزي على الصعيد السياسي والاستراتيجي المتمثل بالحل السياسي الواقعي بالمفاوضات والحل السلمي للقضية الفلسطينية⁽²¹⁶⁾.

²¹⁶ محمود، عباس، تجربة المائة وثلاثين يوماً، مصدر سابق، 16.

4.3 المبحث الرابع: محمود عباس رئيساً: الموقف من السلطة الوطنية ومنظمة التحرير الآراء والرؤية من الصراع والتسوية.

إن التحويل في الحقل السياسي كان قد بدأ مع فشل مفاوضات الوضع النهائي في تموز 2000، وكان مهد له قبل ذلك سياسة إسرائيل المراوغة، بل والمعتلة لقيام دولة فلسطينية مستقلة على الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ العام 1967، تمثلت في استمرار الاستيطان، وإجراءات ضم القدس وتهويدها، ورفض الإقرار بحقوق اللاجئين الفلسطينيين، لذا، أعلن فشل مفاوضات قمة كامب ديفيد حول الحل النهائي انتهاء المراهنة الفعلي على المفاوضات كإستراتيجية للوصول إلى اتفاق ينهي الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي، وعبر عن دخول هذا الصراع مرحلة جديدة، كان التعبير الفلسطيني عن هذا الفشل قد تجسد من خلال انتفاضة ثانية تبيح استخدام السلاح، ولاحقاً استخدام الصواريخ المصنعة محلياً في قطاع غزة، والقيام بعمليات داخل الخط الأخضر طالت مدنيين إسرائيليين، الرد الإسرائيلي على الانتفاضة الثانية جاء مزدوجاً، فمن جهة تركت الحكومة الإسرائيلية للجيش الإسرائيلي مهمة قمع الانتفاضة وإضعاف السلطة وفصائل المقاومة، ومن جهة ثانية اعتمدت على سياسة جديدة تقوم على الشروع في رسم حدود إسرائيل من جانب واحد (أي دون اتفاق مع القيادة الفلسطينية)، والتصرف على أساس ان لا وجود لشريك فلسطيني مفاوض، معتبرة السلطة الفلسطينية سلطة (فاسدة) تدعم الإرهاب ولا تريد السلام، وتولت إسرائيل، بناء على ذلك، محاصرة رئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات، وفرض الإقامة الجبرية عليه، والدعوة، شاركتها فيها الإدارة الأمريكية إلى قيام قيادة جديدة غير موصومة بالإرهاب "

شكلت وفاة الرئيس ياسر عرفات في 11 تشرين الثاني / نوفمبر 2004، نقطة تحول مهمة، ذلك بأن الرئيس الراحل أسس نظاماً سياسياً في الأرض المحتلة لا بد من أن يتغير بعد وفاته، فقد كان عرفات بشخصه هو "الصمغ اللاصق" لهذا النظام، ولم يكن في الإمكان إحلال آخر محله لأسباب متعددة، منها من رافق ياسر عرفات منذ انتخابه في عام 1969 رئيساً لمنظمة التحرير الفلسطينية من قادة لهم سطوة داخل المنظمة، أما توفوا وإما أقصوا عن العمل السياسي داخل المنظمة .

ترك رحيل ياسر عرفات، بما مثله من شخصية وطنية تاريخية، وبما جسده من أسلوب قيادي متنافر في بناء المؤسسات، ومن نزوع لتجميع السلطات بيده، أثراً ملموساً على النظام السياسي

الفلسطيني، فقد رافق عرفات على راس الحركة الوطنية الفلسطينية النهوض الذي شهدته حركات التحرر في العالم، ونهوض الحركة القومية العربية، وحضور حركة عدم الانحياز، في ظل نظام القطبين في العالم، وفي ظل توفر دعم الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية الأخرى، كما رافق عرفات، ومعه الحركة الوطنية الفلسطينية، تراجع حركة التحرر العربية، وضعف النظام الإقليمي العربي وتشققه، وصعود نظام القطب الواحد الأمريكي، وتواري لغة التحرر الوطني أمام هيمنة لغة الاقتصاد السوق الحرة والعولمة الأمريكية والليبرالية الجديدة.

كان الهدف من الإجراءات الإسرائيلية والأمريكية اتجاه مرحلة عرفات والصمت العربي اتجاهها فصل المرحلة السياسية التي مثلها عن المرحلة التي أرادت هذه القوى إحلالها لتهيئة تسوية للصراع الإسرائيلي - الفلسطيني، وهذا يفسر استهداف الإجراءات الإسرائيلية الاقتصادية والأمنية والعسكرية والإدارية تحويل الضفة الغربية وقطاع غزة إلى مجموعة من العوازل المحاصرة اقتصادياً وعسكرياً وأمنياً . (217)

لقد نوقش موضوع ما بعد عرفات في أثناء النقاشات الداخلية في حركة فتح التي بدأت مع نهاية عام 2002 بعد إعلان الولايات المتحدة وإسرائيل مقاطعة عرفات سياسياً، وخصوصاً بعد تهديد إسرائيل أكثر من مرة باغتياله أو بنفيه خارج فلسطين، وكان الرأي الراجح في حينه، كما قال أحدهم، أن لا خيار لحركة فتح سوى، "الاصطفاف" وراء محمود عباس "ابو مازن"، لكن محمود عباس لم يكن ياسر عرفات، ولم يكن يملك، أو انه لم يسعَ إلى الاستحواذ على محاور النظام السياسي الفلسطيني بالطريقة التي اعتمدها عرفات.

وتكمن سمات النظام السياسي الفلسطيني وخصائصه في عهد عرفات، خلال حقبة المنظمة في الخارج، وفي الداخل بعد إنشاء السلطة الفلسطينية، في أنها كانت تتسم بالزبائنية، التي هي إحدى أدوات الحكم في النظام المسمى بـ (البتريمونيالية الجديدة) (New - patrimonialism)، أي وجود نظام غير رسمي له الفاعلية الأساسية في الحكم على الرغم من وجود نظام رسمي آخر، فيه مسميات ومناصب ووصف وظائف الزبائنية أكثر فاعلية من النظام الرسمي، وبلغة أخرى، يوجد نظام " البيروقراطية العقلانية " مع نظام آخر غير رسمي مبني على علاقات زبائنية أقوى فاعلية

²¹⁷ جميل، هلال، النظام السياسي الفلسطيني بعد أوسلو، ط2، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2006، رام الله: المؤسسة الفلسطينية

لدراسة الديمقراطية - موطن، 1998 ص 278 - ص 310.

في معظم الأحيان من النظام الرسمي، ويستمد قوته وفاعليته من ارتباطه، وان كان من حلقات متعددة، برأس النظام السياسي، وكانت هذه أيضاً بنية حركة فتح، فعلى الرغم من أن نظامها الداخلي ينص على وجود ثلاث هيئات تتخذ فيها القرارات على عدة مستويات، أي المجلس العام، والمجلس الثوري، واللجنة المركزية، فضلاً عن المؤتمر العام، فإن جميعها كانت غير فاعلة في عهد عرفات، بمعنى أن النظام غير الرسمي داخل الحركة (أي محاور الارتباط الزبائنية) كان هو الأقوى والأكثر فاعلية، ويستمد شرعية وجوده وتأثير دوره من مركز القرار الرئيسي وهو الرئيس عرفات، وقد تضعف هذا النظام غير الرسمي بعد وفاة عرفات، وشهدت الحركة إعادة اصطفاة داخلي وتعديلاً في التحالفات بين مختلف الحلقات داخلها، ولم يسع أبو مازن، ولم يتمكن من الإمساك بالخيوط كافة، كما كان يفعل عرفات، الأمر الذي أحدث فراغات جرت تعبئتها جزئياً بفعل عدد من الإجراءات والسياسات التي اتخذها أبو مازن "

إن انتقال القيادة الفلسطينية إلى الداخل، وبعد انتخاب ياسر عرفات رئيساً للسلطة الفلسطينية في كانون الثاني 1996، اجتمعت الصفتان في شخص الرئيس، أي رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، ورئيس السلطة الفلسطينية داخل الأراضي المحتلة، ومع مرور الوقت، تماهت الصفتان، وأصبح من المتعذر معرفة الفارق بين المنظمة والسلطة، وجرى ذلك على حساب المنظمة، لأن السلطة الفلسطينية، ككيان سياسي على الأرض حتى لو كان محدود الصلاحيات، أصبح الفاعل السياسي من منظور مختلف الأطراف الإقليمية والدولية. ومنذ الدورة العشرين في الجزائر عام 1991 حتى عام 2008، لم ينعقد المجلس الوطني خلال الأعوام السبعة عشر إلا مرة واحدة سنة 1996، وبناءً على طلب من الولايات المتحدة لغرض تعديل الميثاق الوطني الفلسطيني، وبعد إضافة أعضاء جدد على وجه السرعة، وقد أصبح هذا موضع تندر، إذ قيل بعد ذلك لا أحد يعرف تماماً عدد أعضاء المجلس مع كل الإضافات المرتجلة. (218)

1.4.3 البرنامج السياسي لمحمود عباس (أبو مازن):

أكد محمود عباس (أبو مازن) في برنامجه السياسي الذي طرحه على الشعب الفلسطيني، والذي انتخب بموجبه رئيساً للشعب الفلسطيني وسلطته على رؤيته السلمية للحل السياسي من أجل قيام الدولة الفلسطينية وحل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين حلاً عادلاً مستنداً إلى قرار الأمم المتحدة المرقم

²¹⁸ جميل، هلال، تحرير، فلسطين، دروس الماضي وتحديات الحاضر واستراتيجيات المستقبل، مرجع سابق، ص 136- ص 138.

194 لعام 1948 الذي يقضي بـرجوع الفلسطينيين المهجرين إلى ديارهم وتعويضهم عنـا لحق بهم من أضرار نتيجة للتهجير إضافة إلى التمسك بالمرجعيات الدولية لعملية السلام ويشمل ذلك القرارات الدولية 242، 338 الصادرة عن الأمم المتحدة ومباداة السلام العربية ومبدأ حل الدولتين وخارطة الطريق والقدس الشرقية ضمن حدود الرابع من حزيران لعام 1967 عاصمة للدولة الفلسطينية المستقلة، إضافة إلى حل القضايا السيادية والأمن والمياه والحدود والأسرى وغيرها.

لقد كان خطاب الرئيس الراحل ياسر عرفات (ابو عمار) أمام المجلس التشريعي الفلسطيني في الثامن عشر من شهر آب عام 2004 من ضمن الأسس التي استند إليها محمود عباس (ابو مازن) في صياغة برنامجه الوطني الانتخابي حيث تضمن البرنامج مجموعة من النقاط الهامة وهي كما يلي:

أولاً: التمسك بالثوابت الوطنية الفلسطينية والتي تؤكد على الاستمرار بالنضال لنيل الحقوق الوطنية، بحيث يتناسب نوع النضال مع المرحلة الجديدة، ويحقق طموح الشعب الفلسطيني في نيل حريته واستقلاله وبناء دولته المستقلة على الأراضي المحتلة عام 1967 وعاصمتها القدس مع التأكيد على ضرورة إيجاد حل عادل للاجئين الفلسطينيين وفق القرار 194 وتعويضهم عن الأضرار التي لحقت بهم نتيجة تهجيرهم من ديارهم، واعتبار أي حل يتجاوز اللاجئين باطلاً.

ثانياً: وقف العدوان الإسرائيلي والاعتداءات بكافة أشكالها حيث كثرت في الفترة التي سبقت ترشيح محمود عباس (ابو مازن) تزايد الاعتداءات الإسرائيلية والاعتداءات وتدمير البيوت ونشر الحواجز وعمليات التجريف وتخريب المزارع والبنى التحتية، حيث تعهد محمود عباس في برنامجه الانتخابي بالاستمرار والإصرار على المطالبة بوقف الاستيطان والأعمال العدائية الإسرائيلية التي لطالما استهدفت ممتلكات وكرامة الإنسان الفلسطيني ، ووقف مثل ذلك الأعمال العدوانية من شأنه تسهيل حياة المواطن واعتبارها مدخلاً لعملية السلام بشكل حقيقي خال من التسويق . (219)

ثالثاً: تعزيز الوحدة الوطنية، لا يمكن تفعيل مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية بدون علاقة تعتمد على أواصر الوحدة الوطنية للشعب الفلسطيني وفصائله المسلحة وتياراته السياسية كافة، فعند التوصل إلى قواسم مشتركة يتفق عليها الجميع وتكون مواقف الشعب الفلسطينية بكافة فئاته وتياراته

²¹⁹ www.falasteen.com

السياسية متوحدة تجاه الهدف أو الحد الأدنى المتفق عليه، فان ذلك يعطي المفاوض الفلسطيني القوة والقدرة على مجابهة الضغوط الإسرائيلية والدولية، ومن ناحية فلسطينية فان ذلك يفعل منظمة التحرير الفلسطينية ويشرك كافة عناصر الشعب الفلسطيني بالقرار ويدعم ويقوي مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية.

رابعاً: التمسك بخيار السلام الاستراتيجي، لقد أصبح خيار السلام الخيار الاستراتيجي الفلسطيني مباشرة بعد إعلان الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات في دورة المجلس الوطني الفلسطيني للعام 1988 الاستقلال، وهذا يعني القبول بحل الدولتين المبني على القوانين والأعراف الدولية ومستنداً إلى القرارات الدولية 242 و 338، سلام يضمن الحقوق الثابتة الفلسطينية ويتوافق وقرارات الشرعية الدولية، ويرى محمود عباس (ابو مازن) أن الالتزام المستمر من قبل الفلسطينيين واحترام الاتفاقات والموافقة على خارطة الطريق وقرارات الشرعية الدولية يجب أن يقابله التزام جدي مماثل من قبل إسرائيل تحت إشراف الأسرة الدولية وبهذا ممكن لعملية السلام أن تؤتي ثمارها، بحيث تبسط السلطة الوطنية سيطرتها على أي أرض تجلو عنها سلطة الاحتلال الإسرائيلي، مع الحفاظ على الترابط الجغرافي لأجزاء الوطن الفلسطيني بالصفة والقطاع ويكون ذلك جزءاً أساسياً من الخطة النهائية لإنهاء الاحتلال .

خامساً: العمل على تعزيز علاقة الفلسطينيين بالمحيط العربي الإقليمي والإسلامي والدولي مع الالتزام بعدم التدخل بشؤون تلك الدول أو الانحياز لجهة ضد جهة أخرى. (220)

سادساً: استنهاض طاقات الشعب الفلسطيني بكافة أشكالها لمقاومة الاحتلال وهذا ما كفأته كافة المواثيق الدولية للشعوب التي تتعرض للاحتلال ويجب عدم التنازل عن هذا الحق وعن حق الدفاع عن النفس ضمن الإمكانيات المتاحة والمتوافقة مع تقاليدنا وتراثنا الثوري ومع القانون الدولي. وقد أثبت الشعب الفلسطيني مقدرته هائلة في ذلك تجسدت في العديد من الفعاليات والنشاطات المقاومة مثل مقاومة الجدار وحشد كافة الطاقات والاستعانة بنشطاء حقوق الإنسان في التصدي لجدار الفصل العنصري حيث أثبتت تلك النشاطات فعاليتها ومقدرتها على كسب الرأي العام العالمي ومحاصرة السياسات العدوانية وكذلك إفشال محاولات إصاق تهمة الإرهاب بالنضال الوطني الفلسطيني المشروع، حيث كان قرار محكمة العدل الدولية في لاهاي بعدم قانونية بناء الجدار

²²⁰ www.falasteen.com

ووجوب إزالته نموذجاً ساطعاً وتجسيداً فاعلاً لجدوى التحرك الجماهيري في كسب الرأي العام واستصدار قرارات وأحكام دولة.

إضافة إلى ذلك فقد ركز البرنامج السياسي للرئيس الفلسطيني محمود عباس (ابو مازن) إلى الدفاع عن مدينة القدس كعاصمة للدولة الفلسطينية وكذلك تطرق برنامج الرئيس الفلسطيني محمود عباس (ابو مازن) إلى بناء دولة القانون والمساواة والتسامح ومواصلة مسيرة الإصلاح في مختلف المجالات كالتعليم والصحة و الرعاية الاجتماعية والثقافية إضافة إلى العمل على محاولة إعادة الأعمار وتنشيط الاقتصاد وتعزيز دور القطاع الخاص مع العمل على ضمان حقوق المرأة والطفل في كافة العمليات السياسية والنشاطات التي ستقوم بها حكومة الرئيس ابو مازن حال توليه رئاسة السلطة الفلسطينية . (221)

عندما قررت الترشح للانتخابات، كان كل كلامي ضد التيار، قلت ممنوع إطلاق الصواريخ، ممنوع الانتفاضة المسلحة، وكان مبدأ واضح صريح، والمقربين والناس يسألوني: كيف سيتم انتخابك على هذا الأساس، والإجابة كانت انه من الأفضل أن أصرح للناس من أن أكذب عليهم، ومن ثم أن أرادوا انتخابي على هذا الأساس أهلاً وسهلاً، وإذا لا يريدون أنا لا اهتم، سأسقط في الانتخابات، ولا مانع لدي، وكانت نسبة التصويت لصالح، بلغت 62 %، إن السياسة المتبعة والرؤية الواضحة انه يجب عليك أن تصرح للناس بالموقف الحقيقي، ولا تركض ورائها، تستشف ماذا يريدون، ولكن القائد يقرر، ولكن لا تركض ورائهم إذن لماذا أنت قائد؟ إذا كنت قائداً ومسؤولاً وكل ما خرج عليك مظاهرة من عدة أشخاص هل تركض ورائهم؟ إذن إبقى معهم، وبالتالي يجب على القائد أن يتصرف كذلك، وحقيقة أنا لست شعبي، بمعنى أن أي شخص يقول لي شيئاً عن موضوع معين، فتكون الإجابة (ليس كذا وإنما كذا)، حتى لو خرج مجموعة من الناس أصرحهم برأي وهذه فناعتي، ولكن ليس ديكتاتور، لأنني افهم حاجة الناس واستشفها وأقول هذا رأيه . (222)

وبعد مرحلة عرفات أصبح مطلب إصلاح منظمة التحرير أكثر إلحاحاً، وهذا ما أدركه محمود عباس جيداً، لكن مشروع محمود عباس كان متعدد الأوجه من ناحية مسعاه الإصلاح، فضلاً عن برنامجه السياسي الذي انتخب على أساسه في كانون الثاني / 2005، وكان محمود عباس صريحاً

²²¹ www.falasteen.com

²²² مقابلة مع الرئيس الفلسطيني محمود عباس، فلسطين - رام الله - مكتب الرئيس ، 2011/7/7.

وجريئاً أيضاً في مناهضته العلنية لما سماه (عسكرة الانتفاضة) وذلك من قبل أن يصبح أول رئيس وزراء للسلطة الفلسطينية عام 2003 ولفترة عدة أشهر، وبفعل جهود مكشوفة، جرى اتفاق القاهرة بين حماس وفتح، فضلاً عن فصائل أخرى في آذار / 2005، وكان محمود عباس يهدف إلى التمهيد لإنجاز برنامجه السياسي الإصلاحى المتمثل في العودة إلى المفاوضات بعد وفاة عرفات، وإدخال حماس في النظام السياسى الفلسطينى من خلال الانتخابات، وإصلاح منظمة التحرير الفلسطينية، وهما بندان أساسيان في اتفاق القاهرة، ومنذ انتخابه في كانون الثانى / 2005، حتى الانتخابات النيابية في كانون الثانى / 2006، أهملت القيادة الإسرائيلية بشكل كلى تقريباً دعوة محمود عباس (ابو مازن) إلى العودة إلى المفاوضات، وظل مطلب إصلاح منظمة التحرير مؤجلاً إلى ما بعد انتخابات المجلس التشريعى . (223)

عندما انتخب، محمود عباس (ابو مازن) رئيساً جديداً للسلطة الفلسطينية تجاهلت الحكومة الإسرائيلية (وكانت برئاسة شارون) السياسة التي أعلن عنها الرئيس الفلسطينى الجديد التزامه بها (المفاوضات كاستراتيجية وحيدة، خارطة الطريق، وقف استخدام السلاح بقرار سياسى، التهدئة، وتبنيه برنامج إصلاح ومحاربة الفساد)، والتي انتخب، بغالبية، 62% من أصوات الناخبين، على أساسها، لكن رئيس الحكومة الإسرائيلى (شارون) اعتبر أن الرئيس الجديد أضعف من أن يكون شريكاً، بتعبير آخر، كانت الحكومة الإسرائيلية بقيادة شارون قد حسمت موقفها اتجاه العلاقة مع السلطة الفلسطينية ومنظمة التحرير، عبر اختزال هذه العلاقة إلى مجرد علاقة هدفها التوصل لترتيبات أمنية لصالح إسرائيل، وتولت بتسويق ترتيباتها المنفردة إزاء الأراضي المحتلة لعام 1967، واستمرت إسرائيل بالتصرف باعتبار أن لا وجود لشريك فلسطينى لها في العملية السياسية فهي واصلت إجراءاتها الهادفة ضم أكبر جزء من الأراضي المحتلة مع أقل قدر من السكان الفلسطينى، والعمل على دفع أكبر عدد ممكن للهجرة عبر إبقاء الاقتصاد الفلسطينى تابعاً وهشاً ومفتتاً.

بقيت السلطة الفلسطينية أسيرة الوضع الكالونيالى للاحتلال الإسرائيلى وظهر أن الدعوة للإصلاح التي تبنتها الإدارة الأمريكية والاتحاد الأوروبى وإسرائيل لم تكن تحمل المضمون ذاته لدعوة الإصلاح الداخلى، بل استهدفت وضع سقف على المشروع الوطنى الفلسطينى، بحيث يقترب من

223 جميل، هلال، تحرير، فلسطين، دروس الماضى وتحديات الحاضر واستراتيجيات المستقبل، مرجع سابق، ص 138 - 139.

التصور الإسرائيلي، وتبين بعد انتخاب محمود عباس (أبو مازن) رئيساً للسلطة الفلسطينية، وبإستراتيجية عنوانها الأوسع وقف العمل العسكري، واعتماد المفاوضات سبيلاً وحيداً لحل الصراع، إن المطلوب أمريكياً وإسرائيلياً ليس تغيير الإستراتيجية الفلسطينية، بل تغير المشروع الوطني الفلسطيني، بحيث لا يعد يتضمن القدس كعاصمة لدولة فلسطين، ولا إخلاء جميع المستوطنات، ولا احقاق حقوق اللاجئين، ولا السيادة على الحدود والموارد الطبيعية، لقد فصل عام كامل بين انتخاب ابو مازن رئيساً للسلطة الفلسطينية، وبين انتخاب المجلس التشريعي، ولم تتقدم خلال هذا العام عملية المفاوضات قيد انملة، ولم يطلق سراح أي عدد يذكر من المعتقلين في السجون الإسرائيلية، أو إن يتوقف الاستيطان في الضفة الغربية، أو يتوقف تهودي القدس، أو يتوقف بناء جدار الفصل العنصري كل ما جرى هو سحب المستوطنين والجيش الإسرائيلي من قطاع غزة في إطار مشروع رسم حدود إسرائيل النهائية من جانب واحد، ضمن إستراتيجية الحفاظ على يهودية دولة إسرائيل . (224)

ويرى الباحث إن موقف منظمة التحرير الفلسطينية والسلطة الوطنية الفلسطينية بشكل عام وموقف محمود عباس بشكل خاص حول موضوع يهودية الدولة قد تم رفضه بشكل نهائي وهو من السياسات الثابتة في النهج السياسي لمحمود عباس والقيادة الفلسطينية، ومع إصرار إسرائيل على هذا المطلب سنعرض الموقف الإسرائيلي والموقف الفلسطيني وتداعياته على مستقبل الفلسطينيين.

أخذ مفهوم يهودية الدولة - إسرائيل دولة يهودية، منذ نحو عقدين من الزمن، يتردد على ألسنة عدد من المسؤولين الإسرائيليين، ويشغل اهتمام وسائل الإعلام.

ومن الملاحظ بوضوح أن ارتفاع وتيرة ترده وتداوله ترافق مع مسار عملية التفاوض بين الطرفين، الفلسطيني والإسرائيلي، كما أن يطرح، عادة من جانب الطرف الإسرائيلي، كطلب، أو اشتراط، موجه إلى الطرف الفلسطيني، ويطفو على السطح، في بعض الأحيان، خلال الصراع الداخلي بين التيارات السياسية الإسرائيلية حول النشاط الاستيطاني في المناطق الفلسطينية المحتلة والتقدم في عملية السلام. ففي أعقاب تقدم الإدارة الأمريكية خطة خارطة الطريق، أرفقت إسرائيل قبولها للخريطة المقترحة جملة من التحفظات والتعديلات والإضافات، مع أنها نسقت معها في رسم معالم الخريطة، وضرورة اعتراف الطرف الفلسطيني بيهودية الدولة - إسرائيل دولة يهودية (أيار

²²⁴ جميل، هلال، النظام السياسي الفلسطيني بعد أوسلو، مرجع سابق، ص 278، ص 299.

(2003 -)، وهدفت من وراء ذلك الالتفاف حول حق العودة للاجئين الفلسطينيين، لقد حرص رؤساء الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة، بدءاً بأرائيل شارون، وانتهاءً بنيامين نتنياهو، وسار الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش (الابن) على منواله، ولم يترك فرصة تمر دون الإعلان عن إسرائيل كدولة يهودية حيوية، وفي مؤتمر أنابوليس، عاد رئيس الحكومة الإسرائيلية إيهود أولمرت وأكد ضرورة الاعتراف بإسرائيل كدولة يهودية (2007/11/27). ولم يفوت الرئيس الأمريكي باراك أوباما الفرصة، حيث أكد هو الآخر ما سبق لسلفه ما تفوه به، وأيد الاعتراف بإسرائيل كدولة يهودية، وكرر ذلك أمام لجنة الشؤون الأمريكية الإسرائيلية (إيباك) في العام 2008، وكذلك في أيلول من العام 2010 في خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، حين أكد التزام الولايات المتحدة بالاعتراف بإسرائيل بصفها دولة يهودية.

إن لافتة يهودية الدولة تستثمر في الصراع الداخلي بين القوى السياسية في إسرائيل، وبخاصة بين المؤيدين والمعارضين للنشاط الاستيطاني في الأراضي الفلسطينية المحتلة، حيث يعتمد المعارضون إلى إشهار سلاح يهودية الدولة في وجه الخصوم، تحت ذريعة أن النشاط الاستيطاني من شأنه نسف عملية السلام، وما سيتبع سقوط حل الدولتين، وتمهيد الطريق أمام الحل الآخر المعتمد على قيام دولة ثنائية القومية، وما ينطوي عليه من مخاطر على يهودية الدولة، وقد سار عدد من المسؤولين في الإدارة الأمريكية على منوال المعارضين الإسرائيليين للنشاط الاستيطاني، عند انتقادهم لهذا النشاط، لمسّه يهودية الدولة، وتعرض طابعها اليهودي للخطر. (225)

كما بزّ رئيس الحكومة الإسرائيلية بنيامين نتنياهو جميع من سبقوه على سدة الحكم في إسرائيل، برفع لافتة " الإرهاب الفلسطيني " أمام عملية السلام بهدف عرقلتها ونسفها، فإنه أحرز قصب السبق في رفع لافتة يهودية الدولة، مشترطاً على الطرف الفلسطيني رفعها معه، ليتسنى التقدم في إرساء السلام المنشود، ورد الطرف الفلسطيني - الذي وجد نفسه أمام مطلب غريب يركز على طابع الدولة وليس على الدولة نفسها - مرة تلو الأخرى بالرفض وبأشكال وصيغ مختلفة.

ارتفعت وتيرة هذا المطلب الإسرائيلي في أثناء توجه الطرف الفلسطيني للأمم المتحدة لنيل عضويتها بالدولة الفلسطينية على حدود العام 1967، واتخذ نوعاً من التحدي، فبتاريخ 2011/6/28 توجه نتنياهو، في كلمة له أمام أعضاء من الوكالة اليهودية في القدس، إلى الرئيس

²²⁵ عبد الحفيظ، محارب، يهودية الدولة - الفكرة - الدولة وإشهارها، مجلة شؤون فلسطينية، العدد 246، خريف 2011، ص 53 - 54.

الفلسطيني محمود عباس مطالباً إياه بأن يردّد على لسانه جملة لا تتعدى كلمات أربع : "أنا أقبل دولة يهودية"، وما لبث أن جاء الرد على لسان الرئيس الفلسطيني، في الجلسة الافتتاحية للمجلس المركزي الذي عقد في رام الله بتاريخ 27/ تموز / 2011 تضمنت جملة قصيرة لم تتجاوز هي الأخرى كلمات أربع، تعبر عن الرفض المطلق للاعتراف بالدولة اليهودية، أو يهودية الدولة: (لن نقبل بها مطلقاً) . (226)

وفي سؤال وجه إلى الرئيس الفلسطيني محمود عباس بعد عودته من الأمم المتحدة لمجلة شؤون فلسطينية، بأن الموقف الفلسطيني يرفض الاعتراف بيهودية الدولة الإسرائيلية. ولكن هناك دولاً تعترف بذلك، هل قمنا بما فيه الكفاية لإيضاح موقفنا إزاء تلك المسألة، والكشف عن مرامي إسرائيل من وراء الاعتراف بها كدولة يهودية؟

فأجاب: لقد شرحت في خطابي أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة الأسباب التي تدعونا لرفض الاعتراف بإسرائيل كدولة يهودية. إن مثل هذا الاعتراف سوف يجحف بوضع وحقوق مليون ونصف مليون فلسطيني يعيشون كمواطنين في دولة إسرائيل ويحرمهم من حقوق المواطنة المتساوية، وقد يعرضهم في المستقبل لسياسات من التمييز والإقصاء كما أن الاعتراف بإسرائيل كدولة يهودية سوف يسقط حق الملايين من اللاجئين الفلسطينيين في العودة إلى ديارهم طبقاً للقرار 194، ويلغي من جدول أعمال مفاوضات الوضع النهائي موضوع اللاجئين، وبالإضافة إلى ذلك، فإن مطلب إسرائيل الاعتراف بها كدولة يهودية سوف يحول الصراع القائم في المنطقة إلى صراع ديني ويؤجج مشاعر التعصب والتطرف.

إن طلب إسرائيل الاعتراف بها كدولة يهودية لم يوجه لأحد غيرنا، وقد عقدت إسرائيل اتفاقيات سلام مع دول عربية أخرى، ولم يكن الاعتراف بإسرائيل كدولة يهودية شرطاً لتوقيع هذه الاتفاقيات، لذلك نحن نرى من هذا المطلب الإسرائيلي منا، والذي لا يلقى إجماعاً إسرائيلياً، ذريعة أخرى للمماطلة والتهرب من مفاوضات جادة تقضي إلى إنهاء الاحتلال عن أراضينا وإقامة دولتنا المستقلة.

²²⁶ عبد الحفيظ، محارب، يهودية الدولة، مجلة شؤون فلسطينية، العدد 246، مرجع سابق، ص 55.

وفيما يتعلق بدول أخذت تتحدث عن اعترافها بإسرائيل كدولة يهودية فهذا شأنها، رغم أننا نعتقد أن مثل هذه المواقف تتعارض مع المفاهيم الديمقراطية، لأنها تتجاهل حقوق المواطنين من غير اليهود في دولة إسرائيل، كما أنها لا تعزز المفاهيم التي تسهم في تحقيق السلام والتعايش بين شعوب المنطقة، وفي الوقت الذي نرفض فيه الاعتراف بإسرائيل كدولة يهودية، فقد أكدنا اعترافنا بدولة إسرائيل في الاتفاقات الموقعة بيننا، وبالمناسبة، أنا لست على علم بأية دولة في العالم تعترف بإسرائيل كدولة يهودية، فالاعتراف الرسمي بين الدول لا يقوم على هذا الأساس . (227)

وفي مقابلة مع الرئيس الفلسطيني محمود عباس تم سؤاله: لماذا تعيرون هذا الاهتمام الكبير لمخاطبة الرأي العام الإسرائيلي والتأشير في مفاتيح الجاليات اليهودية في الغرب؟ فأجاب : نحن لأننا نتكلم مع الإسرائيليين ولأننا نقوم بالتفاوض مع اليهودية العالمية نريد أن نقنع اليهودية العالمية وإسرائيل بأن هناك صوت آخر يتكلم معهم، وإذا ما تحدثنا معهم يعني ذلك فقط أن من يتحدث معهم هو ننتياهو، وآذانهم لا تسمع إلا صوت ننتياهو، لذلك أن أول شيء فعلته في الفترة الماضية اللقاء بشكل متواصل مع الإسرائيليين في رام الله وعن طريق الإعلام من صحافة وتلفزيون، والأهم من ذلك ولأول مرة قد فعلت خرق أو اختراق ، ذهبت إلى نيويورك على (الايياك) وجلست معهم، مع العلم بأنه تم تحذيري من الجميع بأنهم متطرفين، وتم الإجابة عليهم، بأنني أريد الحديث مع المتطرفين، لأن غير المتطرفين معي، مثلاً صديقي (بوسي بلين) معي، ولكن أريد أن أرى المتطرف، حتى أن الإدارة الأمريكية، آنذاك قد نصحتني ان لا أذهب، وذهبت ، واجتمعت مع 45 شخصية علماً أن أفقرهم يمتلك 5 مليار دولار .

وتم السؤال كيف سنبدأ الحديث، فكانت إجابتي : (of the record وليس in the record)، فرحوا، بمعنى تكلموا بحرية، هكذا امتصيت 30 % من (intention) الخاص بهم، بدأوا الأسئلة، وأنا أقوم بإجابتهم وبدون مجاملة، يعني ان أقوم بمجاملتهم بكلمة أو بسؤال لا، وسألوا لماذا لا تريد الاعتراف بالدولة اليهودية ؟ وكان جوابي إني لا أريد الاعتراف بالدولة اليهودية، اذهبوا إلى الأمم المتحدة للاعتراف بكم، لا شأن لي بذلك، وسؤالهم حول القدس لمن؟ أجبتهم: القدس الشرقية لنا،

²²⁷ سمح شبيب، رياض الحسن، وآخرون، مقابلة مع الرئيس الفلسطيني محمود عباس، مجلة شؤون فلسطينية، العدد 246، خريف

والقدس الغربية لكم، وموضوع اللاجئين وهو أحد البنود الستة الواردة في اتفاق أوسلو أريد وضعها على الطاولة، أنتم لماذا ترفضون بحثها لنضعها على الطاولة لننتكلم فيها.

ومن ثم ذهبت للقاء 75 شخصية من (الهاي سوسيتي) وجميعهم حضروا بطائرتهم الخاصة، ومن ثم اللقاء مع الجالية اليهودية في فرنسا، وقبلها في البرازيل، وكندا، وجنوب إفريقيا، وأينما ذهبت التقى بالجاليات اليهودية، وفي بعض الأحيان أحضرهم إلى رام الله، وأحياناً أتكلّم معهم من خلال التلفاز، لتؤثر على الجانب الإسرائيلي، يجب أن يسمع رأياً آخر، فإذا لم يسمعوا رأياً آخر، سيبقى متعنّت، لأن ما يسمعه من نتتياهو هو ما يمشي عليه، وهذه هي المعركة السياسية وهذا ما يقلق نتتياهو، لذلك من خلال اللقاءات مع الجاليات اليهودية ومع الإسرائيليين، تبين بأن نتتياهو غير صادق (كاذب) وأنتم افحصوا صدقه من عدمه لأن هذه هي الحقيقة، وبنفس الكلام والعبارات واللغة أقولها دائماً في لقاءاتي مع الجاليات اليهودية . (228)

لاشك أن وفاة ياسر عرفات قد أشارت على حركة فتح، وعلى أصحاب القرار في السلطة الوطنية الفلسطينية، بإمكانية لتغير أسلوب القيادة الذي ساد منذ التسعينات في حركة فتح ومؤسسات منظمة التحرير التي جمدت بقرار من رئيس السلطة الفلسطينية، كما في مؤسسات السلطة، فلم يعد ممكناً تكرار أسلوب القيادة الفردي السابق، ولا الإبقاء على كل هذا الحجم من الصلاحيات (التنظيمية والسياسة والمالية والعسكرية) بيد رئيس السلطة الوطنية مع بقائه رئيساً للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير، ورئيساً لحركة فتح، وبات على أي رئيس جديد للسلطة، إذا أراد الاستمرار في القيادة، أن يعود للمؤسسات الوطنية وان يسعى لإدخال الحياة فيها، وبخاصة أمام انسداد فرص عمل مقبول للصراع مع إسرائيل، وفاة عرفات وضعت، أول ما وضعت حركة فتح أمام مستحققات انتخابية متعددة المستويات، في وقت أحدثت الانتفاضة تحولاً في ميزان القوى بين التنظيمات السياسية الفاعلة في الحقل السياسي، حيث بات موجوداً من يستطيع منافسة وتحدي حركة فتح عبر صناديق الاقتراع، وهو ما أشارت إليه نتائج الانتخابات المحلية التي جرت على فترات زمنية متباعدة ووفق أكثر من نظام انتخابي، كان آخرها نظام اعتماد التمثيل النسبي في تشكيل هيئات الحكم المحلي، كما بدأ ان تشكيل قيادة برلمانية للحركة وضع هذه، إلى حد ما، في مواجهة مع قيادة عرفات التاريخية، نجح الأخير في احتوائها عبر العلاقات الزبائنية، أضف إلى هذا أن الحركة التي

228 - مقابلة مع الرئيس الفلسطيني محمود عباس (أبو مازن)، فلسطين - رام الله - مكتب الرئيس، 2011/7/7.

استحوذت على مقاليد السلطة الفلسطينية لأكثر من عقدين من الزمان، وكانت وراء توقيع اتفاق أوسلو فشلت، لأكثر من سبب واعتبار، منها بدون شك التصلب الإسرائيلي، في تحويل الحكم الذاتي على أجزاء من الضفة الغربية وقطاع غزة إلى دولة مستقلة وذات سيادة.

إن الشروط التي توفرت لحركة فتح في انتخابات العام 1996 لم تتوفر في الانتخابات التشريعية التي أجريت في كانون الثاني من العام 2005 لأكثر من متغير، أبرز هذه المتغيرات، غياب ياسر عرفات وما مثله من نفوذ داخل حركة فتح وداخل الساحتين العربية والدولية، ونمو نفوذ حركة حماس خلال سنوات الانتفاضة الثانية واستعدادها للمشاركة في الانتخابات المحلية والتشريعية، والتراجع النسبي لنفوذ حركة فتح، وتراجع رصيدها التوظيفي بحكم التحول في سياسة الدول المانحة والقيود الإسرائيلية على الاقتصاد الفلسطيني، وبحكم التخمة البيروقراطية التي بات يعاني منها القطاع الحكومي، كما وجدت حركة فتح نفسها منقسمة على ذاتها، وتدخل حلبة الانتخابات بأكثر من قائمة انتخابية، وعندما تم الاتفاق على قائمة واحدة، بعد مفاوضات مطولة بين القائمتين المتنافستين، رشح العشرات من كوادر حركة فتح أنفسهم كمستقلين في مواجهة مرشحي فتح الرسميين، هذا في الوقت الذي خاضت حماس الانتخابات بجسم موحد .²²⁹

منحت نتائج انتخابات المجلس التشريعي الثاني لعام 2005، لحركة حماس الفرصة لتشكيل حكومة من لون سياسي واحد، انطلاقاً من حصولها على أغلبية مقرررة داخل المجلس التشريعي (حيث تتمتع بما يعادل نحو 60% من عضوية المجلس) وبات بمقدورها تمرير ما تريد من قرارات وتعديلات وتشريعات، باستثناء ما يخص القانون الأساسي الذي يحتاج تغيير بنوده إلى ثلثي أصوات المجلس، ولم تر حاجة، بعد نجاحها في الانتخابات، في تعديل برنامجها السياسي بهدف تشكيل حكومة ائتلافية مع حركة فتح، أو مع أي من الكتل البرلمانية الأخرى.

فحركة حماس قررت أن تبقى على مواقفها المعلنة وعند فوزها في الانتخابات وتشكيلها الحكومة - التي لا تعترف بمنظمة التحرير ممثلاً شرعياً وحيداً، وهو عكس موقف جميع فصائل المنظمة، ورفض حكومة حماس لبرنامج الدولتين الذي تتبناه حركة فتح ومعظم فصائل منظمة التحرير، ومنها عدم اعتراف حماس بالاتفاقيات المعقودة مع إسرائيل.

²²⁹ - جميل، هلال، النظام السياسي الفلسطيني بعد أوسلو، مرجع سابق، ص 298، ص 300.

وجدت حماس نفسها في إشكالية مزدوجة، يخص الجانب الأول منها علاقتها بالفصائل الفلسطينية الممثلة في المجلس التشريعي، وفي منظمة التحرير الفلسطينية، التي تحمل برنامجاً سياسياً مختلفاً، ويسري هذا على علاقتها بمؤسسة الرئاسة في السلطة الفلسطينية كزعيم لحركة فتح وكرئيس للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير .

ويخص الجانب الثاني من الإشكالية علاقات حكومية (وقيادة) حماس الإقليمية والدولية، فقد خضعت حركة حماس لضغوط مختلفة من أجل تغيير برنامجها السياسي والمخاطرة بفقدان جزء مؤثر من جمهورها، والظهور بمظهر المتقلب في مواقفه السياسية وتفاقم الصعوبات والمشاكل أمام حركة حماس بفعل العزلة السياسية والحصار المالي اللذين فرضا على حكومتها، واللذان شلا قدرتها على الحكم، وفتحا الباب على مصراعيه لانهيار السلطة قبل ان يتم إعادة إحياء وتشكيل منظمة التحرير لتكون المرجعية القيادية والسياسية للشعب الفلسطيني في الداخل والشتات، هذا الواقع وضع حركة حماس تحت مطرقة ضغوط ومسؤوليات داخلية كبيرة، إضافة إلى افتقادها لبرنامج سياسي واقعي تسلم به الشعب الفلسطيني في مواجهة المشروع الإسرائيلي الذي يسعى إلى تقويض الحلم بدولة وطنية مستقلة وقابلة للاستمرار .²³⁰

قام محمود عباس بالطلب من اسماعيل هنية تأليف حكومة بعد الانتخابات حتى حددت الحكومة الإسرائيلية مجموعة شروط، طلب من حماس القبول بها، وأولها الاعتراف بدولة إسرائيل، وبعد أن ألقت حماس الحكومة، سعت إسرائيل لتسويق شروطها لدى الإدارة الأمريكية، ومن ثم بات موقف اللجنة الرباعية في الشرق الأوسط، أضحى اسمها بعد ذلك (شروط الرباعية) للتعامل مع الحكومة الجديدة، وجرت مقاطعة الحكومة الجديدة من قبل معظم الدول الأوروبية، وحول الدعم المالي المخصص للسلطة إلى الرئيس محمود عباس، وفي مسعى لتفادي الحصار الاقتصادي والسياسي للحكومة، جرى الاتفاق على تأليف حكومة (وحدة وطنية) تشارك فيها فتح وباقي الأحزاب أو الكتل الممثلة في المجلس التشريعي واستمرت تلك الحكومة في عملها على الرغم من المقاطعة التي فرضت عليها، وبعد أحداث أواسط حزيران / 2007، قام محمود عباس (أبو مازن) بحل حكومة الوحدة الوطنية، وطلب من سلام فياض تأليف حكومة جديدة .²³¹

²³⁰ - جميل، هلال، النظام السياسي الفلسطيني بعد اوسلو، مرجع سابق، ص 289.

²³¹ - جميل، هلال، تحرير، فلسطين، دروس الماضي وتحديات الحاضر واستراتيجيات المستقبل، مرجع سابق، ص 140.

أحداث أواسط حزيران /2007 المشار إليها من وجهة نظر حركة فتح تسمى (انقلاب عسكري على الشرعية)، ومن جهة نظر حركة حماس تسمى (الحسم العسكري) وقد نتج عن ذلك، حكومتان فلسطينيتان، واحدة في الضفة الغربية والأخرى في غزة، لقد وضع فوز حماس في الانتخابات التشريعية، وفوز أبو مازن في الانتخابات الرئاسية وكل منهما رشح نفسه ببرنامج مختلف، شقي السلطة التنفيذية في حالة مواجهة سياسية لن يكون من السهل التعايش معها لفترة طويلة دون أن يتخلى أحد الطرفين عن برنامجه الانتخابي، أو أن يتفقا على صلاحيات كل طرف، وأشكال التنسيق وآلياته، وكلا الأمرين ليس سهلاً، ما يرجح استمرار التوتر بين الطرفين، كما أن الحصار السياسي ولحد ما الإقليمي لحكومة حماس، إضافة إلى إخضاعها للحصار المالي، واعتبار إسرائيل السلطة الوطنية ككل (سلطة إرهابية)، يضع السلطة الفلسطينية كما باتت مشكلة بعد كانون الثاني من العام 2006 تحت ضغوط لا يقوى على تحملها، وقد تقود إلى انهيارها بكل ما سيطرحه مثل هذا التداعي. لقد احتفظ رئيس السلطة الفلسطينية ببناء على إصرار الرئيس السابق (ياسر عرفات) بمسؤولية المفاوضات مع إسرائيل (كونه رئيس اللجنة التنفيذية المسؤولة عن المفاوضات مع إسرائيل)، وبمسؤولية بعض الأجهزة الأمنية، كما يصادق رئيس السلطة على القوانين الصادرة عن المجلس التشريعي، لتصبح سارية المفعول، ويستدعي إصدارها في حال وضع الرئيس (فيتو) عليها إجراءات تشريعية معقدة ومطولة نوعاً ما ، هذا ويخضع رئيس الوزراء ومجلس الوزراء لمساءلة المجلس التشريعي.

الجديد هنا أن الخلاف بين مؤسسة الرئاسة وبين رئيس الوزراء لم يعد قائماً على الصلاحيات فحسب، كما كان الوضع عندما تولى الرئاسة ياسر عرفات، بل أصبح الخلاف يدور أساساً حول الرؤية والموقف السياسيين، هذا يجعل التنازع أكثر حدة وخطورة بسبب التداخل بين الشأين، وهو ما حصل لدى إعلان وزير الداخلية في حكومة حركة حماس، بتاريخ 20/4/2006، عن تشكيل قوة خاصة من رجال الأمن وعدد من الفصائل لمواجهة أبناء حركة فتح (الانفلات الأمني حسب وجهة نظر حماس)، فكان أن أصدر رئيس السلطة الفلسطينية، في اليوم التالي، مرسوماً رئاسياً يلغي هذه الإجراءات باعتباره ليس من صلاحيات وزير الداخلية.

لقد دخلت الانتخابات التشريعية والرئاسية في العامين 2005 و 2006 الحركة السياسية الفلسطينية في حالة من الصراع بين برنامجين وسلطتين، يستند احدهما (رئيس الوزراء) إلى ثقة المجلس

التشريعي ويستند الثاني (رئيس السلطة) إلى شرعية الانتخابات المباشرة من الشعب، كما يستند إلى موقعه من منظمة التحرير كرئيس للجنة التنفيذية. هذا الحال يطرح مرة أخرى الحاجة إلى إعادة النظر في واقع منظمة التحرير ودورها وعلاقتها بالسلطة الفلسطينية، فالصراع بين مؤسسة الرئاسة وبين مجلس الوزراء يعود إلى الاختلاف في المواقف السياسية بين المؤسستين، ومن الأمثلة على ذلك، موقف الرئيس المندد بعملية تل أبيب في 2006/4/17 التي أعلنت مسؤوليتها حركة الجهاد الإسلامي، بالمقارنة مع موقف الحكومة المبرر لها، كما يعود التنافس على الصلاحيات، وهي صلاحيات يترتب عليها إجراءات وتدابير ذات أهمية حياتية للفلسطينيين في الضفة والقطاع، ولن يكون من السهل التباين في المواقف السياسية عندما تكون هذه المواقف متباعدة كما هي بين قيادة حركة فتح ممثلة برئيس السلطة الفلسطينية، وبين حركة حماس ممثلة برئيس الحكومة اتجاه قضايا تمس أهداف المشروع الوطني الفلسطيني واستراتيجياته، ويصبح الوضع أكثر صعوبة عندما يكون للأحزاب السياسية أجنحة عسكرية (أي لا تحتكر السلطة الشرعية اقتناء السلاح واستخدامه)، وعندما يغيب الاتفاق على أشكال مقاومة الاحتلال والمشروع الإسرائيلي التي تخدم النضال الوطني والأشكال التي تتعكس سلباً على هذا النضال وأهدافه .²³²

إن الأحداث التي تلت التوقيع على وثيقة الإجماع الوطني في حزيران 2006، بعد أسر الجندي الإسرائيلي من قبل حماس ومن تنظيمين آخرين وبعد أسر جنديين إسرائيليين من قبل حزب الله اللبناني، وما تبع هذين الحدثين من عدوان إسرائيلي واسع على قطاع غزة وعلى لبنان، وضع مصير الحزبين ومصير المناطق المحتلة أمام أسئلة تبعات موازين القوى الإقليمية والدولية.

وفي مقابلة مع الرئيس الفلسطيني محمود عباس تم سؤاله، ما هو سر نجاحكم في إخراج منظمة التحرير والسلطة الفلسطينية من دائرة الإرهاب التي كادت تؤدي بالشعب الفلسطيني وبنضاله، هل الاعتدال هو المفتاح؟

ليس الاعتدال وإنما الحقيقة، أنا الآن أعيش واقع، العالم بأجمعه يقول ضع الكفاح المسلح جانباً، فهل سمعت في الثورات العربية المعاصرة الآن (الربيع العربي) أحدهم يقول نريد ان نحارب، الجميع يقول سلمية، إذن: هم يقولوا سلمية وأنا أقول (حربية) كيف؟ وبالمناسبة بخصوص (الربيع العربي) وموقفنا منه: الآن ونحن نشاهد الثورات العربية، نحن مع من، فإذا قلت نحن مع هذا

²³² - جميل، هلال، النظام السياسي الفلسطيني بعد أوسلو، مرجع سابق، ص 300 - 302.

سنخسر الطرف الآخر، والعكس أيضاً، لذلك عممنا رسمياً بعدم التصريح نهائياً حول الثورات العربية وما يحصل في البلاد العربية، وهذا ينسجم مع مبادئ منظمة التحرير الفلسطينية، وحركة فتح والسلطة الوطنية الفلسطينية، بأننا لا نتدخل بالشؤون الداخلية للدول العربية وغيرها، والسبب أننا تعلمنا من تجارب الماضي، مثلاً نحن أخطئنا في موقف القيادة الفلسطينية من احتلال العراق للكويت، ولأننا تدخلنا، والآن لن نتدخل أبداً، ومن خلال لقائي مع سفراء الدول العربية في كافة أنحاء العالم، سؤالهم دائماً حول ما هو رأيك في الربيع العربي، ويكون الجواب بأن لا شأن لنا بما يحصل في البلاد العربية من ثورات، لأنه ينتهي غبار المعركة الداخلية، وماذا يقرر الشعب نحن معه، لذلك قمت بزيارة تونس بعد الثورة، وقمت بزيارة مصر 3 مرات بعد حدوث الثورة، أما قبلها لم نعلق على شيء، وبالعودة إلى سؤالك، في قمة سرت الأخيرة أحد زعماء الدول العربية هاجمني وقال " نحن مع المقاومة ومع الممانعة " فأجبتته وقلت له : " أنا من اخترعت الكفاح المسلح وليس أنت، نحن من أول الناس الذين اخترعوا الكفاح المسلح"، ولكن الآن أقول المفاوضات هي الطريق الصحيح، وأنا شخصياً باسم الشعب الفلسطيني، لا أريد ان أقاوم، أريد ان أفوض (باستثناء المقاومة الشعبية السلمية)، وحركة حماس في قطاع غزة آمنوا الآن بوقف إطلاق الصواريخ وقالوا بأنها غير وطنية وقاموا بعمل هدنة طويلة الأمد مع إسرائيل، علماً بأنني قلت بأن هذه الصواريخ عبثية فإن ما هو الفرق. من هنا أنت تعيش الحقيقة وتعرف ماذا تريد وتعرف مصلحة الشعب الفلسطيني، لأنه أنا (محمود عباس) المسؤول عن كل الشعب الفلسطيني بقرار ادمره ، وبقرار أقوم بإسعاده ، وأنا لست مستعد لتدميره، واليك نموذج آخر عندما تمت الحرب على قطاع غزة في نهاية عام 2008 وبداية عام 2009 ، بدأت الحرب وكل القيادات الفلسطينية اجتمعت ويريدون اتخاذ قرار بإعلان الحرب، طبعاً لو إني وافقت معهم لكنك قد دمرت الضفة الغربية تدميراً كاملاً، والجهود التي بذلت والتي تبذل لضاعت، بالإضافة إلى الأمن والاستقرار المنقر لذهب سدى، ونوع الاقتصاد المزهر إلى حد ما لضاع، والبنية التحتية من شوارع وعمار سيجري عليه مثلما حصل في الانتفاضة الثانية عام 2000 من تدمير لكل ما سبق ذكره، طبعاً الانتفاضة الثانية انا كنت ضدها من اول يوم اندلعت فيه ، وقلت للأخ أبو عمار أوقف هذه الانتفاضة طبعاً لم يسمع كلامي وصمت، وأكثر من مرة نصحته بإيقاف الانتفاضة، ولكنه لم يستطع إيقافها بعد ذلك، وضاعت منه البوصلة.

اجتمعت القيادة معي وأخبرتني بأن الفترة الحالية (العدوان على غزة) طوارئ بسبب عدم وجود قانون، وأبلغتهم بأن لدي 3 محرمات، الأولى، من يقوم برمي حجر على الجيش الإسرائيلي أقوم بقطع يده، والثانية، من يذهب ويركض على الحاجز الإسرائيلي أقوم بقطع قدمه، والثالثة من يقوم بشتم الزعماء العرب خاصة الملك عبد الله (ملك الأردن) أو الرئيس المصري حسني مبارك أقوم بقطع لسانه، لأنهم ليسوا هم من يعتدون على قطاع غزة، وإنما إسرائيل من تعتدي على القطاع وانتم عليكم شتم إسرائيل والصهيونية والامبريالية العالمية كما تشاؤون، وقمنا بنفاذ البلد من هذه الأزرمة والموقف، فإذن المبدأ الذي جنئت عليه مع إخواننا هو، هو، نعم حصل مخالفات بسبب عدم التدخل ولكن مع الأسف دفعنا ثمنها غالياً ولم نقم بتكرارها مرة أخرى، الشيء الآخر انه في نهاية المطاف يجب أن تجلس على الطاولة مع الإسرائيليين، ولذلك أنا مع المفاوضات مع المفاوضات مع المفاوضات . 233

منذ تأليف الحكومة الأولى بعد الانتخابات عام 2006، تضافر عدد من الناطقين باسمها للتأكيد ان حماس تقبل ما يقبله الفلسطينيون في استفتاء بشأن الحل الممكن، وقد تحول هذا الخطاب في عامي 2009 و 2010، على لسان كل من خالد مشعل وإسماعيل هنية، على قبول حل الدولتين مع (هدنة طويلة الأمد). وكان هذا أقصى ما يمكن لـ حماس أنه تقدمه من موقف (براغماتي) يراعي الوضعين الإقليمي والدولي فيما يتعلق بالحل الممكن للصراع، وكان من المتوقع ألا ترضى كل هذه التصريحات إسرائيل، ومن ثم الولايات المتحدة والرابعة المرتهنة بموقف إسرائيل بفعل نفوذ الولايات المتحدة، المرتهنة هي أيضاً بموقف إسرائيل، لكن معضلة حماس تكمن في مكان آخر، إذ لا يمكنها أن تكون سلطة ومقاومة في الوقت نفسه، ذلك لأن إسرائيل ومن ورائها الولايات المتحدة لن تسمح بذلك، وعليه فإن حماس مازالت في وضع مؤقت فهي سلطة في غزة تدير شؤون السكان المدنيين، إلا أنها كمقاومة محجمة عن القيام بهذا الدور، بالإضافة أنها عملت على منع المقاومة من الفصائل الأخرى في قطاع غزة، لكن من الجلي أن هذا الوضع لن يستقيم في المدى الأطول، إذ لا يمكن لحماس الحفاظ على صدقيتها كمقاومة أن استمرت لفترة غير متناهية كسلطة فقط من دون مقاومة، وهذه هي معضلة حماس في المدى الأطول.

²³³ -مقابلة مع الرئيس الفلسطيني محمود عباس، فلسطين - رام الله - مكتب الرئيس 2001/7/7.

وتكمن معضلة السلطة الفلسطينية في أنها لا تستطيع أن تحكم لفترة لا متناهية من دون أفق مرئي وواقعي للوصول إلى حل الدولتين، وهذا ليس لأن مسار أوصلو من منظور فلسطيني كان يفترض به الوصول إلى حل الدولتين، فحسب، بل لأن الفلسطينيين لم يتصوروا أن الهدف من وجود السلطة الفلسطينية هو إدارة شؤون السكان المدنيين فقط، هذا الوضع يفقد السلطة الفلسطينية شرعية وجودها من منظور الرأي العام الفلسطيني، وهو أيضاً معضلتها في غياب أي تقدم نحو الحل المنشود.²³⁴

لقد مرت السلطة الفلسطينية بثلاث مراحل حتى الآن وقد بدأت المرحلة الأولى باتفاقية إعلان المبادئ عام 1993 (وما تلاها من اتفاقيات عامي 1994 و 1995) ، وانتهت بوفاة الرئيس عرفات في تشرين الثاني / 2004، أما المرحلة الثانية فبدأت بانتخاب الرئيس محمود عباس في كانون الثاني / 2005 واستمرت حتى نهاية عام 2008، وانتهاء عهد الرئيس الأمريكي جورج بوش، وفشل مفاوضات مسار أنابولس الذي بدأ مع عام 2008 وانتهى بنهايتها، وأما المرحلة الثالثة فقد بدأت بانتخاب الرئيس الأمريكي أوباما واستعادة قدر من الأمل من جانب السلطة الفلسطينية بوجود تغيير في السياسة الأمريكية تجاه الصراع، الأمر الذي عززته مواقف إدارة أوباما الأولى والمبكرة بالطلب من إسرائيل إيقاف الاستيطان، غير أن هذا الأمل بدأ يتبدد بالتدريج مع سلسلة التراجعات التي أقدمت عليها إدارة أوباما، وغياب أي ضغط فعل على حكومة نتانياه، لكن السلطة الفلسطينية لم ترغب في أحداث قطيعة من الإدارة الأمريكية، فقامت بالتساوق مع مساعيها انه ليس أكثر من "إدارة الأزمة" وقبلت ببدء مفاوضات " غير مباشرة " ثم مفاوضات مباشرة لمدة محدودة لم تثمر شيئاً.²³⁵

وفي سؤال وجهه إلى الرئيس الفلسطيني خلال المقابلة وهو، لقد اتخذتم قرارات تاريخية وشجاعة منها وقف المفاوضات والتعارض مع الإدارة الأمريكية في كثير من المفاصل، واتخذتم قرارات داخلية في منتهى الجرأة لترتيب أوضاع حركة فتح، فهل تستمدون هذه المواقف من تأييد الشعب فقط، أم أنكم تجدون عوناً من القيادات الوطنية التي تحيط بكم؟ أجاب: لو لم أكن أعرف ان الشعب هكذا تتطلب مصلحته، وهكذا يفكر لم أسأل، وأنا أعلم أين هي مصلحة الشعب الفلسطيني، وبإمكانك

²³⁴ - جورج، جقمان، الفلسطينيون والمعضلات الثلاث، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 76، خريف 2008، ص 26، ص 28.

²³⁵ - جميل، هلال، فلسطين دروس الماضي وتحديات الحاضر واستراتيجيات المستقبل، مرجع سابق، ص 144.

أن تسأل كل الشعب في الضفة الغربية تريد حرب أم سلام؟ يقولون لك السلام، وبالتالي عندما نريد أن نأخذ قرار تعرف أين هي مصلحة الشعب الفلسطيني ونمشي على أساسها، القضية ليست سهلة أحد القادة الأمريكيان يقول لي: الرئيس الشعبي فاشل، فأجبت: صحيح، لأن الرئيس الشعبي من يدور على الناس هو فاشل، لأنه يقوم بالضحك على الناس، ولو كان القرار لا يرضي البعض، ولكن في النتيجة يكتشف البعض أن هذه هي الحقيقة، وإنشاء الله نكون على حق، وعن عون القيادة الوطنية، أن القيادة الوطنية تتفهم، القيادة في اللجنة المركزية لحركة فتح أو غيرها، عندما نأخذ قرار، تؤيده، بالتأكيد، عندما سألتني عن وقف المفاوضات، هناك قضايا كثيرة من 7 أو 8 قضايا قلت للأمريكان فيها (لا)، ومنها عندما قلنا بأننا نريد الذهاب إلى مجلس الأمن (لإصدار قرار ضد الاستيطان الإسرائيلي في الأراضي المحتلة)، كادوا يهددونني، فقلت لا، (أنا لست عنتر) ولكن في النهاية أنا أريد الخوض بمعركة سياسية والنتيجة كانت أنهم استخدموا حق النقد (الفيثو)، وفي صباح اليوم التالي وكأنه لم يكن هناك شيء، والكثير أحياناً يقولوا لي هذا صحيح أقول لهم لا، في قمة دمشق جاء إلي (ديك تشيني)، قال لي يا ابو مازن انا قمت بإعطائك 470 مليون دولار، فلا تذهب إلى القمة، فقلت له : يا سلام إذا أعطيتني 470 مليون دولار تريد مصادرة إرادتي، من مصلحتي الذهاب إلى القمة، وأصلاً القمم العربية كلها اخترعت ووجدت لأجل فلسطين، إذن هو ليس تحدي للإرادة الأمريكية، ولكن ما تتطلبه مصلحة الشعب الفلسطيني، وأنا أعرف أين تكمن مصلحة الشعب الفلسطيني (وهم يقولون لا أنت لست كذلك، وأحياناً أخطر أن أقول لهم لا ليس هكذا) وقد قلت للإدارة الأمريكية 8 مرات في عهدي وبشكل علني، وتوجهت في نفس الليلة للاجتماع مع القيادة الفلسطينية وقلت لهم الآن أنهيت مكالمة هاتفية مع الرئيس الأمريكي باراك أوباما مدتها 55 دقيقة، وكلها كلام فقط، وفي الخلاصة قلت له أريد العودة إلى قيادتي، وسألت القيادة ما هو رأيكم فقالوا نحن نريد الاستمرار، أنا لا أعامر لأن المغامرات محفوفة بالمخاطر.²³⁶

وتم سؤال الرئيس محمود عباس من خلال المقابلة، هل كان الرئيس الراحل ياسر عرفات سيتخذ المواقف التي اتخذتموها لو كان على قيد الحياة أم أنه ربما له مواقف مختلفة عنكم؟ وكيف ترون الفرق في طريقة ومنهج القيادة بينكم وبين ياسر عرفات؟ فأجاب: نحن مدرسة واحدة وهو من القلائل البراغماتيين الذين يفكرون إلى الأمام، يفكرون جيداً، لكن أحياناً يحاط بدائرة الخطر أو

²³⁶ -مقابلة مع الرئيس الفلسطيني محمود عباس (أبو مازن)، فلسطين - رام الله - مكتب الرئيس، 2011/7/7.

التخويف، أو دائرة (الهيجة) هيا يا رجال، فتضيع منه البوصلة، وعندنا الأرض واحدة، لكن أحياناً سبحان الله جل من لا يخطئ، لكن لا نختلف في الرؤية أبداً، ومن القلة كما قلت المنسجمين في الرأي والمواقف والرؤية السياسية، أما المنهج لا يوجد خلاف سوى أن الظروف التي أعيشها تختلف عن الظروف التي كان يعيشها ابو عمار الاختلاف في الظروف فقط، وبالتالي في عام 2000 كان هناك جو عام الانتفاضة فصارت الانتفاضة، وأتصور بأنه منذ استلامي عام 2005 إلى 2007، لم يكن لدينا 5 شرطة بمعنى شرطة يلتزموا بالأوامر، وقمنا ببناء الأجهزة الأمنية على أسس مهنية منها المخبرات العامة، وحرس الرئيس، وبعدها بدأنا ننظف البلد واحدة واحدة.

ولكن حصل الانقلاب العسكري لحماس في قطاع غزة الذي لم يكن بالإمكان الوقوف في وجهه، لأنهم يمتلكون سلاح وتنظيم، وأنا ما عندي هذا الشيء، و المهم أن الأمور مرهونة بظروف أكثر، إذن لو كان أبو عمار مكاني لعمل نفس الشيء .²³⁷

2.4.3 دوافع توجه منظمة التحرير الفلسطينية والسلطة الوطنية للبحث عن حلول

مع نهاية عام 2010 بدأت إمارات الضيق وفقدان الأمل تظهر لدى السلطة الفلسطينية من جراء عدم وجود أفق جدي لمسار سياسي مقنع للجمهور الفلسطيني، تحافظ فيه على صدقيتها وشرعية وجودها أمامه، وفي الربع الأخير من عام 2010، أعلن الرئيس محمود عباس (أبو مازن) انه في حال فشل المفاوضات فإن لدى السلطة (خطة ب) التي لطالما طولبت من خلال الأعوام الماضية من قبل الكثيرين من الكتاب والمعلقين في الصحف الفلسطينية، للإجابة عن سؤال يتعلق بخطة السلطة بعد فشل المفاوضات، فكان أن أعلن أبو مازن من ناطقين باسم السلطة خطة من ست نقاط تتضمن الذهاب إلى مجلس الأمن، وبعد ذلك الجمعية العامة في حال قيام الولايات المتحدة باستخدام حق النقض (الفيتو) لطلب الاعتراف بالدولة الفلسطينية على حدود الرابع من حزيران لعام 1967، وتنتهي الخطة في حال عدم نجاح الخطوات السابقة بالطلب من إسرائيل (تحمل التزاماتها) كسلطة محتلة، وفق ما صرح صائب عريقات في حينه، أي ما معناه حل السلطة كما هي العودة إلى ما قبل اتفاق أوسلو الذي أنشأها " ²³⁸

²³⁷ -مقابلة مع الرئيس الفلسطيني محمود عباس، فلسطين - رام الله - مكتب الرئيس ، 2011/7/7.

²³⁸ - جميل، هلال، تحرير ، فلسطين دروس الماضي وتحديات الحاضر واستراتيجيات المستقبل، 2011/7/7.

وفي سؤال وجهه إلى الرئيس محمود عباس من قبل الصحيفة في هيئة الإذاعة والتلفزيون الفلسطيني رحمة عبد الحق من خلال المقابلة: سيادة الرئيس، مجلس النواب الأمريكي سيقوم بالتصويت على قرار بوقف المساعدات عن الشعب الفلسطيني في حال توجهنا إلى الأمم المتحدة؟
أجاب: هذا الكلام صحيح، ولكن نحن سنتوجه إلى الأمم المتحدة بإنشاء الله، لأننا موجودين في المكان الصحيح، لأنه يوجد هناك دائرة صحيحة، ودائرة مريحة الكثير يقول دعنا في الدائرة المريحة، لأنه في الدائرة المريحة لا تتعب نفسك ولكن حقيقياً في الدائرة الصحيحة انت تتعب .²³⁹

وقد قامت السلطة الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية بخطوة أولى لأخذ قدر من زمام المبادرة تمثلت في الصمود أمام الضغوط الأمريكية لسحب المشروع المقترح لإدانة الاستيطان في أراضي الضفة الغربية لعام 1967 من أمام مجلس الأمن، الأمر الذي اضطر الإدارة الأمريكية إلى استخدام حق النقض. وقد أعلنت القيادة الفلسطينية أن الخطوة الثانية هي الذهاب إلى الأمم المتحدة ومجلس الأمن في أيلول/سبتمبر 2011، لطلب الاعتراف بها دولة في حدود عام 1967.

ورغم التهديد والوعيد للقيادة الفلسطينية من قبل الولايات المتحدة وإسرائيل لإقناعها بالتخلي عن ذلك التوجه، إلا أن القيادة الفلسطينية قد قررت تنفيذ كل ما يحقق مصالح وطموحات الشعب الفلسطيني، لقد توجه الرئيس محمود عباس إلى الأمم المتحدة بتاريخ 2011/09/23، ألقى الرئيس محمود عباس خطاباً شاملاً ومتكاملاً يشرح فيه معاناة الشعب الفلسطيني من سياسات الاحتلال الإسرائيلي، والأبعاد التاريخية والسياسية للقضية الفلسطينية، على المنبر الدولي (الأمم المتحدة) وطلب العضوية لدولة فلسطين، الذي لاقى كل ترحيب وقبول من المجتمع الدولي باستثناء الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل.

3.4.3 ما بعد توجه الرئيس محمود عباس إلى الأمم المتحدة

إن الذي دفع القيادة الفلسطينية إلى التوجه للأمم المتحدة هو الشعور باليأس والإحباط من العملية السياسية التي وصلت إلى حالة الجمود التام، في ظل حكومة بنيامين نتنياهو اليمينية المتطرفة، التي تصر على العودة إلى المربع الأول ونقطة الصفر، وتتجاهل في شكل كامل كل ما دار بين الفلسطينيين والإسرائيليين من محادثات ومفاوضات. وكل ما تم التوصل إليه من تفاهات لم تكن

²³⁹ - مقابلة مع الرئيس الفلسطيني محمود عباس (أبو مازن)، فلسطين - رام الله - مكتب الرئيس ، 2011/7/7.

مكتوبة، لرفض الحكومة الإسرائيلية التي سبقت حكومة نتنياهو، التوقيع على أي تفاهم، بحجة انتظار التوصل إلى التسوية الكاملة. نتياهو، الذي يطالب ليل نهار بالبداية بمفاوضات مباشرة فورية دون شرط مسبق، يطرح جملة من اللاتات - الشروط على الطرف الفلسطيني ، فهو يقول : (لا للعودة إلى حدود 1967، ولا للتفاوض حول القدس، ولا لعودة اللاجئين الفلسطينيين الذين يجب أن تحل قضيتهم في إطار الدولة الفلسطينية، ولا لانسحاب الجيش الإسرائيلي من غور الأردن والمناطق الإستراتيجية في الضفة الغربية، ولا لوقف البناء في المستوطنات التي يجب ان تصبح جزءا من دولة إسرائيل ، وعلى الفلسطينيين أن يعترفوا مسبقا بدولة إسرائيل كوطن قومي للشعب اليهودي) ، أي انه ينسف، بشروطه هذه، مرجعيات العملية السياسية، ويحدد مرجعيات جديدة لها لا يمكنها أن تقضي إلى تسوية مقبولة بأي حال على الجانب الفلسطيني. وإلى جانب توقف المفاوضات في صورة كلية، ويستمر البناء الاستيطاني بكثافة في مختلف مناطق الضفة الغربية ، وبخاصة في مدينة القدس وما حولها، في مسعى إسرائيلي حثيث لتحويلها بالكامل، ومنع تحولها في المستقبل القريب إلى عاصمة لدولة فلسطين، بتغيير الواقع الديمغرافي، وكذلك الجغرافي مدينة القدس، بمعنى أن الجمود في العملية السياسية يقابله فرض أمر واقع يجعل استئناف المفاوضات بعد فترة من الزمن، إذا ما توفرت شروط الحد الأدنى لاستئنافها، يتعامل مع واقع جديد على الأرض يصعب القفز عنه، تماما كما تحول المطلب الإسرائيلي بتبادل قسم من المستوطنات والكتل الاستيطانية القريبة من الخط الأخضر إلى أمر مقبول ومسلم به في كل تسوية قادمة على الأقل، من حيث قبول الفكرة مبدئيا.

هذا الخطر الداهم على مستقبل القضية الفلسطينية، ومستقبل التسوية السياسية، يهدد بانفجار الوضع برمته في المناطق الفلسطينية، خصوصا إذا أخذنا بعين الاعتبار أن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بدأت تتدهور في ظل حصار اقتصادي (مالي) جزئي غير معلن على السلطة الوطنية، التي أصبحت تجد صعوبة، شهرا بعد شهر، في تأمين رواتب موظفيها، من مدنيين وعسكريين، والوفاء بالاحتياجات الأساسية للمواطنين.

هذه الأمور مجتمعة، بالإضافة إلى الانقسام الذي يعاني منه المجتمع الفلسطيني وبحول الوطن إلى منطقتين منفصلتين مختلفتين ليس فقط جغرافيا، بل سياسيا واقتصاديا واجتماعيا في ظل سلطتين متنازعتين، تهدد وجود السلطة الوطنية واستمرار قيامها، كما تهدد المشروع الوطني ، وفكرة

التسوية السياسية القائمة على حل الدولتين، وهي التي دفعت القيادة الفلسطينية للتفكير باتخاذ خطوة ما لتغيير واقع الجمود ومحاولة فعل شيء قد يحرك المياه الراكدة⁽²⁴⁰⁾.

بعد عودة الرئيس محمود عباس من إلقاء خطابه في الأمم المتحدة تم إجراء مقابلة معه من قبل مجلة شؤون فلسطينية أجراه كل من: سميح شبيب، رياض الحسن، سمير عوض، عبد الحفيظ محارب وطرحوا عدة أسئلة على الرئيس محمود عباس وهي كما يلي:

سؤال: أحدث خطابكم في الأمم المتحدة صدى واسعاً ولقي تأييداً شعبياً فلسطينياً وتعاطفاً عربياً ودولياً، فما هي أسباب ذلك في رأيكم؟

لقد سرد الخطاب الرواية الفلسطينية ببعديها الإنساني والسياسي، وقدم مرافعة مقنعة بأحقية وجدارة الشعب الفلسطيني بنيل استقلاله والاعتراف بدولته المستقلة. كما عكس الخطاب نضجا ومصداقية عالية للدبلوماسية الفلسطينية. فقد تمكنا خلال السنوات الماضية، بجلدنا ومثابرتنا، وإدارتنا الرزينة والمسؤولة للصراع، من نيل ثقة وتعاطف المجتمع الدولي. كما تمكنا من نزع الذرائع المختلفة التي تذرعت بها الحكومة الإسرائيلية للتهرب من استحقاق السلام وأصبح الجميع يدرك بأن هذه الحكومة هي التي تعرقل الجهود الدولية الرامية لتحقيق السلام. لقد استطعنا كسب تأييد وتعاطف معظم دول وشعوب العالم بعدالة قضيتنا وقوة منطقتنا وعزيمة شعبنا وتضحياته من أجل التخلص من الاحتلال. إن كلمة الاحتلال كلمة مقبته، ولا يمكن أن تلقى أي قبول من الشعوب المحبة للسلام، وإسرائيل بكل قوتها وقوة حلفائها لم تستطع إضفاء الشرعية على احتلالها. لقد تعاطف العالم مع صمودنا أمام التهديدات والضغوط التي مورست علينا بعدم الذهاب إلى مجلس الأمن طلبا للعضوية الكاملة في الأمم المتحدة. فبذهابنا لمجلس الأمن كنا نتمرد على سياسة القوة، ونعيد الاعتبار لمفاهيم الحق والعدالة والحرية، وهو ما أثار إعجاب العالم بنا.

لقد أردنا بخطابنا في الأمم المتحدة إعادة الاعتبار أيضا للشعب الفلسطيني المكافح من أجل حريته والقضاء على أوهام ومراهنات خاطئة بأن هذا الشعب يمكن أن يتعايش مع الظلم والإجحاف والاحتلال إلى ما لا نهاية. لقد نجحنا من خلال ذهابنا إلى الأمم المتحدة في وضع القضية

²⁴⁰ أشرف، العجومي، أيلول: هل هو محطة أخرى أم بداية جديدة، شؤون فلسطينية، العدد 246، خريف، 2011، مرجع سابق،

الفلسطينية على رأس الأجندة السياسية الدولية، ونحن بذلك نرد لها الاعتبار في مواجهة المحاولات اليائسة لتحتيتها جانبا. إن تأييد الشعب الفلسطيني والتعاطف الدولي الكبيرين لمسعانا يمنحانا الثقة والحافز لمواصلة جهودنا الحثيثة لنيل حريتنا واستقلالنا؟

سؤال: في تقويم غالبية المراقبين، سواء انتموا إلى عالم السياسة، أو عالم الصحافة فإن خطابكم في الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم 2011/9/23 مثل نهاية مرحلة وبداية مرحلة مختلفة، هل تتفقون مع هذا الرأي، وإذا اتفقتم معه، فما هي ملامح المرحلة الجديدة؟

في المرحلة الماضية، وعلى مدى سنوات، سعينا بكل جدية للتوصل إلى حل عبر المفاوضات، ولكن الحكومة الإسرائيلية لم تبد أي قدر من الجدية ولجأت بدلا من ذلك إلى سياسة من التسويق والمماطلة. فرفضت الالتزام بمرجعية للمفاوضات وتحديد سقف زمني لها، والأهم من ذلك رفضت وقف الاستيطان الذي ينهب الأرض. ولقد أصبحنا نشعر أن وجودنا المادي والوطني على أرضنا أصبح مهددا، فاستمرار الاستيطان بهذه الوتيرة لن يبقينا لنا أرضا نقيم عليها دولتنا، ولن يمكننا من قيام كيان وطني مستقل وقابل للحياة يلبي طموحات شعبنا في الحرية والاستقلال والحياة الطبيعية.

إن ذهابنا إلى الأمم المتحدة كان بمثابة رسالة بأنه لم يعد بمقدورنا الاستمرار في هذا الوضع الخطير. ولا يمكن أن نقف مكتوفي الأيدي بينما يقوم الاحتلال بعملية ممنهجة لتهويد القدس، عاصمة دولتنا الفلسطينية، ومواصلة الاستيطان في أنحاء الضفة الغربية كافة. لقد قررنا بذهابنا إلى الأمم المتحدة أن نسلك نهجا آخر، ينقل قضيتنا إلى المجتمع الدولي ليتحمل مسؤوليته في إحقاق حقوقنا المتمثلة في إنهاء الاحتلال وإقامة الدولة المستقلة والاعتراف بها، وقبول عضويتها في الأمم المتحدة. لقد أردنا نزع الشرعية عن الاحتلال ووضع حد لعبئه بوجود ومستقبل شعبنا. كان هدفنا واضحا تماما في كل المراحل لكننا الآن نشرك المجتمع الدولي كله لتحمل مسؤولياته. إن عنوان المرحلة المقبلة هو مواصلة العمل على نزع الشرعية عن الاحتلال ونيل اعتراف المجتمع الدولي بالدولة الفلسطينية على حدود عام 1967 وعضويتها في الأمم المتحدة⁽²⁴¹⁾.

²⁴¹ سميح شبيب، رياض الحسن، وآخرون، مقابلة مع الرئيس الفلسطيني محمود عباس، شؤون فلسطينية، العدد 246، خريف، 2011،

مرجع سابق، ص 9-10.

فإن كان من شأن مفاوضات جادة تقوم على وقف شامل للاستيطان وذات مرجعية وإطار زمني محددين تحقيق هذا الهدف فلا مانع لدينا للعودة إلى المفاوضات. ولكننا بحاجة إلى ضمانات أكيدة بالتزام إسرائيل بهذه المرجعيات. ومع ذلك، نحن لا نرى أي تناقض بين العودة إلى المفاوضات طبقاً لهذه الأسس، وبين الاعتراف بدولة فلسطين وقبولها عضواً كامل العضوية في الأمم المتحدة، لأن ذلك ينسجم تماماً ومبدأ حل الدولتين الذي يقر به الجميع. لا عودة إلى الوراء، في المرحلة المقبلة سننظر في الخيارات المتاحة لنا كافة، وسنفعل كل ما من شأنه التسريع في إنهاء الاحتلال.

سؤال: إن التعديل الجوهري في السياسة الخارجية يتطلب أحياناً إحداث تعديلات ملائمة في الوضع الداخلي. فهل في برنامجكم اتخاذ إجراءات معينة تخص فتح والمنظمات والسلطة؟

المرحلة الجديدة التي دخلناها في نضالنا السياسي من أجل إنهاء الاحتلال وإقامة الدولة المستقلة تتطلب إعادة تهيئة مكونات النظام الفلسطيني على صعيد المنظمة والسلطة والمؤسسات الوطنية المختلفة. كما يجب أن تطل إعادة التهيئة هذه التنظيمات السياسية ومنظمات المجتمع المدني الفلسطيني. عملنا الجديد هذا يجب أن يندرج في إطار رؤية وطنية شاملة تبنى عليها استراتيجيات عمل وخطط وآليات محددة.

وحركة 'فتح' غير مستثناء من هذه العملية، وربما تقع عليها مسؤولية أكبر من تلك التي تقع على بقية الفصائل، بصفتها الحركة الأكبر. كما أن 'فتح' مطالبة بأن تقوم بإعادة تفعيل وتنظيم نفسها بما يتلاءم مع المهمات التي توجبها المرحلة الجديدة التي دخلناها بعد ذهابنا إلى الأمم المتحدة.

ومن الطبيعي أن المرحلة الجديدة تتطلب تفعيل منظمة التحرير الفلسطينية ومؤسساتها لتقوم بدورها على أكمل وجه، ونأمل أن يتمخض الحوار الجاري بين حركتي 'فتح' و'حماس' عن اتفاق سريع من أجل إعادة تهيئة المنظمة بحيث تستوعب القوى الفلسطينية كافة في أطرها القيادية والتمثيلية والمؤسساتية، وتمارس دورها في تنظيم وتعبئة أبناء شعبنا في الداخل والخارج.

سؤال: شكلت السلطة الوطنية الفلسطينية نواة الدولة ولكن الاحتلال الإسرائيلي لا يزال قائماً، ولا تزال السلطة تمارس مهامها. هل لا يزال هذا الوضع قابلاً للاستمرار؟ وما هي البدائل؟

وبعد قيام السلطة الوطنية الفلسطينية، كنواة للدولة الفلسطينية، أخذت ملامح الدولة الفلسطينية الحديثة في التبلور على الأرض من خلال التنظيم السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي

للمجتمع الفلسطيني. فقد تأسست السلطات الثلاث للنظام الفلسطيني، السلطة التشريعية المتمثلة في المجلس التشريعي، والسلطة التنفيذية المتمثلة في الحكومة، والسلطة القضائية، وجرى الفصل بين هذه السلطات وأعمال حكم القانون ومبادئ الرقابة والشفافية والمساءلة، وأصبح لدينا قانون أساسي، كمرجع دستوري لمجموعة كبيرة من التشريعات والقوانين العصرية التي كان من شأنها تنظيم حياتنا. وأجرينا الانتخابات التشريعية والرئاسية النزيهة في شكل دوري، وأصبحت الديمقراطية هي السمة الأبرز للنظام السياسي الفلسطيني.

ومنذ قيام السلطة، وحتى يومنا هذا، تواصلت جهود بناء الدولة بمؤسساتها وبنيتها التحتية واقتصادها الوطني ومجتمعها المدني، فأصبح العالم، بمؤسساته الدولية ذات الاختصاص، كالبنك الدولي وصندوق النقد الدولي، يشهد بأهلية الدولة الفلسطينية وقدرتها على الحياة.

لقد أصبحت الدولة الفلسطينية اليوم حقيقة سياسية واقعة، وسوف تتحول إلى حقيقة قانونية في اللحظة التي ينحسر فيها الاحتلال عن الأرض الفلسطينية.

إن خياراتنا وبدائلنا الأخرى، فسوف ننظر في الخيارات كلها التي من شأنها أن نقشل سياسات الاحتلال من ناحية، وأن توصلنا إلى إقامة دولتنا المستقلة بعاصمتها القدس الشرقية من ناحية أخرى. والشعب الفلسطيني بتجربته الوطنية والنضالية الغنية لا تعوزه السبل لتتويج مرحلة نضاله بالاستقلال والدولة. إن فكرنا ليس جامدا وسنعمل ما يتحتم علينا من أجل تحقيق أهدافنا الوطنية.

لم يكن في حسابنا أن تصبح السلطة، ومنذ اليوم الأول الذي تأسست فيه، أداة لتأييد الاحتلال الإسرائيلي لأرضنا، أو إعفائه من مسؤولياته تجاه الشعب المحتل، أو القيام بوظائف وخدمات نيابة عنه. ففي اللحظة التي تؤول فيها السلطة إلى هذا المأل، لا بد من إعادة النظر في وضعها⁽²⁴²⁾.

حقنا في الدولة مقدس، وسعينا لإنجاز هذا الحق لن يتوقف، ولكننا قد نضطر إلى تغيير الوسائل والأساليب للتسريع في إضفاء الطابع السيادي على هذه الدولة.

²⁴² سميح شبيب، رياض الحسن، وآخرون، مقابلة مع الرئيس الفلسطيني محمود عباس، شؤون فلسطينية، العدد 246، خريف، 2011،

مرجع سابق، ص 11-13.

وقد أكدنا مرارا على المقاومة السلمية كوسيلة فعالة لإنهاء الاحتلال، كما أننا وخصوصا بعد الذهاب إلى الأمم المتحدة، سنركز على تعزيز وتوسيع الدعم الدولي لنا من أجل نزع الشرعية عن الاحتلال، ولكننا، وفي كل الأحوال، لن نرضى بوضع يسمح باستمرار الاستيطان والاحتلال لأرضنا.

سؤال: تمارس إسرائيل والولايات المتحدة الضغوط والتهديدات عليكم، كما أثبتت الرباعية الدولية أنها غير قادرة على التقدم بحلول للقضية الفلسطينية، فكيف ستواجهون هذه الضغوط والتهديدات؟ وما هي البدائل المتاحة لكم؟

إن الانحياز الأميركي الصارخ والأعمى لإسرائيل كان سببا رئيسيا في الحيلولة دون التوصل لحل سياسي حتى الآن، وبالتالي تسبب في تأخير إنهاء الاحتلال وقيام الدولة الفلسطينية المستقلة. إن الولايات المتحدة بتهديدها استخدام 'الفيتو' في مجلس الأمن ضد طلبنا للعضوية الكاملة في الأمم المتحدة، تجعل من نفسها طرفا يحمي التوسع الإسرائيلي وهو ما يتعارض مع كونها راع أساسية ووسيط نزيه لعملية السلام في الشرق الأوسط. وبسبب انحياز الولايات المتحدة لإسرائيل، رحبنا بمشاركة أطراف دولية أخرى كالأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي وروسيا، في إطار الرباعية الدولية في رعاية العملية السلمية. وكان يحدونا الأمل بأن يستطيع هذا الإطار التخفيف من حدة الانحياز الأميركي لإسرائيل. ولكن الولايات المتحدة الأميركية نجحت للأسف في تعطيل دور الرباعية الدولية في تبني مواقف أكثر توازنا بيننا وبين إسرائيل، وظهر لنا مؤخرا أن هناك تراجعاً أميركياً عن مواقف سابقة وعن مبادرات سبق وأيدتها أو اقترحتها الولايات المتحدة نفسها مثل توصيات ميتشل أو خطة خارطة الطريق أو حتى مطالبة الرئيس أوباما بوقف الاستيطان وإقامة الدولة الفلسطينية على حدود 1967 واعتبار ذلك مصلحة قومية أميركية.

أما فيما يتعلق بالبدائل المتاحة لنا، فقد كان أحد هذه البدائل هو الذهاب مباشرة للأمم المتحدة ولمجلس الأمن بطلب العضوية الكاملة لفلسطين في المنظمة الدولية.

وفي حال الاستمرار بإخفاق الرباعية الدولية، سوف نواصل تحركنا في المحافل الدولية، وعبر الأمم المتحدة في شكل خاص، وسنواصل تعبئة الرأي العام الدولي والمحافل والهيئات الدولية كافة من أجل نزع الشرعية عن الاحتلال ودعم مسعانا المشروع من أجل نيل حريتنا واستقلالنا.

سنوات عملية التقويم والمراجعة الشاملة للعملية السياسية برمتها والبحث في خياراتنا المختلفة التي من شأنها إيصالنا إلى إنهاء الاحتلال وإقامة دولتنا المستقلة بعاصمتها القدس⁽²⁴³⁾.

²⁴³ سميح شبيب، رياض الحسن، وآخرون، مقابلة مع الرئيس الفلسطيني محمود عباس، شؤون فلسطينية، العدد 246، خريف، 2011،

مرجع سابق، ص15.

4. الفصل الرابع

1.4 نتائج الدراسة

في الرابع عشر من أيار/مايو 1948 أعلنت القوات المسلحة اليهودية قيام إسرائيل ما إن مضت إحدى عشر دقيقة على هذا الإعلان حتى بادرت الولايات المتحدة إلى الاعتراف بإسرائيل، وفيما جرى بالقوة خلق دولة يهودية موسعة بمساحة تتجاوز ما قرره قرار التقسيم فإنه لم يعلن عن قيام دولة عربية فلسطينية، وأصبح مئات الآلاف من الفلسطينيين بعدد اللاجئين في أقسام من فلسطين كانت تحت السيطرة العربية، وفي الأقطار المجاورة. وهكذا لم تعد فلسطين موجودة قط، وأصبح الشعب الفلسطيني في هذه الفترة، مشتتاً في الدول العربية ودول العالم، وأصبحت قضيتهم " قضية لاجئين" ذات أبعاد إنسانية فقط.

إن انعكاس ضياع فلسطين على الفكر السياسي الفلسطيني كان انعكاساً جوهرياً إذ تحول احتلال فلسطين إلى نكبة ومرحلة جديدة في حياة الشعب الفلسطيني، وتحول المشروع الوطني الفلسطيني إلى حالة تتشابه فيها عناصر التشريد والضياع، واللجوء لمئات الآلاف من الفلسطينيين وتحولت الأهداف الوطنية في الاستقلال إلى نكبة وطنية دمرت أسس وأركان المجتمع وأدت إلى تشتت الهوية وفرض أنواع جديدة من الإلحاق والوصايا العربية والدولية على الشعب الفلسطيني، والحق المشروع السياسي الفلسطيني موضوعياً بالمشاريع العربية وخصوصاً بعد الثورة الناصرية وقيام وتطور وتنامي دور الأحزاب القومية في المنطقة.

إن حرب عام 1948 التي كان لها تداعيات كبيرة وأثار على الشعب الفلسطيني، كان من أهمها فقدان الشخصية الوطنية الفلسطينية لتمامها، حيث هام أبناء الشعب الفلسطيني وبرزت شريحة اجتماعية جديدة لم تكن موجودة في الشعب الفلسطيني قبل حرب عام 1948، وهي طوابير اللاجئين الذين فقدوا كل ما يملكون وأصبحوا بلا مأوى، ومن جانب آخر فقد كان للنكبة تداعيات كثيرة على العالم العربي حيث حدثت سلسلة من الانقلابات والثورات في دول الجوار، منها ثورة 23 تموز / يوليو عام 1952 في مصر والانقلابات التي حصلت في سوريا، إضافة إلى تكون بعض الأحزاب العربية من قومية وإسلامية ويسارية و تكون بعض التجمعات الفلسطينية المتفرقة في محاولة لإعادة اعتبار الشخصية الوطنية الفلسطينية والبحث عن إطار سياسي فلسطيني لكي تعود القضية إلى يد أبنائها، حيث بدأت تظهر بعض التنظيمات السياسية الفلسطينية في نهاية الخمسينيات وبداية الستينات، وكان ذلك تمهيداً لظهور منظمة التحرير الفلسطينية لتعبر عن الكيان والوجود الفلسطيني.

إن تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية عام 1964 جاء إيذاناً ببداية مرحلة هامة وأساسية في الحياة الفلسطينية، فالمنظمة إضافة إلى كونها المؤسسة الكيانية المعترف بها للفلسطينيين، كانت أيضاً فاتحة لتأسيس كيانات فلسطينية أخرى، وبالرغم من أن تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية جاء في إطار الرسمية العربية إلا أنه كان أيضاً استجابة لحالة قائمة في الواقع الفلسطيني، وإطار يضم الفلسطينيين ويخلق كيان فلسطيني قادر على تمثيل الشعب الفلسطيني.

وبالرغم من أن قيام منظمة التحرير الفلسطينية كان في احد وجوه تعبيراً عن الرغبة الفلسطينية والتطلع الذي أبداه الشعب الفلسطيني لأن يكون له صيغة تمثيلية في المحافل العربية والعالمية، إلا أنها أيضاً جاءت في إطار الرسمية العربية وبترحيب منها، استجابة عملية لحالة قائمة في الواقع الفلسطيني بين أبناء الشعب الفلسطيني في مرحلة الخمسينيات من خلال الانخراط في العمل السياسي العربي بكافة أشكاله وتنظيماته وقد بدأت في نهاية الخمسينيات تتكون تنظيمات فلسطينية غايتها المقاومة بكافة أشكالها لغرض تحرير الأرض المحتلة من قبل إسرائيل عام 1948 وإنهاء الشتات الفلسطيني المنتشر حول العالم.

اتخذت حركة التحرير الوطني الفلسطيني " فتح" موقفاً متحفظاً وحذراً من إقامة الكيان الفلسطيني بالصورة التي طرحها أحمد الشقيري وجامعة الدول العربية مطالبة بأن يكون الكيان مرتكزاً للثورة

المسلحة (الكفاح المسلح) وليس بديلا عنها والتي أعلنت عن انطلاقها في 1-1 1965 وتبني الكفاح المسلح كأسلوب وحيد لتحرير فلسطين.

إن حرب عام 1967 وانعكاساتها على الفكر السياسي الفلسطيني، حيث كان لتلك الحرب أو ما اصطلح عليه بالنكسة آثار كبيرة على المنطقة العربية برمتها، فقد خرجت بعض التنظيمات الفلسطينية من تحت ركام الإحباط العربي المحيط وبدأت عملياتها العسكرية المسلحة ضد إسرائيل ما سبب ازدياد أعداد الملتحقين بتلك الكيانات الفلسطينية المسلحة التي كان شعارها انه بالكفاح المسلح طويل الأمد يمكن تحرير كافة الأراضي المحتلة. أما فيما يتعلق بمنظمة التحرير الفلسطينية فقد حصل اختلاف كبير داخلها بين التيار المؤيد للكفاح المسلح كأسلوب وحيد لتحرير فلسطين، وتيار آخر يؤمن بان العرب هم من سيرجع فلسطين إلى حضن أهلها وكان على رأس هذا التيار رئيس المنظمة في حينه "أحمد الشقيري"، ما أدى إلى استقالته نتيجة لكثرة الانتقادات الموجهة إليه. حيث أصدرت حركة فتح في العاشر من كانون أول عام 1967 بيانا تطرقت فيه إلى تحفظاتها على منظمة التحرير الفلسطينية ورئيسها أحمد الشقيري واتهمته بالفردية والتسلط والارتجالية واتخاذ قرارات لا تتناسب وأمال الشعب الفلسطيني في تحرير وطنه جاء فيه: "إن المنظمة لا تمتلك الشخصية المستقلة لأنها وليدة الواقع العربي وان التسلط الفردي من قبل رئيس المنظمة جعل الصراع داخلها أقوى من تحقيق أي انجاز عملي يخدم النضال الفلسطيني، وان انعدام المخطط السياسي والعسكري والإعلامي لدى أجهزة المنظمة جعلها تفقد قدرتها على العمل الفلسطيني وتفشل في تحقيق الوحدة الوطنية وتتحول إلى جهاز مكتبي ووظائفي مشلول". لقد كان لحرب عام 1967 أثر كبير على رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ورئيسها " أحمد الشقيري " ما أدى إلى استقالته وذلك بسبب:

أولاً: الاتجاه العربي يحمله جزءا من المسؤولية عن الهزيمة التي حلت بالعرب وهذا يعتبر ضوئاً اخضر عربياً للتخلص منه. ثانياً: الاتجاه الفلسطيني الناتج عن فرديته وتسلطه على المنظمة، ورغبة حركة فتح لقيادة منظمة التحرير.

أما الذي ميز فتح من غيرها منذ البداية، فهو أن مذهبها كان على عكس مذهب الوحدة العربية في تلك الأيام، كانت مجموعة فتح تعتقد أن قضية فلسطين لا يمكن كسبها إلا من قبل الفلسطينيين أنفسهم، لا من قبل الدول العربية، وبذلك عكست المجموعة ما كان ينادي به خطاب الوحدة العربية

التقليدي، كانت فتح ولم تزل أكبر منظمات المقاومة الجديدة التي أسسها الفلسطينيون في الشتات، وأكثرها شعبية ونفوذاً، وهي مع غيرها من المنظمات تقوم بتحديد السياسة الفلسطينية وطبيعة الكفاح المسلح من أجل تحرير فلسطين وذلك منذ عام 1968.

كان النصر في معركة الكرامة في 24 آذار/مارس 1968 حدثاً دولياً غطته جميع وسائل الإعلام على امتداد العالم، وكان لذلك النصر أن يزود الفدائيين بقوة دفع مكنتها من النمو والانتساع ومن تسلم قيادة منظمة التحرير الفلسطينية، الذي أخذ حينها ينتشر في كل أنحاء العالم، وبدأ السبب العربي والقوى السياسية العربية، يجدون فيها ما يستحق كل الدعم، وكل التأثير وفيما كانت الحرب العربية - الإسرائيلية عام 1967 نقطة تحول في التاريخ السياسي المعاصر للصراع العربي- الإسرائيلي، فإن معركة الكرامة التي ألهمت الجميع كانت نقطة تحول أخرى مغايرة أتاحت للمنظمات الفدائية الثورية الراديكالية أن تظهر في العلن وتتطرق سياسياً، وتعيد النظر في طبيعة الصراع الفلسطيني الإسرائيلي وفي أساليب معالجته.

في عام 1969 سيطرة حركة فتح وفصائل المقاومة (الفدائيين) على منظمة التحرير الفلسطينية وانتخاب ياسر عرفات رئيساً لها وبذلك اكتسبت وورثت فصائل المقاومة (الشرعية) من خلال منظمة التحرير الفلسطينية المعترف بها من قبل النظام الرسمي العربي ، وتم تعديل الميثاق القومي الفلسطيني (الذي أصبح يعرف بعد ذلك بالميثاق الوطني) ليرفض كافة مشاريع التسوية وخصوصاً تلك التي تستند إلى قرار 242 لعام 1967.

مع انتقال منظمة التحرير الفلسطينية بعد حرب الكرامة إلى الأردن، التي تشكل أطول حدود برية مع إسرائيل، والتي يقيم عدد كبير من الفلسطينيين داخل المخيمات وخارج، حصل الصدام والتناحر مع النظام الأردني وذلك حول موضوع ازدواجية السلطة في المملكة الأردنية أضف إلى ذلك التعارض بين منطلق الدولة ومنطق التحرر الوطني ونجم عن وجود المقاومة في الأردن ازدواجية سلطة الأمر الذي دفع النظام إلى حل هذه الازدواجية عسكرياً، ونجح النظام الأردني في عام 1970 بترتيب حملة دعائية ضد فصائل المقاومة وشن عليها هجوماً عسكرياً في شهر أيلول عام 1970، وبدأت حرب أهلية طاحنة بين الطرفين، وانتهت تلك الحرب الأهلية في تموز عام 1971، وأخرجت فصائل المقاومة من الأردن، وانتهاء الظاهرة العلنية للمقاومة الفلسطينية في الأردن، ومع

خروج المقاومة الفلسطينية من الأردن دخلت هذه المقاومة في مأزق البحث عن قاعدة جديدة وبرزت على السطح الأفكار الأدبية للنضال السياسي.

إن منظمة التحرير الفلسطينية في الفترة التي تلت الحرب العربية - الإسرائيلية عام 1973 (حينها صدر القرار الأممي 338 الذي يؤكد على القرار 242)، تبنت المنظمة برنامج سياسي يعرف بـ سياسة المراحل (البرنامج المرحلي)، حيث أبدت المنظمة استعدادها للقبول بمبدأ التسوية السياسية مع إسرائيل القائمة على الحل المرحلي، متخليّة بذلك عن إستراتيجية التحرير الشامل لفلسطين من خلال الكفاح المسلح، التي أكد عليها الميثاق الوطني الفلسطيني عام 1968، وقرارات المجلس الوطني في دوراته السابقة لحرب 1973. وفي الدورة الثانية عشر للمجلس الوطني في القاهرة في حزيران/ يونيو 1974، تقدمت القيادة الفلسطينية للمنظمة ببرنامج سياسي جديد أصبح يعرف بـ "برنامج النقاط العشرة"، دعا، على إقامة سلطة الشعب الوطنية المستقلة المقاتلة على كل جزء من الأراضي الفلسطينية التي يتم تحريرها، باعتبارها مجرد خطوة نحو تحرير فلسطين تجري في إطار سلسلة من الخطوات التحريرية الأخرى. وإن إقامة السلطة الوطنية الفلسطينية ليست سوى حلقة لمتابعة تحقيق إستراتيجية منظمة التحرير الفلسطينية في إقامة الدولة الفلسطينية الديمقراطية المتفق عليها في قرارات المجالس الوطنية السابقة، وفي إشارة إلى قبول منظمة التحرير مبدأ الحل السياسي، وتم تشكيل ما عرف بـ "جبهة (جبهة الرفض). ضد البرنامج السياسي المرحلي "برنامج النقاط العشر" من قبل بعض فصائل منظمة التحرير. ومع التحول في موقف منظمة التحرير الفلسطينية، كانت قد قامت في أواسط السبعينات من القرن الماضي بإنجازات سياسية مهمة ومتعددة، ففي مؤتمر القمة العربية المنعقد في الجزائر في عام 1973 اعترفت الدول العربية بالمنظمة بصفتها "الممثل الوحيد للفلسطينيين"، أما في اجتماع القمة العربية لعام 1974 المنعقد في الرباط فقد تم الاعتراف مرة أخرى بمنظمة التحرير الفلسطينية، وجاء الاعتراف بالمنظمة هذه المرة بصفتها " الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني"، وفي عام 1974 اعترفت الجمعية العامة للأمم المتحدة بمنظمة التحرير بصفتها "الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني"، ومنحت المنظمة مركز المراقب الدائم في الأمم المتحدة، الأمر الذي ساهم في تعزيز المكانة السياسية للمنظمة داخل فلسطين وخارجها على حد سواء وأصبحت مؤسساتها القيادية المشكلة من ممثلي الفصائل المنخرطة فيها، مصدر القرار السياسي والتنظيمي والمالي والإعلامي للحركة الوطنية ومكوناتها،

لقد رفضت منظمة التحرير الفلسطينية الاعتراف بالقرارين 242 و 338 رغم تقديم العرب اغراءات كبيرة إلى المنظمة من خلال الاعتراف بها ممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني، وظلت الأمور على حالها.

مع انتقال المنظمة ومقارها إلى لبنان، توفرت في لبنان ثلاثة شروط لتسهيل وجود المقاومة الفلسطينية على أرضه: الأول وجود قاعدة اجتماعية ممثلة في المخيمات الفلسطينية، والثاني وجود حركة وطنية لبنانية مناصرة للمقاومة وقضية الشعب الفلسطيني، والثالث وجود حدود مع الأراضي المحتلة توفر أسباب بناء حركة مقاومة فدائية تتولى، فضلاً عن حماية المخيمات من الاعتداءات الخارجية، القيام، ضمن إمكاناتها، بعمليات مسلحة ضد المواقع الإسرائيلية، لكن وجود مقار المنظمة العسكرية والمدنية على الأرض اللبنانية وتشكيلاتها استنفز أطرافاً مشاركة في الدولة اللبنانية خشيت تداعيات هذا الوجود على موقعها في هذه الدولة القائمة على محاصصة طائفية، انطلاقاً من أن الوجود الفلسطيني المسلح يخل بالتوازنات الطائفية السياسية، يعطي إسرائيل ذريعة الاعتداء على الأرض اللبنانية. ومن هنا جرت محاولة مبكرة من قبل الجيش اللبناني للسيطرة على المقاومة الفلسطينية في أيار 1973، ولما فشل في ذلك عملت أطراف لبنانية مستنفة من الوجود الفلسطيني المسلح في لبنان على تدريب ميليشيات حزبية وتسليحها لتتولى المهمة التي عجز عنها الجيش اللبناني مستعينة في ذلك بإسرائيل، الأمر الذي أدى إلى إشعال حرب أهلية انخرطت فيها منظمة التحرير كطرف رئيسي، وتداخلت فيها حسابات ومصالح إقليمية ودولية، كان من نتائج انخراط المقاومة في الحرب الأهلية اللبنانية، وتوفير المساعدات المالية من الدول العربية والعسكرية من الدول الاشتراكية، التسريع في عسكرة المنظمة وبقربتها عبر إتقالتها بالمتفرغين والأجهزة الإدارية والعسكرية والمالية والعسكرية وغيرها، والمساهمة في توطيد بنيتها على أسس من المركزية الشديدة، وتوفير اعتمادها على المساعدات الخارجية، الأمر الذي اكسب المنظمة سمة ريعية، لكن سمات المنظمة هذه انعكست على أسلوب التعامل مع الحركة الوطنية في الداخل، بحيث جرى التعامل معها كحركة طرفية تابعة للمركز المقيم في الخارج، كما أن نظام (الكوتا) المعتمد في تشكيل مؤسسات المنظمة القيادية واتحاداتها القطاعية والمهنية ساهم في إعاقة قدرة المنظمة وفصائلها على التفاعل السريع مع المتغيرات الإقليمية والدولية، وان حافظ على سمتها الجامعة.

في العام 1977 برز خط يرى انه يجب البحث عن عناصر إسرائيلية (البحث عن منافذ) تؤمن بحق الفلسطينيين في الحياة والاستقلال السياسي والتفاوض معها وكان على رأس هذا التيار محمود عباس "أبو مازن" أحد أهم المؤسسين لحركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) معتبراً ذلك شكلاً آخر من أشكال النضال. لقد كان لمحمود عباس "أبو مازن" رؤية سياسية بدأت منذ فترة السبعينيات من القرن الماضي تتمثل بضرورة الاتصال بعناصر يهودية أو إسرائيلية مؤيدة للسلام ولا تعارض منح الفلسطينيين حقوقهم السياسية والمدنية وخصوصاً حق تقرير المصير. وفي ظل هذه التجاذبات السياسية والصراع المستمر رأى محمود عباس "أبو مازن" الذي كان في تلك اللحظة من قادة حركة فتح وأعضائها القدامى ضرورة أن تقوم المنظمة باستكشاف إمكانية التواصل مع عناصر إسرائيلية ما دامت المنطقة برمتها تعج بالحديث عن اتصال دول عربية كثيرة مع إسرائيل ووجود قنوات تفاوض عربية عدة مع إسرائيل، إذن: (لماذا لا تعتبر المنظمة نفسها طرفاً مفاوضاً). ونتيجة التحسب بان الخروج أو الطرد من لبنان وارد جداً، والتساؤل الكبير والمحير الذي كان يطرحه (أبو مازن) على نفسه وعلى زملائه: "إذا وقعت الواقعة، فإلى أين سنذهب" !!! جعل من فكرة محمود عباس (أبو مازن) بضرورة الاتصال مع قوى إسرائيلية مقبولة وزادت التيار الداعي إلى ذلك قوة.

إن مبدأ (اعرف عدوك) الذي صار عليه محمود عباس، من خلال التسلح بالمعرفة والفهم والقراءة اللازم لدراسة طبيعة المجتمع الإسرائيلي منذ الإرهابات الأولى لنشوء الحركة الصهيونية وبداية الهجرة الصهيونية إلى فلسطين مرورا بإنشاء إسرائيل وما بعدها، ذلك المجتمع المليء بالثغرات والتناقضات والتميز العنصري بين أفراد ومؤسساته ويمتلك نقاط قوة ونقاط ضعف، وأحزابه السياسية وتشكيلاته الطبقية، وموقفها من الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي، بالإضافة إلى الأمراض المتفشية في تركيبته، أتاحت تلك التناقضات الدافع لمحمود عباس أن يحمل سلاح المعرفة لدراسة ذلك المجتمع لبناء نقاط القوة وتقديراً للموقف لدى منظمة التحرير في مواجهة إسرائيل ولكن من نوع آخر هو الدبلوماسية السياسية (النضال السياسي)، غير السلاح التقليدي الذي تستخدمه إسرائيل ضد الفلسطينيين. إن المنهج الذي تبناه محمود عباس ومن معه مثل : عصام السرطاوي وسعيد حمامي مندوب فلسطين في إنجلترا وعز الدين الفلق مندوب فلسطين في فرنسا ونعيم خضر مندوب فلسطين في بلجيكا، (الذين دفعوا حياتهم ثمناً للسلام)، الذي يدعو إلى العمل على الاتصال بالقوى الإسرائيلية لإجراء حوار معها للوصول إلى السلام. وكانت ردت الفعل بتوجيه هجوم عنيف لهذا

الخط والمنهج من مختلف الأوساط الفلسطينية والعربية الرسمية والشعبية آنذاك. وفي دورة المجلس الوطني الثالثة عشر في آذار عام 1977 اتخذ المجلس الوطني قراراً إيجابياً يشير إلى أهمية العلاقة والتنسيق مع القوى اليهودية الديمقراطية، والتقدمية المناضلة داخل الوطن المحتل وخارجه ضد الصهيونية كعقيدة وممارسة وتؤكد نفس القرار في الدورة الخامسة عشرة عام 1981 والسادسة عشرة عام 1982 والدورة التاسعة عشرة عام 1988 ومؤتمر حركة فتح الخامس عام 1989. وهكذا أصبحت الاتصالات ذات طابع شرعي محمي بالقرارات الصادرة عن المجلس الوطني الفلسطيني، بالمقابل أصدرت إسرائيل قراراً يحظر مثل تلك الاتصالات من قبل المجتمع الإسرائيلي مع منظمة التحرير الفلسطينية، خلال فترة الثمانينات، وخصوصاً في النصف الثاني منها، تعددت اللقاءات بين شخصيات إسرائيلية من اليسار والوسط وبين شخصيات فلسطينية من منظمة التحرير وقريبة من المنظمة أيضاً من داخل فلسطين وخارجها، في إطار ما يوصف عادة بدبلوماسية المسار الثاني، وكان هدف هذه اللقاءات من وجهة النظر الفلسطينية توضيح البرنامج الوطني بقيادة المنظمة وتقوية شرعية المنظمة، واثبات إمكانية التعايش السلمي بين الإسرائيليين والفلسطينيين، وذلك تمهيداً لحراك تفاوضي رسمي قد يبدأ عندما تنتضح الأوضاع، والجدير بالذكر أن كثيرين من أعضاء الوفد الفلسطيني المفاوض في مدريد وواشنطن خلال السنوات 1991-1993 كانوا قد شاركوا في هذه اللقاءات، الأمر الذي يؤشر إلى أن دبلوماسية المسار الثاني أدت دوراً إيجابياً في التمهيد للمفاوضات الرسمية بين منظمة التحرير وإسرائيل في إعلان المبادئ وبعدها.

أعقب زيارة أنور السادات قبول مصر باتفاقيات كامب ديفيد في عام 1978 وتوقيعها على اتفاق سلام منفرد مع إسرائيل في عام 1979، تلك التطورات التي تمت برعاية الولايات المتحدة وإنقاذ ماء الوجه، أوردت تلك الاتفاقيات نصوصاً لإقامة نظام لحكم ذاتي في الضفة وقطاع غزة لمدة خمس سنوات، وفي الاجتماع الرابع عشر للمجلس الوطني الفلسطيني المعقد عام 1979 رفضت منظمة التحرير هذا الحكم الذاتي ورفضت معه معاهدة السلام الإسرائيلية - المصرية ذاتها، وفعل الوطن العربي الأمر نفسه قامت الجامعة العربية بطرد مصر منها، ونقلت مقرها من القاهرة إلى تونس، وباتت الحكومة المصرية كالمنبوذ في كافة الميادين، السياسية وغيرها، أن معاهدة السلام المنفردة بين إسرائيل ومصر جعلت المشرق العربي يفقد اقوي جيش رادع يقف بوجه إسرائيل، وأصيب ميزان القوى الإقليمي بالخلل بغتةً فمالت كفته كثيراً لصالح إسرائيل وضد الدول العربية

ومنظمة التحرير، مما دعا إسرائيل، في ظل حكومة الائتلاف اليميني بقيادة الليكود، إلى القيام بمغامرات عسكرية من أهمها غزو لبنان عام 1982، ونتج عنها خروج منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان.

بعد خروج منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان وانتقالها إلى تونس نتيجة اجتياح إسرائيل للبنان وحصار بيروت في صيف 1982 ضعفت قدرتها التعبوية، فخروجها من لبنان ابعدها مؤسساتها ومنظماتها عن قواعدها الشعبية التي مثلتها في الخارج، المخيمات، ذلك بان لا وجود لمخيمات أو جوالي فلسطينية في تونس، كما أن التنظيمات الفلسطينية التي اعتمدت دمشق مقراً لها ظلت محكومة بتوجيهات الأجهزة السورية المعنية والتي لا تسمح بعمليات عسكرية انطلاقاً من الأراضي السورية، ولا تتيح أي نشاط سياسي من دون إذن مسبق. وباننتقال مؤسسات المنظمة ومركز اتحاداتها إلى تونس، وتشتت مقاتليها في عدة دول عربية، فقدت مؤسسات المنظمة واتحاداتها القطاعية والمهنية التجاور والتفاعل القيادي، إذ أن قيادات التنظيمات توزعت بين تونس ودمشق، ومحاولات قيادة فتح إيجاد موطئ قدم لها في الأردن قد فشلت، إن الفترة التي تلت خروج منظمة التحرير من بيروت شهدت تحولاً في بنية الحركة الوطنية وأساليب عملها، إذ توقفت عملياً (العمليات المسلحة) ضد إسرائيل من الخارج، وفقدت القيادة الفلسطينية تماسها المباشر مع تجمعات الشعب الفلسطيني الرئيسية.

حدث تغير في مواقف منظمة التحرير الفلسطينية في دورة المجلس الوطني الفلسطيني المنعقدة في الجزائر عام 1983، حيث تم التأكيد في تلك الجلسة على قيادة ياسر عرفات للمنظمة، إضافة إلى بدء ظهور بعض التيارات والتوجهات في المنظمة تهيئ الساحة الفلسطينية للتسوية السياسية للقضية الفلسطينية والانخراط في التسوية الأمريكية معتبرة أن ذلك أيضاً يدخل ضمن النضال الفلسطيني ولكنه نضال سياسي وليس نضالاً مسلحاً وفي فترة تواجد المنظمة في تونس جرى تهميشها وعزلتها المتعمدة من قبل الدول العربية والمجتمع الدولي لإنهاء وجودها السياسي والعسكري والفكري وإذ بانتفاضة فلسطينية تندلع في الأراضي المحتلة لتعيد المنظمة إلى الواجهة من جديد.

لقد عملت الانتفاضة الفلسطينية الأولى عام 1987، على غير توقع على إعادة الحيوية كثيراً إلى الحركة الوطنية الفلسطينية وجعلت القضية الفلسطينية ومنظمة التحرير تحتلان من جديد مركزهما اللائق على المسرح الدبلوماسي، ليس فقط في المنطقة بل في العالم، كما أنها دفعت إلى الأمام

بدبلوماسية هذه المنظمة، ففي عام 1988، وبعد أقل من عام من ظهور الآثار السياسية للانتفاضة على منظمة التحرير وأخرجتها من حالة الاستعصاء التي كانت فيه، عقد المجلس الوطني الفلسطيني دورته التاسعة عشر في الجزائر في الخامس عشر من تشرين الثاني / نوفمبر 1988، فقد اعترف المجلس الوطني بقرار مجلس الأمن رقم 242 وقراره رقم 338، اللذين وضعوا شروط التسوية السياسية في الشرق الأوسط (صيغة الأرض مقابل السلام)، كما أعلن المجلس في الاجتماع نفسه عن الدولة الفلسطينية (إعلان استقلال فلسطين) على ترابها الوطني في المناطق المحتلة عام 1967 وعاصمتها القدس. وبدأ الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية من قبل دول العالم لاتخاذها مبدأ الحل السلمي والواقعية السياسية في تاريخ الصراع العربي - الإسرائيلي. حصل تطور آخر عام 1988 حيث أعلن جورج شولتز وزير الخارجية الأمريكية عن فتح الحوار المباشر مع منظمة التحرير الفلسطينية حاصرا ذلك الحوار بالسفير الأمريكي في تونس، ما دفع ياسر عرفات إلى التصريح بأن الولايات المتحدة الأمريكية قد غيرت مواقفها تجاه منظمة التحرير الفلسطينية، بينما أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية أن منظمة التحرير الفلسطينية قد وافقت على شروطها الثلاثة وهي:

1 الاعتراف بإسرائيل كدولة لها حق في الحياة.

2 الاعتراف بقراري 242 و 338 كأساس لأي تسوية.

3 نيل العنف والإرهاب .

حيث نتج عن ذلك اتجاهين:

الأول: يرى أن الاعتراف الأمريكي انتصار لمنظمة التحرير الفلسطينية.

أما الثاني: فيرى أن منظمة التحرير الفلسطينية انخرقت انحرافا كبيرا عن مبادئ وأهداف الثورة الفلسطينية وهذا سيؤدي إلى تقديم المزيد من التنازلات عن الحقوق الوطنية وإجهاض الانتفاضة.

إن الانتفاضة شكلت إحدى الحثييات التي ساهمت في حفز الولايات المتحدة بعيد حرب الخليج وانهيار الاتحاد السوفيتي على تنظيم "مؤتمر مدريد للسلام في الشرق الأوسط وعقدته، ولكن الانتفاضة الأولى لم تشكل العامل الأوحد في رسم توجهات قيادة منظمة التحرير، إذ توافق معها أحداث مؤثرة أخرى كان من أبرزها انهيار الاتحاد السوفيتي الحليف الدولي الأهم لمنظمة التحرير،

والهجرة الروسية الواسعة إلى إسرائيل، وحرب الخليج الثانية عام (1990) التي اندلعت في اثر احتلال العراق الكويت، وما تلاها من عقوبات تجاه المنظمة بسبب موقفها من هذا الاحتلال، والتي شملت تهجير وطرد أعداد كبيرة من فلسطيني الكويت، وفرض حصار عربي ودولي سياسي ومالي على منظمة التحرير، هذه التحولات، وخشية قيادة المنظمة ظهور قيادة موازية داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة سنة 1967، كانت حيثيات قبولها بالشروط المجحفة التي وضعتها الولايات المتحدة على حضورها مؤتمر مدريد للسلام في الشرق الأوسط 1991، أعقب ذلك الدخول في مفاوضات ثنائية ومتعددة الأطراف في واشنطن لم تسفر عن أي نتيجة وفي أثناء تلك المفاوضات فتحت قناة أوسلو السرية بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل دون علم الولايات المتحدة الأمريكية مما أسفر عن اتفاق إعلان المبادئ والاعتراف المتبادل بين الطرفين عام 1993م، على أساس قرارات الشرعية الدولية، لتبدأ مرحلة جديدة في تاريخ القضية الفلسطينية ونقطة تحول في تاريخ الشرق الأوسط. وانتقلت منظمة التحرير الفلسطينية من وجهة نظر الغرب من دائرة الإرهاب إلى موقع أبطال السلام والاعتدال.

نص اتفاق أوسلو القائمة على مرحلتين (انتقالية ونهائية)، على قيام منظمة التحرير الفلسطينية بإنشاء سلطة حكم ذاتي في قطاع غزة وأريحا في المرحلة الأولى، أما المرحلة الثانية فتمتد السلطة الفلسطينية إلى بقية المراكز السكانية الفلسطينية في الضفة الغربية بالتزامن مع إجراء انتخابات عامة لتأليف مجلس حكم سيتم التفاوض في شأن طبيعته وصلاحياته فيما بعد، وتقرر أن تدوم هذه الترتيبات الانتقالية خمسة أعوام بعد توصل الطرفين إلى اتفاق تفصيلي بشأن التطبيق، وسيبدأ مفاوضات أخرى بعد مضي العامين الأولين على الحكم الذاتي من أجل تقرير الوضع النهائي للقدس وللمستعمرات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة ومصير اللاجئين الفلسطينيين وأمور أخرى، كجزء من التسوية الدائمة للصراع بشأن فلسطين.

وجاءت الخطوة المهمة في سنة 1994 عندما أبرم الطرفان اتفاقاً بشأن الحكم الذاتي لأول مرة، غير أن هذه الخطوات ستتعرض بفعل تخلف الطرف الإسرائيلي عن تنفيذ التزاماته، حيث استمر في وضع العقبات كأداء أمام المفاوضات في جو من الصمت المطبق والمريب لراعية السلام الإسرائيلي الأمريكي.

ولقد جاء اتفاق أوسلو عقب ظروف دولية وعربية غاية في التعقيد، ولكن هذا الاتفاق جاء ليغير الواقع القائم ويضع الفلسطينيين ضمن إطار جديد وفي واقع جديد من التعامل مع إسرائيل، ولكن شاب هذه الاتفاقية وما تلاها من اتفاقيات وتطبيق عيوب مستعصية جعلت الوضع يصل إلى طريق مسدود.

كانت السلطة الوطنية الفلسطينية في أمسّ الحاجة لتحقيق مكاسب على الأرض خصوصاً فيما يتعلق بالحلول النهائية وتحقيق حلم إقامة الدولة الفلسطينية. فقد عانت السلطة من انتقادات عنيفة داخلية وخارجية، والاتهامات بانتشار الترهل والفساد في أجهزتها. وفي الوقت الذي استمر فيه التسوية والابتزاز "الإسرائيلي" اضطرت السلطة عدة مرات لتأجيل إعلان الدولة الفلسطينية الذي كانت تعدّ به الجماهير منذ أيلول/سبتمبر 1998، ثم هددت بإعلانها في أيار/مايو 1999، ثم أيلول/سبتمبر 1999، ثم أيار/مايو 2000، ثم أيلول/سبتمبر 2000. وكان الإسرائيليون لا يتعاطون بكثير من الجدية مع هذه التهديدات لأنهم يعلمون أن هذا الإعلان السياسي لن يغير من واقع احتلالهم للضفة والقطاع، لكنه يمكن أن يسبب بعض المتاعب السياسية التي يمكن في النهاية التعامل معها. وقد بدا الوضع "مأساوياً" في شهر شباط/فبراير 2000 لدرجة أن عمرو موسى وزير الخارجية المصري وصف المسيرة السلمية بأنها "عبثية" بناء على الحالة المحبطة التي نقلها ياسر عرفات للرئيس المصري مبارك عندما التقى به في القاهرة.

وبعد ذلك تواصلت مفاوضات المرحلة النهائية بشكل أكثر جدية في أماكن مختلفة مثل قاعدة بولينج الأمريكية في نيسان/أبريل 2000، وفي استكهولم في أيار/مايو 2000.

في شهر تموز/يوليو عام 2000 فشلت المفاوضات بين وفد برئاسة ياسر عرفات وعضوية أبي مازن وأحمد قريع، ووفد إسرائيلي برئاسة رئيس الحكومة آنذاك أيهود باراك في كامب ديفيد برعاية الرئيس الأميركي السابق بيل كلينتون، ووزيرة خارجيته مادلين أولبرايت، حيث لم يتلق عرفات أي عرض مقبول للفلسطينيين وللمنظمة، كان الأميركيون والإسرائيليون يطالبون عرفات بالتنازل عن حق اللاجئين في العودة والقدس. وقد اندلعت انتفاضة الأقصى في 28 أيلول عام 2000 عقب محاولة أرييل شارون دخول المسجد الأقصى. ولسبب استمرار إسرائيل في فرض سياسة الأمر الواقع على الأرض، أعقب ذلك احتلال مدن الضفة الغربية من قبل الإسرائيليين وتدمير البنية التحتية لمؤسسات السلطة الفلسطينية والشروع ببناء جدار الفصل العنصري لالتهم

المزيد من الأراضي الفلسطينية وازدياد حجم المستوطنات بالكم والعدد وأصبحت منظمة التحرير الفلسطينية والسلطة الفلسطينية في دائرة الإرهاب إسرائيلياً وأمريكياً وحتى غربياً، لقد لجأت الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل وفرضت حصاراً سياسياً على ياسر عرفات وتم حصاره في مقر المقاطعة وتزايدت الضغوط على ياسر عرفات لتعين رئيس وزراء تمنح له الصلاحيات، وتم اختيار الرجل الثاني في منظمة التحرير ورفيق النضال لياسر عرفات، محمود عباس (أبو مازن)، وبعد تشكيل الحكومة بشهور جوبهت من قبل البعض وذلك حفاظاً على مصالحهم الشخصية ونزواتهم الفئوية، ووضعت إسرائيل العراقيين أمام الحكومة الجديدة، مما اضطر محمود عباس لتقديم استقالته كرئيس للوزراء.

في 11-11-2004 أعلنت وفاة القائد التاريخي ياسر عرفات لتبدأ مرحلة جديدة ونقطة تحول في النظام السياسي الفلسطيني، وفي عام 2005 انتخب محمود عباس رئيساً للسلطة الفلسطينية ورئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير ورئيس حركة فتح خلفاً لعرفات.

لقد أكد الرئيس الفلسطيني محمود عباس "أبو مازن" في برنامجه السياسي الذي طرحه على الشعب الفلسطيني، والذي انتخب بموجبه رئيساً للشعب الفلسطيني وسلطته على رؤيته السلمية للحل السياسي من أجل قيام الدولة الفلسطينية وحل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين حلاً عادلاً مستنداً إلى قرار الأمم المتحدة المرقم 194 لعام 1948 الذي يقضي برجوع الفلسطينيين المهجرين إلى ديارهم وتعويضهم عما لحق بهم من أضرار نتيجة للتهجير إضافة إلى التمسك بالمرجعيات الدولية لعملية السلام ويشمل ذلك القرارات الدولية 242 و 338 الصادرة عن الأمم المتحدة ومبادرة السلام العربية ومبدأ حل الدولتين وخارطة الطريق والقدس ضمن حدود الرابع من حزيران لعام 1967 عاصمة للدولة الفلسطينية المستقلة، إضافة إلى حل القضايا السيادية والأسرى والأمن والمياه والحدود وغيرها.

لقد سعى أبو مازن بعد انتخابه لتحقيق برنامجه السياسي والإصلاحي المتمثل في العودة للمفاوضات وإدخال الفصائل الإسلامية مثل حماس في النظام السياسي الفلسطيني من خلال الانتخابات وإصلاح منظمة التحرير الفلسطينية وإعادة بناء مؤسسات السلطة الفلسطينية على أسس مهنية وقانونية مستنداً إلى المحاسبة والشفافية وتطبيق سيادة القانون ومحاربة الفساد. لقد أهملت الحكومة الإسرائيلية بشكل كلي دعوات الرئيس محمود عباس للعودة إلى المفاوضات، وعندما حان موعد

الانتخابات الثانية بعد عشر سنوات على الانتخابات الأولى التي طالت بسبب المماثلة الإسرائيلية وطول المرحلة الانتقالية التي كان عليها أن تنتهي في عام 1999 اكتسحت حماس الأجواء في مطلع 2006 لتحصد 74 مقعداً من أصل 132 مقعداً في المجلس التشريعي الثاني وساد الإجماع بأن نجاح حماس في الانتخابات قد غلب عليه الطابع العقابي لفتح على أدائها الضعيف خلال السنوات العشر من استئثارها بالسلطة.

إن البرنامج الانتخابي لحركة حماس الذي لا يعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ووحيد للفلسطينيين وعدم اعترافها بالاتفاقيات الموقعة بين المنظمة وإسرائيل وارتباطاتها الإقليمية قد تضارب مع البرنامج السياسي للرئيس محمود عباس الذي يؤكد على الإستراتيجية التفاوضية وعلى قرارات الشرعية الدولية والحل السلمي للقضية الفلسطينية والدولة الفلسطينية على حدود الرابع من حزيران بعاصمتها القدس وعودة اللاجئين بالإضافة إلى التنازع على الصلاحيات بين مؤسسة الرئاسة التي يمثلها محمود عباس ورئاسة الوزراء الذي يمثلها إسماعيل هنية وكل منهما ينتمي إلى فصيل سياسي له رؤية وبرنامج سياسي يختلف عن بعضهما، مما أدى إلى إحداث أوساط حزيران لعام 2007 وتشكل حكومتان فلسطينيتان واحدة في الضفة والأخرى في قطاع غزة (الانقسام السياسي والاجتماعي بين شطري الوطن المحتل) الأمر الذي ادخل النظام السياسي الفلسطيني في مأزق سياسي وقانوني.

منذ تولي محمود عباس عام 2005 وحتى أواخر عام 2010 لم تتقدم أي مفاوضات سواء المباشرة أو غير المباشرة لإيجاد تسوية عادلة للقضية الفلسطينية، أضف إلى ذلك موقف الإدارة الأمريكية الذي دعى إسرائيل إلى إيقاف الاستيطان في الضفة الغربية، والإشارات الإيجابية التي كانت تطلق في بداية تولي إدارة أوباما بإمكانية إقامة الدولة الفلسطينية قد تراجعت عن ذلك الموقف سريعاً. في الثالث الأخير من عام 2010 حصل تطور في السياسة المتبعة والمنهج السياسي من قبل القيادة الفلسطينية وتحيدا الرئيس محمود عباس، وفي الخطوة الأولى لتولي زمام المبادرة تمثلت في صمود القيادة الفلسطينية أمام الضغوط الأمريكية لسحب المشروع المقترح من أمام مجلس الأمن لإدانة الاستيطان الإسرائيلي في الضفة الغربية، الأمر الذي اضطر الإدارة الأمريكية لاستخدام حق النقض (الفيتو)، أعلنت بعدها القيادة الفلسطينية أن الخطوة الثانية هي الذهاب للأمم المتحدة لنيل عضويتها والاعتراف بالدولة الفلسطينية على حدود عام 1967.

إن إصرار القيادة الفلسطينية للتغيير في أسلوبها وسياستها وأدواتها تجاه الصراع مع إسرائيل يعود للعديد من المبررات والأسباب: أن اتفاق أوسلو في 13 سبتمبر 1993 وعودة منظمة التحرير إلى أرض الوطن والدخول في بحر من المفاوضات مع إسرائيل استمرت زهاء عشرين عام لم تُفضي إلى انسحاب إسرائيل من الضفة الغربية وقطاع غزة حتى تقوم الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس، رغم الوعود الأمريكية بحل الدولتين ووعود الرباعية الدولية، ورغم تنفيذ الجانب الفلسطيني لكل متطلبات عملية السلام وعدم وفاء إسرائيل بأي منها، الأمر الذي جعل القيادة الفلسطينية برئاسة الرئيس محمود عباس (أبو مازن) أن تقرر الذهاب إلى مجلس الأمن لتقديم طلب للحصول على عضوية كاملة لدولة فلسطين على خط الرابع من حزيران 1967 وعاصمتها القدس الشرقية، ورغم التهديد والوعيد للقيادة الفلسطينية من قبل الولايات المتحدة وإسرائيل لإقناعها بالتخلي عن ذلك التوجه، إلا أن القيادة الفلسطينية قد قررت تنفيذ كل ما يحقق مصالح وطموحات الشعب الفلسطيني، لقد توجه الرئيس محمود عباس إلى الأمم المتحدة وبتاريخ 2011/09/23، ألقى الرئيس محمود عباس خطاباً شاملاً ومتكاملاً يشرح فيه معاناة الشعب الفلسطيني من سياسات الاحتلال الإسرائيلي، والأبعاد التاريخية والسياسية للقضية الفلسطينية، على المنبر الدولي (الأمم المتحدة) وطلب العضوية لدولة فلسطين، الذي لاقى كل ترحيب وقبول من المجتمع الدولي باستثناء الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل.

الخاتمة

إن الأسس الثابتة في سياسة محمود عباس (أبو مازن) الذي تعبر عن منهجه السياسي وأدواته من الصراع العربي - الإسرائيلي اتضحت من خلال خطابه في الأمم المتحدة يوم 23- 9- 2011 وتتضمن:

التأكيد باسم منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني، والتي ستبقى كذلك حتى إنهاء الصراع من جوانبه كافة، وحل جميع قضايا المرحلة النهائية، على ما يلي:

1. إن هدف الشعب الفلسطيني يتمثل في إحقاق حقوقه الوطنية الثابتة في إقامة دولة فلسطين المستقلة وعاصمتها القدس الشرقية فوق جميع أراضي الضفة الغربية وقطاع غزة التي احتلتها إسرائيل في حرب حزيران 1967، وفقاً لقرارات الشرعية الدولية والتوصل إلى حل عادل ومتفق عليه لقضية اللاجئين وفق القرار 194 كما نصت عليه مبادرة السلام العربية التي قدمت رؤية الإجماع العربي لأسس إنهاء الصراع العربي- الإسرائيلي وتحقيق السلام الشامل والعادل الذي نتمسك به ونعمل لتحقيقه. إن انجاز هذا السلام المنشود يتطلب أيضاً الإفراج عن أسرى الحرية والمعتقلين السياسيين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية كافة وبدون إبطاء.

2. تمسك منظمة التحرير الفلسطينية والشعب الفلسطيني بنبذ العنف ورفض وإدانة جميع أشكال الإرهاب، وخاصة إرهاب الدولة، والتمسك بجميع الاتفاقات الموقعة بين منظمة التحرير وإسرائيل.

3. التمسك بخيار التفاوض للتوصل إلى حل دائم للصراع وفق قرارات الشرعية الدولية، واستعداد منظمة التحرير للعودة على الفور إلى طاولة المفاوضات، وفق مرجعية معتمدة تتوافق والشرعية الدولية، ووقف شامل للاستيطان.

4. إن شعبنا سيواصل مقاومته الشعبية السلمية للاحتلال الإسرائيلي وسياسات الاستيطان والابرتهايد وبناء جدار الفصل العنصري، وهو يحظى في مقاومته المتوافقة مع القانون الدولي الإنساني والمواثيق الدولية بدعم نشطاء السلام المتضامنين من إسرائيل ومن مختلف دول العالم مقدماً بذلك نموذجاً مبهرًا وملهماً وشجاعاً لقوة الشعب الأعزل إلا من حلمه وشجاعته وأمله وهنأته في مواجهة الرصاص والمدركات وقنابل الغاز والجرفات.

5. عندما نأتي بمظلمتنا وقضيتنا إلى هذا المنبر الأممي فهو تأكيد على اعتمادنا للخيار السياسي والدبلوماسي، وتأكيد أننا لا نقوم بخطوات من جانب واحد. ونحن لا نستهدف بتحركاتنا عزل إسرائيل أو نزع شرعيتها، بل نريد اكتساب الشرعية لقضية شعب فلسطين، ولا نستهدف سوى نزع الشرعية عن الاستيطان والاحتلال والابرتهايد ومنطق القوة الغاشمة، ونحسب أن جميع دول العالم تقف معنا في هذا الإطار.

6. الرفض المطلق للاعتراف بإسرائيل كـ (دولة يهودية).

إن الإخطار التي سوف تترتب عن الاعتراف بـ (يهودية الدولة) هي التعرض لحق اللاجئين الفلسطينيين بالعودة الذي كفلته الأمم المتحدة وفق القرار 194، بالإضافة لمس مكانة المواطنين العرب في إسرائيل، سواء عن طريق الطرد، أو عبر التبادل السكاني، علما أنهم مواطنون في دولة، تخرجهم هي في إطارها بتعريفها لذاتها كـ (دولة يهودية). فضلا عن شرعنة الواقع التمييزي الذي يتعرضون له منذ قيام هذه الدولة، أضف الى ذلك ان الاعتراف بـ (يهودية الدولة) تعني الاعتراف بالفكرة الصهيونية، والاعتراف بالرواية الصهيونية لموضوعة الصراع العربي الإسرائيلي⁽²⁴⁴⁾.

لقد أكد الرئيس محمود عباس على رفض الاعتراف بفكرة (يهودية الدولة) مرارا وذلك من خلال الخطاب في الأمم المتحدة: " أننا بتنا نواجه بشروطٍ جديدةٍ لم يسبق إن طرحت علينا سابقا، شروطٍ كفيلةٍ بتحويل الصراع المحتدم في منطقتنا الملتهبة إلى صراع ديني والى تهديد مستقبل مليون ونصف المليون فلسطيني من مواطني إسرائيل، وهو أمر نرفضه ويستحيل أن نقبل الانسياق إليه".

7. التأكيد على وحدة الشعب الفلسطيني (الوحدة الوطنية) وإنهاء الانقسام السياسي بين شطري الوطن (الضفة الغربية وقطاع غزة). "إن عماد هذه المصالحة الاحتكام إلى الشعب عبر الالتزام بإجراء انتخابات تشريعية ورئاسية خلال عام، لأن الدولة التي نريدها ستكون دولة القانون

²⁴⁴ عبد الحفيظ محارب، يهودية الدولة، الفكرة، الدولة، وإشهارها، شؤون فلسطينية، العدد 246، خريف، 2011، مرجع سابق، ص70-

والممارسة الديمقراطية وصون الحريات والمساواة بين جميع المواطنين دون أي تمييز، وتداول السلطة عبر صناديق الاقتراع".

8. الاستمرار في بناء وتطوير منظمة التحرير الفلسطينية ومؤسساتها، بالإضافة إلى البرامج التي تعمل عليها السلطة الوطنية الفلسطينية كانت البرامج ترسخ ما نريد أن يكون ملامح دولتنا المستقبلية، فمن حفظ أمن المواطن والنظام العام، إلى تعزيز سلطة القضاء وسيادة القانون، إلى تعزيز دور المرأة بالتشريعات والقوانين والمشاركة، إلى الحرص على صون الحريات العامة وتعزيز دور مؤسسات المجتمع المدني، إلى تكريس قواعد وأنظمة تضمن المساواة والشفافية في عمل وزاراتنا ودوائرننا، وتكريس دعائم الديمقراطية كأساس للحياة السياسية الفلسطينية⁽²⁴⁵⁾.

الأسس المتغيرة في سياسة الرئيس محمود عباس (أبو مازن) من الصراع وأدواته تبين خلال خطابه في الأمم المتحدة تتضمن ما يلي:

" لم يعد بالإمكان معالجة انسداد أفق محادثات السلام بنفس الوسائل التي جربت وثبت فشلها خلال السنوات الماضية. إن الأزمة أشد عمقاً من أن يتم إهمالها، واشد خطورةً وحرماً من أن يتم البحث عن محاولة للالتفاف عليها أو تأجيل انفجارها المحتم. فليس بالإمكان وليس بالعملي أو المقبول أيضاً أن نعود لمزاولة العمل كالمعتاد وكأن كل شيء على ما يرام. ومن غير المجدي الذهاب إلى مفاوضات بلا مرجعية واضحة وتقنر للمصداقية ولبرنامج زمني محدد. ولا معنى للمفاوضات في حين يستمر جيش الاحتلال على الأرض في تعميق احتلاله بدلاً من التراجع عنه وفي إحداث تغيير ديموغرافي لبلادنا يتحول إلى منطلق جديد تتعدل الحدود على أساسه".

هناك حقائق مهمة في التطورات الأخيرة، لا بد من أخذها بالاعتبار، وهي أن الفلسطينيين كسروا بعض المحرمات (التابوهات) في اللعبة السياسية الدولية، التي استمرت عقدين من الزمن، ولم يعد من الممكن العودة إلى الخلف. فالتفاوض لن يكون التفاوض نفسه، والشروط لن تكون الشروط نفسها، والمرجعيات ستكون أكثر وضوحاً ودقة، والزمن لم يعد مفتوحاً إلى ما لا نهاية، والعملية السياسية ستحمل مضموناً أعمق وأقوى، إذا ما تسنى لها أن تبدأ من جديد.

²⁴⁵ خطاب الرئيس محمود عباس في الأمم المتحدة 2011/9/23، جريدة القدس، ص1.

لقد استنتجت الدراسة بخصوص شخص أبو مازن عكس ما يشاع عن المنهج السياسي للرئيس الفلسطيني محمود عباس (أبو مازن)، إن الرجل يتمتع برؤية ثاقبة وعلم واسع من خلال مؤلفاته، بالإضافة إلى المقابلة التي أجراها الباحث وتوصل من خلال كل ذلك إلى أن أنصاف الحقائق والإشاعات التي تحيط بالرجل تتم عن جهلٍ عام ومطبق بخصوص الأفكار والمنهج السياسي لمحمود عباس (أبو مازن).

إن نجاح الفلسطينيين في النهاية في إقامة دولة فلسطينية على حدود الرابع من حزيران لعام 1967 سيتحقق بفضل منظمة التحرير الفلسطينية من ناحية، وبجهود الرئيس الفلسطيني محمود عباس (أبو مازن) بالرغم من جو القيود الخارجية الصارمة والسياسة الإسرائيلية المتعنتة ويتوقف ذلك سعي الفلسطينيين بالدرجة الأولى، على نجاحهم في تطوير سياستهم الداخلية وديناميتهم التنظيمية.

ويبقى البحث عن الدولة الفلسطينية مستمراً.....

قائمة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. أحمد صخر، بسيسو، منظمة التحرير بين مراحل الكفاح ودروب التسوية، مركز صخر حبش للدراسات والتوثيق، رام الله، 2010.
3. أحمد فارس، محمود صلاح الدين، قضية فلسطين، مكتبة جامعة القدس، دن. 2003.
4. اسعد، عبد الرحمن، (تطورات القضية الفلسطينية وتفاعلاتها مع البيئة الرسمية العربية 1967-1973) شؤون فلسطينية، العددان 136-137، بيروت، 1983، ص.ص 41-63.
5. بيان، الحوت، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، 1917-1947، دار الأسوار، عكا، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1984.
6. تيسير، الناشف، (الخبطة السياسية الفلسطينية)، شؤون فلسطينية، ع48، بيروت، 1975.
7. تيسير، جبارة، تاريخ فلسطين، دار الشروق للنشر والتوزيع، 1998، رام الله.
8. خطاب الرئيس محمود عباس في الأمم المتحدة، 2011/9/23، جريدة القدس.
9. جميل، هلال، النظام السياسي الفلسطيني بعد أوسلو، بيروت: المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية "مواطن"، رام الله، 2006.
10. جميل، هلال، النظام السياسي الفلسطيني بعد أوسلو، ط2، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2006، رام الله: المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية - موطن، 1998.
11. جميل، هلال، فلسطين دروس الماضي وتحديات الحاضر واستراتيجيات المستقبل، (فلسطين والفلسطينيون1)، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط1، بيروت، شباط 2012.
12. جورج، جقمان، الفلسطينيون والمعضلات الثلاث، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 76، خريف 2008، ص 26، ص 28.

13. ديفيد، هيرست، البندقية وغصن الزيتون، جذور العنف في الشرق الأوسط، ترجمة عبد الرحمن إياس، شركة رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ط1، حزيران 2003.
14. زكريا، إبراهيم، مشاريع تسوية قضية فلسطين من عام 1930 حتى نهاية عام 1991، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1999.
15. زياد، أبو عمرو، أصول الحركات السياسية في قطاع غزة 1948-1967، دار الأسوار، عكا، 1987.
16. سميح شبيب، رياض الحسن، وآخرون، مقابلة مع الرئيس الفلسطيني محمود عباس، مجلة شؤون فلسطينية، العدد 246، خريف 2011.
17. سميح، فرسون، فلسطين والفلسطينيون، ترجمة عطا عبد الوهاب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2003.
18. سميح، شبيب، (تطور الفكر السياسي الفلسطيني 1974-1988)، شؤون فلسطينية العدد 240-241 آذار - نيسان - بيروت.
19. عبد الحفيظ، محارب، يهودية الدولة - الفكرة - الدولة وإشهارها، مجلة شؤون فلسطينية، العدد 246، خريف 2011.
20. عبد الله، الأحمر، الأحزاب والتنظيمات الفلسطينية، سلسلة دراسات حزبية 1، مطبوعات القيادة القومية، كانون الأول 2009، سوريا.
21. ماهر، الشريف، البحث عن كيان: دراسة في الفكر السياسي الفلسطيني 1908-1993، مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية، نيقوسيا، 1995.
22. محمد، اثنتيه، تحرير، موسوعة المصطلحات الفلسطينية، فلسطين 2009، ط2، المركز الفلسطيني للدراسات الإقليمية.

23. محمد، حسنين هيكل، المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، سلام الأوهام، دار الشروق، القاهرة، ط5، 1996.
24. محمود، عباس، مطلوب كيرن هايسود عربي، ط2، بيلسان، فلسطين - رام الله، 2011.
25. محمود عباس، الصهيونية بداية ونهاية، ط2، بيلسان، فلسطين - رام الله، 2011.
26. محمود عباس، مباحثات السلام الفلسطينية الإسرائيلية، ط2، بيلسان، رام الله - فلسطين، 2011.
27. محمود، عباس (أبو مازن)، الوجه الآخر العلاقات السرية بين النازية والصهيونية، ط2، بيلسان، فلسطين - رام الله، 2011.
28. محمود، عباس، أبو مازن، طريق أوسلو، موقع الاتفاق يروي الأسرار الحقيقية للمفاوضات، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، لبنان، 1994.
29. محمود، عباس، استثمار الفوز، ط2، بيلسان، فلسطين - رام الله، 2011.
30. محمود، عباس، اللاجئين الفلسطينيين - اليهود، ط2، بيلسان، فلسطين، رام الله، 2011.
31. محمود، عباس، المسيرة السياسية في الشرق الأوسط، مركز زايد للتنسيق والمتابعة، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2001.
32. محمود، عباس، تجربة المائة وثلاثين يوماً، أول رئيس وزراء في فلسطين (إنجازات وعراقيل) دن، أيلول 2003.
33. محمود، عباس، صفحات مشرقة من تاريخ الثورة الفلسطينية (شهادات تاريخية)، حركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح"، مكتب الشؤون الفكرية والدراسات، رام الله، 2009.
34. محمود، عباس، قنطرة الشر إسرائيل طريق الامبريالية إلى العام الثالث، دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمان، 198421.

35. محمود، عباس، هذه الاتصالات لماذا، ط 2، بيلسان، فلسطين - رام الله / 2011 .
36. مهدي، عبد الهادي، المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول السياسية 1934 - 1974، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1975.
37. الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، الدراسات الخاصة، المجلد الخامس، ط1، بيروت، 1990، ص117.
38. يزيد، الصايغ، الكفاح المسلح والبحث عن الدولة، الحركة الوطنية الفلسطينية 1949 - 1993، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 2002.

المواقع الإلكترونية

1. www.falasteen.com
2. www.wafa.ps

المقابلات

1. مقابلة الباحث مع الرئيس الفلسطيني محمود عباس (أبو مازن)، فلسطين - رام الله - مكتب الرئيس، 2011/7/7.

الملاحق

ملحق (1)

مقابلة مع سيادة الرئيس الفلسطيني محمود عباس "أبو مازن"

الزمان: يوم الخميس الموافق لـ 2011/7/7.

المكان: فلسطين، رام الله، المقاطعة، مكتب الرئيس.

مدة المقابلة: 32 دقيقة.

- السؤال الأول: سيادة الرئيس محمود عباس بأي معنى تعتبر سيادتكم أنكم تواصلون نهج القيادة الفلسطينية التاريخية وبأي معنى تعتبرون أنفسكم صاحب نهج سياسي مميز وخاص في هذا المسار الوطني للقيادة الوطنية الفلسطينية؟
- القيادة الفلسطينية عندما بدأت عملها لم يكن أمامها سوى أي خيار إلا خيار الكفاح المسلح وأنا كنت واحد من الذين اتخذوا قرار الكفاح المسلح في عام 1964 لأنه كانت كل أبواب العالم مقفلة أمامنا ولا يوجد من يقف إلى جانبنا ولا يوجد من يدعمنا ولا يوجد من ينظر إلى قضيتنا، قضيتنا في ذلك الوقت كانت عبارة عن قضية لاجئين يحتاجون إلى مساعدات إنسانية وبالنسبة إلى باقي القضايا هي قضية حدود بين سوريا وإسرائيل وبين الأردن وإسرائيل بين مصر وإسرائيل. بمعنى انه لا يوجد شيء اسمه الشعب الفلسطيني ولا يوجد شيء اسمه القضية الفلسطينية ومن هنا انطلقنا.
- هناك مرحلة بعد ذلك وهي مرحلة عام 1968 وقت صدور القرار 242 نحن لم نتعامل مع هذا القرار والسبب ليس لأننا كنا مقفلين بذلك الوقت ولكن بسبب أن عقولنا متفتحة ونعلم بالخلاصة سواء انتصرت أم انهزمت يجب أن تجلس على الطاولة ولكن هذا القرار لم يتوجه لنا وإنما تحدث عن الدول العربية وعن العلاقات العربية عن الحدود العربية مع إسرائيل ولكن نحن لم نلتفت إليه.
- ثم جاء في عام 1974 أو في نهاية حرب أكتوبر القرار 338 الذي أكد على القرار 242 وأيضاً لم يحصل شيء.
- لكن بدأنا نجد في منافذ ممكن أن نتحدث فيها. وبعدما دخلنا في حرب لبنان (وما أدراك ما حرب لبنان) ثم الاجتياح ثم خرجنا إلى تونس في تلك الفترة بدأنا نفكر جدياً بأنه يجب البحث عن منافذ، طبعاً البحث عن المنافذ ليس سهلاً أن تكون من البداية تتكلم عن الكفاح المسلح وكافة الفصائل تتكلم عن الكفاح المسلح وأنت تأتي لتقول مفاوضات هذه كانت صعبة على الناس من

- هنا أنا خرجت قليلا عن السياق مع القيادة وبدأت أتحدث وأفكر واكتب بـ الحوار مع الجانب الآخر مع الطرف الآخر وكان هناك مفصل مهم عام 1977 في المجلس الوطني الفلسطيني.
- كانت هناك اتهامات كثيرة لمن يتصل مع الإسرائيلي وغيره وكان في ذلك الوقت الأخ/ عصام سرطاوي وكنت أنا من كلفته فوقفت بالمجلس الوطني ودافعت عن فكرة اللقاء مع الإسرائيلي بصراحة ووضوح وهذا يعتبر تجديف ضد التيار.
- سؤال: هل تعتبر أن هذا تطور في الفكر السياسي الفلسطيني ؟
- نعم هذا هو التطور ومن هنا بدأ التطور ومن هنا بدأ الاختراق ولكن هذا الاختراق لم يلقى إذن صاغية من الجميع وإنما التفت الناس لشيء جديد لنبداً ونفكر فيه وتم اخذ قرار بذلك الوقت باللقاء مع القوى الديمقراطية والتقدمية اليهودية لأول مرة.
- لكن لم يكن القرار بالجدية الكافية ليكون هذا منهجا فرفض.
- عام 1982 ذهبنا إلى تونس بدأت اتصالات بيننا وبين الإسرائيلي وقد أجريت أكثر من لقاء في بوخرست وبودابست وآخر لقاء أجرته في طليطلة أو في توليدو مع مجموعة من اليهود وهذا كان أيضاً مرفوض من العامة من الناس بحجة انه لا يجوز أن نتحدث مع اليهود ولكن ماذا نفعل هل نحاربهم ولكن الحرب لن تؤدي إلى تحقيق الغرض فكان لا بد أن نوصل صوتنا إلى اليهودي الإسرائيلي.
- في عام 1988 كان هناك المفصل الحقيقي الجدي في العمل السياسي ككل وأنا ادعي أنني كنت احد الذي عملوا فيه واحد الذين خرجوا إلى جميع الدول بما فيها الاتحاد السوفيتي في ذلك الوقت لأقنعهم بان نحن نريد أن تعترف رسمياً بقرارات 242، 338 إلى جانب ذلك أعلننا الدولة الفلسطينية في المنفى ولكن الدولة الفلسطينية على أساس القرار 242 وليس على أساس كل فلسطيني لأنه لو تحدثت على أساس كل فلسطين (فلسطين التاريخية) لن يسمعك احد وإنما على حدود الرابع من حزيران لعام 1967 حتى أن القرارات في ذلك نص القرار: "انه لا بد أن تتسحب إسرائيل من كافة الأراضي التي احتلتها عام 1967 وبنينا دولتنا الفلسطينية المستقلة عليها" البعض قرائها والبعض لم يقرأها البعض انتبه للقرار والبعض لم ينتبه للقرار ولكن ذلك كان المفصل الذي جاء لنا مباشرة باعتراف أكثر من 90 دولة اعترفت بنا فوراً وبدأت الدول تعترف بهذا النهج الذي يعتبر قفزة نوعية.

- وبدأ الحوار وفتحنا الحوار مع الولايات المتحدة الأمريكية ولكن حصل هناك عقبة حول فكرة الموقف من العدوان على الكويت من قبل العراق أيضاً أنا بالعدوان على الكويت كنت أنا وشخص واحد وهو الأخ / أبو إياد رحمه الله ضد العدوان على الكويت لماذا؟
- كيف نحن أصحاب ارض محتلة وحركة تحرر وطني ونقبل ان يحتل احد ارض اخرى ولكن الغالبية لم تقنع بفكرة أن نكون ضد العدوان على الكويت ونتيجة لذلك عوقبنا عقاب شديد ولازلنا إلى الآن نعاني منها.
- سؤال: ولكن سيادة الرئيس العدوان على الكويت بالنسبة للفلسطينيين له ايجابيات وسلبيات من الايجابيات خروج أكثر من 300 إلى 380 ألف فلسطيني وعاد ثلث العدد إلى ارض الوطن؟

- بالعكس هذه من السلبيات لأنه كان بالإمكان إعادتهم إلى ارض الوطن وهم حقيقتاً لم يرجعوا ولكن تشردوا، كان هناك نصف مليون فلسطيني وهذه من اكبر السيئات أو المساوئ لوقوفنا أو لاعتقاد آل الكويت أننا وقفنا ضدهم وكانت النتيجة أن الفلسطينيين المتواجدين في الكويت كلهم رحلوا ومن لم يرحل أبلغتهم السلطات الكويتية بالرحيل لنصف مليون فلسطيني وكانوا يصنعون صمود في الأراضي المحتلة لان النصف مليون فلسطيني كانوا يعيشون نصف مليون آخر بالإضافة إلى أنهم يعيلون مليون بالصفة الغربية ولبنان فهذا كله تمت خسارته كذلك المئات أو ألوف حصل في باقي الدول الخليجية وطرد كثيرين من دول الخليج وغيرها وهذه كانت من اكبر النتائج السلبية التي وقعنا فيها فأنا كان موقفي آنذاك بالرفض ويجب أن لا نؤيده، نحن الفلسطينيون أصحاب ارض محتلة وأصحاب قضية كيف نقبل أن احد يحتل ارض الآخر ونقول نحن معه هذا ليس منطوق وهذا ينعكس اليوم واليك مثال:

- الآن نحن نشاهد الثورات في البلاد العربية نحن مع من فإذا قلت بأننا مع هذا سنخسر الطرف الآخر والعكس أيضاً لذلك عممنا رسمياً بعدم التصريح نهائياً حول الثورات العربية وما يحصل في البلاد العربية. وهذا ينسجم مع مبادئ منظمة التحرير الفلسطينية وحركة فتح والسلطة الوطنية الفلسطينية بأننا لا نتدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية وغيرها، فإذا نحن أخطئنا في الكويت لأننا تدخلنا والآن لن نتدخل وأنا من خلال لقائي مع سفراء الدول العربية في كافة أنحاء العالم وسؤالهم دائماً حول ما هو رأيك في الربيع العربي ويكون الجواب بان لا شأن لنا بما يحصل في البلاد العربية من ثورات لأنه ينتهي غبار المعركة الداخلية وماذا يقرر الشعب

نحن معه لذلك قمت بزيارة تونس بعد الثورة وقمت بزيارة مصر 3 مرات بعد حدوث الثورة إما قبلها لم نعلق على شيء.

- إذن هذه هي السياسة المتبعة وأنا كان لي رؤية وهي إلى الآن انه عليك أن تصارح الناس بالموقف الحقيقي الذي ستقوم باتباعه الشيء الآخر أنت كقائد تستشف رغبة الناس ولا تركض ورائها تستشف ماذا يريدون ولكن القائد يقرر ولكن لا تركض ورائهم إذن لماذا انت قائد ؟ إذا كنت قائد ومسؤول وكل ما خرج عليك من 4 - 5 أشخاص هل تركض ورائهم إذن ابقى معهم، اذن كقائد يجب أن تتصرف كذلك.

- ولذلك عندما قررت الترشح للانتخابات كان كل كلامي ضد التيار قلت ممنوع الصواريخ وممنوع الانتفاضة المسلحة وكان مبدأ واضح وصريح، والناس يسألوني كيف سيتم انتخابك والإجابة كانت انه من الأفضل أن أصارح الناس من أن اكذب عليهم ومن ثم أن أردادوا انتخابي على هذا الأساس أهلاً وسهلاً وإذا لا يريدون أنا لا اهتم سأسقط في الانتخابات ولا مانع لدي وكانت نسبة التصويت لي بلغت بعد الانتخابات من 60 إلى 62 %.

- أنا لست شعبي بمعنى أن أي شخص يقول لي شيئاً عن موضوع معين فتكون الإجابة ليس كذا وإنما كذا حتى لو خرج مجموعة من الناس أصارحهم برأيي وهذه قناعاتي ولكن ليس ديكتاتور لأنني افهم حاجة الناس واستشفها وأقول هذا رأيي.

- نموذج آخر عندما تمت الحرب على قطاع غزة في نهاية عام 2008 وبداية عام 2009، الحرب بدأت وكل القيادات الفلسطينية اجتمعت ويريدون اتخاذ قرار بإعلان الحرب، طبعاً لو إني وافقت معهم لكن قد دمرت الضفة الغربية تدميراً كاملاً والجهود التي بذلت والتي تبذل لضاعت بالإضافة إلى الأمن والاستقرار لذهب سدى ونوع الاقتصاد المزدهر إلى حدا ما لضاع والبنية التحتية من شوارع وعمار سيجري عليه مثلما حصل في الانتفاضة الثانية من تدمير لكل ما سبق ذكره، طبعاً الانتفاضة الثانية أنا كنت ضدها منذ أول يوم من اندلاعها.

- اجتمعت القيادة معي وأخبرتهم بأن الفترة الحالية طوارئ بسبب عدم وجود قانون وأبلغتهم بأن لدي 3 محرمات الأولى من يقوم برمي حجر على الجيش الإسرائيلي أقوم بقطع يده، والثانية من يذهب ويركض على الحاجز الإسرائيلي أقوم بقطع قدمه، والثالثة من يقوم بشتم الملك عبد الله (ملك الأردن) أو الرئيس المصري محمد حسني مبارك أقوم بقطع لسانه لأنهم ليسوا هم يعتدون على قطاع غزة وإنما إسرائيل هي من تعندي على القطاع وانتم عليكم شتم إسرائيل والصهيونية

والامبريالية العالمية كما تشاؤون، وقمنا بإنقاذ البلد من هذه الأزمة والموقف، فأذن المبدأ الذي جئت عليه مع إخواننا هو هو حصل مخالفات بسبب عدم التدخل ولكن مع الأسف دفعنا ثمنها غالي ولم نقم بإعادتها مرة أخرى، الشيء الآخر انه في نهاية المطاف يجب أن تجلس على الطاولة مع الإسرائيليين ولذلك أنا مع المفاوضات مع المفاوضات مع المفاوضات.

- السؤال الثاني: سيادة الرئيس لماذا تعيرون هذا الاهتمام الكبير لمخاطبة الرأي العام الإسرائيلي والتأثير في مفاتيح الجاليات اليهودية في الغرب؟

- نحن لأننا نتكلم مع الإسرائيليين ولأننا نقوم بالتفاوض مع اليهودية العالمية نريد أن نقتع اليهودية العالمية وإسرائيل بأن هناك صوت آخر يتكلم معهم وإذا ما تكلمنا يعني ذلك فقط أن من يتكلم هو نتياهو وأذانهم لا تسمع إلا صوت نتياهو لذلك إن أول شيء فعلته في الفترة الماضية، طبعا التقى بشكل متواصل مع الإسرائيليين في رام الله وعن طريق الإعلام أيضاً من صحافة وتلفزيون ولكن لأول مرة فعلت خرق أو اختراق ذهبت إلى نيويورك على الايبك وجلست معهم مع العلم بأنه تم تحذيري من الجميع بأنهم متطرفين وتم الإجابة عليهم بأنني أريد الحديث مع المتطرفين لان غير المتطرفين هم معي مثلاً صديقي يوسي بلين معي ولكن أنا أريد أن أرى المتطرف حتى أن الإدارة الأمريكية نصحتني أن لا اذهب، واجتمعت مع 45 شخصية علما أن أفقرهم يمتلك 5 مليار دولار.

- وتم السؤال كيف سنبدأ الحديث فكانت إجابتي in the record وليس of the record فرحوا بمعنى تكلموا بحرية وهكذا امتصيت 30 % من intention الخاص بهم، بدأوا الأسئلة وأنا أقوم بإجابتهم وبدون مجاملة يعني أن أقوم بمجاملتهم بكلمة أو بسؤال لا وسألو لماذا لا تريد الاعتراف بالدولة اليهودية؟ وكان جوابي إني لا أريد الاعتراف بالدولة اليهودية اذهبوا إلى الأمم المتحدة للاعتراف بكم لا شأن لي بذلك. وسؤالهم حول القدس لمن؟ إجابتهم القدس الشرقية لنا والغربية لكم وموضوع اللاجئين وهو احد البنود الستة الواردة في اتفاق أوصلو أريد وضعها على الطاولة، انتم لماذا ترفضون بحثها لنضعها على الطاولة لنتكلم فيها.

- ومن ثم ذهبت للقاء 75 شخصية يهودية أيضاً في نيويورك من الهاي سوستي وجميعهم حضروا بطائرتهم الخاصة ومن ثم لقاء مع الجالية اليهودية في فرنسا وقبلها في البرازيل وكندا وجنوب أفريقيا وأينما ذهبت التقى بالجاليات اليهودية وفي بعض الأحيان أحضرهم إلى رام الله وأحياناً أتكلم معهم من خلال التلفزيون لتؤثر على الجانب الإسرائيلي يجب أن يسمع رأياً آخر فإذا لم

يسمع رأيا آخر سيبقى متعنت لأن ما يسمعه من ننتياهو هو ما يمشي عليه وهذه هي المعركة السياسية وهذا ما يقلق منه ننتياهو لذلك من خلال اللقاءات مع الجاليات اليهودية نبين بأن ننتياهو غير صادق وكاذب وانتم افحصوا صدقه من عدمه لان هذه هي الحقيقة، وبنفس الكلام والعبارات واللغة أقولها دائما في لقاءاتي مع الجاليات اليهودية.

- أما في هولندا فكأنك تتكلم مع إسرائيل أو أمريكا عندما جلست معهم طبعاً البرلمانيين من شيوخ ونواب تقريبا 40 نائب وأيضا تكلمت مقدمة عشر دقائق ومن ثم فتحت الباب للأسئلة وكان أول سؤال، هل تنكر المحرقة (الهولوكوست) فأجبتهم لا وأنا كتبت عن المحرقة بأني معترف بها قالوا: انت لا تعترف بالعدد قلت لهم : أنا ما ذهبت لأقوم بعدهم أنا ما عديتهم ماذا تريدون؟ قالوا هناك عدد معترف فيه ، قلت من الذي اعترف به، قالوا اليهود، قلت لهم ماذا يقولون ، قالوا ستة مليون، قلت لهم مثل ما تقولون ولكن أنا لا يوجد عندي عدد.

- أنا كمسلم أرى أن هناك آية في القرآن الكريم في منتهى الخطورة تقول: بسم الله الرحمن الرحيم "وبذلك كتبنا على بني إسرائيل إن من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحيأها فكأنما أحيأ الناس جميعا" صدق الله العظيم.

- وأنا تكلمت عن هذا الموضوع الهولوكوست إذن ما تريد انت بالعدد سواء ستة ملايين أو عشرة ملايين فمن قتل برئ فكأنما قتل الناس جميعا، فسكت.

- السؤال الثالث: سيادة الرئيس ما هو سر نجاحكم الكبير في إخراج منظمة التحرير الفلسطينية والسلطة الوطنية الفلسطينية من دائرة الإرهاب التي كادت تؤدي بالشعب الفلسطيني وبنضاله، هل الاعتدال هو هذا المفتاح؟

- ليس الاعتدال وإنما الحقيقة، انت تقدم حقيقة، أنا الآن أعيش واقع، العالم كله يقول ضع الكفاح المسلح جانبا فهل سمعت في الثورات العربية المعاصرة الآن احدهم يقول نريد أن نحارب الجميع يقول سلمية.... سلمية إذن هم يقولوا سلمية وأنا أقول (حربجية) كيف؟

- في قمة سرت الأخيرة احد زعماء الدول العربية هاجمني وقال "نحن مع المقاومة ومع الممانعة"، فأجبتة وقلت له: "أنا من اخترعت الكفاح المسلح وليس انت نحن أول ناس اخترعوا الكفاح المسلح"، أنا الآن أقول المفاوضات هي الطريق الصحيح وأنا شخصيا باسم الشعب الفلسطيني لا أريد أن أقوم أريد أن أفاوض، وحركة حماس في قطاع غزة امنوا الآن بوقف

إطلاق الصواريخ وقالوا عنها بأنها غير وطنية وعملوا هدنة مع إسرائيل علما بأنني منذ البداية قلت بان الصواريخ عبثية فإذن ما هو الفرق.

- من هنا انت تعيش الحقيقة وتعرف ماذا تريد وتعرف مصلحة شعبك لأنه أنا المسؤول عن كل الشعب الفلسطيني بقرار أدمره وبقرار أقوم بإسعاده، وأنا لست مستعد لتدميره.

- السؤال الرابع: سيادة الرئيس لقد اتخذتم قرارات تاريخية وشجاعة منها وقف المفاوضات والتعارض مع الإرادة الأمريكية في كثير من المفاصل واتخذتم قرارات داخلية في منتهى الجرأة لترتيب أوضاع حركة فتح فهل تستمدون هذه المواقف الشجاعة من تأييد الشعب فقط أم أنكم تجدون عوناً من القيادات الوطنية التي تحيط بكم؟

- لو لم أكن اعرف أن الشعب هكذا تتطلب مصلحته وهكذا يفكر لم أسأل، ولكن ليس مظهرة تخرج وتقول نحن نريد كذا وكذا أنا اعرف مصلحة شعبي وبإمكانك أن تسأل كل الشعب في الضفة الغربية تريد حرب أم سلام؟ يقولون لك سلام وبالتالي عندما نريد أن نأخذ قرار نعرف أين هي مصلحة الشعب الفلسطيني ونمشي على أساسها القضية ليست سهلة.

- احد القادة الأمريكيان يقول لي الرئيس الشعبي فاشل فأجبتته صحيح، لان الرئيس الشعبي من يدور على الناس فاشل لأنه يقوم بالضحك على الناس ولو كان القرار لا يرضي البعض، ولكن في النتيجة يكتشف البعض أن هذه هي الحقيقة، وإنشاء الله نكون على حق.

- سؤال: وعن عون القيادات الوطنية؟

- القيادات الوطنية تتفهمه، القيادة في اللجة المركزية في حركة فتح أو غيرها عندما نأخذ قرار، تؤيده بالتأكيد، عندما سألتني عن وقف المفاوضات هناك قضايا كثيرة 7 أو 8 قضايا قلت للأمريكان فيها لا، وآخرهم عندما قلنا بأننا نريد الذهاب إلى مجلس الأمن كادوا يهددوني فقلت لا (أنا لست عنتر) ولكن بالنهاية أنا أريد الخوض بمعركة سياسية والنتيجة كانت أنهم استخدموا حق النقض الفيتو وفي صباح اليوم التالي وكأنه لم يكن هنالك شيء والكثير أحياناً يقولوا لي هذا صحيح أقول لهم لا.

- في قمة دمشق جاء إلي ديك تشني قال لي يا أبو مازن أنا قمت بإعطائك 470 مليون دولار فلا تذهب إلى القمة فقلت له يا سلام إذا أعطيتني 470 مليون دولار تريد مصادرة إرادتي، قال لي لا احد يريد الذهاب من زملائك العرب إلى القمة، فقلت له من مصلحتي الذهاب إلى القمة واصلا القمم العربية كلها اخترعت لأجل فلسطين.

- سيادة الرئيس إذن هو ليس تحدي للإرادة الأمريكية ولكن ما تتطلبه مصلحة الشعب الفلسطيني؟

- نعم أنا أعرف مصلحة الشعب الفلسطيني هنا، هم يقولون لا لا انت لست كذلك وأحياناً اضطر أن أقول لهم لا ليس هكذا وقلت للإدارة الأمريكية 8 مرات في عهدي لا علنا، وتوجهت في نفس الليلة كان اجتماع مع القيادة وقلت لهم الآن أنهيت مكالمة هاتفية مع الرئيس الأمريكي باراك أوباما مدتها 55 دقيقة وكلها كلام وفي الخلاصة قلت له أريد العودة لقيادتي، وسالت القيادة ما هو رأيكم، فقالوا نحن نريد الاستمرار، أنا لا أغامر لان المغامرات محفوفة بالمخاطر.

- سؤال: سيادة الرئيس مجلس النواب الأمريكي سيقوم بالتصويت على قرار بوقف المساعدات عن الشعب الفلسطيني في حال توجهنا إلى الأمم المتحدة؟

- هذا الكلام صحيح، ولكن نحن سنتوجه إلى الأمم المتحدة إن شاء الله لأننا موجودين بالمكان الصحيح لأنه يوجد هناك دائرة صحيحة ودائرة مريضة، الكثير يقول دعنا في الدائرة المريضة، لأنه في الدائرة المريضة لا تتعب نفسك، ولكن حقيقتا في الدائرة الصحيحة انت تتعب.

- السؤال الخامس: هل كان الرئيس الراحل ياسر عرفات رحمه الله وهو رمز للنضال الوطني سيتخذ المواقف التي اتخذتموها لو كان على قيد الحياة أم يا ترى ربما كان له مواقف مختلفة؟

- نحن مدرسة واحدة وهو من القلائل البراغماتيين الذين يفكرون إلى الأمام، يفكرون جيدا، لكن أحياناً يحاط بدائرة الخطر أو التخويف أو دائرة الهيجة هيا يا رجال فتضيع منه البوصلة، في الانتفاضة الثانية، من أول يوم لاندلاعها قلت له يا أخ أبو عمار أوقف هذه الانتفاضة، طبعاً لم يسمع كلامي وسكت وأكثر من مرة نصحت الأخ أبو عمار بإيقافها ولكنه لم يستطع إيقافها بعد ذلك، عندنا الأرضية واحدة، لكن أحياناً سبحان الله جل من لا يخطئ، لكن لا نختلف في الرأي أبداً ومن القلة كما قلت المنسجمين في الرأي والمواقف والرؤية السياسية.

- السؤال السادس: سيادة الرئيس كيف ترون الفرق في طريقة ومنهاج القيادة بينكم وبين الشهيد ياسر عرفات؟

- لا يوجد خلاف سوى أن الظروف التي أعيشها الآن تختلف عن الظروف التي كان يعيشها الأخ أبو عمار الاختلاف في الظروف فقط ، وبالتالي في عام 2000 كان هناك جو عام الانتفاضة فصارت الانتفاضة لكن بعدها كان علينا عمل بناء وبدأنا بالبناء وأتصور انه منذ استلامي عام 2005 حتى عام 2007 لم يكن عندنا خمسة شرطة بمعنى 5 شرطة يلتزموا بالأوامر أو جهاز

المخابرات أو غيره لا يوجد لحتى قمت ببناء الأجهزة الأمنية وبنيت الحرس الرئاسي وبعدها بدأنا ننظف البلد واحدة واحدة، ولكن حصل الانقلاب في قطاع غزة الذي لم يكن بالإمكان الوقوف في وجهه لأنهم يمتلكون سلاح وتنظيم أنا ما عندي هذا الشيء، المهم أن الأمور مرهونة بظروف أكثر لو كان الأخ أبو عمار مكاني لعمل نفس الشيء.

- السؤال السابع: القدس في الفكر السياسي للرئيس أبو مازن، اللاجئيين في الفكر السياسي للرئيس أبو مازن، الدولة الفلسطينية على حدود الرابع من حزيران لعام 1967 في الفكر السياسي للرئيس أبو مازن، كل الثوابت الوطنية الفلسطينية من وجهة نظر الرئيس أبو مازن السياسية وفكره السياسي؟

- أولاً دولة فلسطينية بدون القدس مستحيل، ثانياً اللاجئيين يوجد خمسة مليون لاجئ يجب أن اوجد لهم حلاً عادلاً بمعنى يجب أن أضع موضوعهم على الطاولة وعلى العالم بأجمعه أن يعترف بمشاكلتهم حتى اوجد لهم حلاً، إذا قلت لإسرائيل عليكم إعادة خمسة مليون لاجئ اعتقد انه لا يوجد عملية سلام، لكن لا تقول لي بان لا احد منهم يرجع لان حق العودة للفلسطينيين يجب ان يحفظ والشعب هو الذي يقرر ذلك.

- ثالثاً بالنسبة للدولة الفلسطينية نعم على حدود الرابع من حزيران لعام 1967 مع تعديلات متبادلة بالقيمة والمثل وغير ذلك لست مضطراً على التوقيع أو التكملة.

- السيد الرئيس محمود عباس : شكرا لكم

انتهت المقابلة

فهرس المحتويات

أ	إقرار:
ب	شكر و عرفان
ج	ملخص الدراسة باللغة العربية :
هـ	مخلص الدراسة باللغة الإنجليزية
ح	قائمة الاختصارات
ط	بطاقة تعريف بشخص محمود عباس موضوع الدراسة أدناه:
1	1. الفصل الأول
1	1.1 خلفية الدراسة
1	المقدمة
5	2.1 موضوع الدراسة:
5	3.1 مبررات الدراسة:
6	4.1 أهمية الدراسة:
6	5.1 هدف الدراسة:
7	6.1 مشكلة الدراسة:
7	7.1 أسئلة الدراسة:
8	8.1 فرضيات الدراسة:
8	9.1 منهجية الدراسة:
8	10.1 إجراءات الدراسة:
9	11.1 حدود الدراسة:
9	12.1 المعوقات التي واجهت الدراسة:
10	13.1 الدراسات السابقة:
12	التعليق على الدراسات السابقة:
13	14.1 خطة الدراسة:

14	2. الفصل الثاني:
14	الخلفية التاريخية للصراع العربي الإسرائيلي منذ عام 1948 - 1993
14	1.2 نتائج حرب عام 1948 (النكبة) على الشعب الفلسطيني
14	لمحة تاريخية:
16	1.1.2 النتائج التي تمخضت عن حرب عام 1948:
18	2.2 العمل السياسي الفلسطيني بعد حرب عام 1948 (النكبة)
22	2.2.1 1. الاضمام إلى الحركات والأحزاب الوطنية العربية:
24	2.2.2 2. التصدي للمشاريع المشبوهة والتي تقصد تصفية القضية الفلسطينية
24	3.2 العدوان الثلاثي على مصر عام 1956
26	4.2 تأسيس حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)
32	1.4.2 عقيدة حركة فتح (فلسطين أولاً)
34	5.2 تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية
37	1.5.2 إعلان تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية
41	6.2 حرب حزيران عام 1967
43	7.2 معركة الكرامة 1968
44	8.2 سيطرة الفصائل على منظمة التحرير الفلسطينية
50	9.2 دوائر ومؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية:
51	10.2 فصائل منظمة التحرير الفلسطينية
51	10.2.1 1. حركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح"
53	2.2.10.2 2. الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين:
54	3.2.10.2 3. الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة
55	4.2.10.2 4. الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين:
56	5.2.10.2 5. جبهة التحرير العربية:
56	6.2.10.2 6. جبهة التحرير الفلسطينية:
57	7.2.10.2 7. جبهة النضال الشعبي الفلسطيني:
58	8.2.10.2 8. طلائع حزب التحرير الشعبية (الصاعقة)
59	11.2 حرب أكتوبر عام 1973

64	12.2 الحرب الأهلية في لبنان 1975-1982
70	13.2 الانتفاضة الفلسطينية الأولى عام 1987، وإعلان الاستقلال
75	3. الفصل الثالث
75	المنهج السياسي لمحمود عباس من قضايا الصراع وأدواته:
75	1.3 المبحث الأول
75	1.1.3 الحركة الصهيونية:
79	2.1.3 الصهيونية واليهودية:
82	3.1.3 مؤسسات الحركة الصهيونية:
84	1.3.1.3 الكيرن كايمت:
84	2.3.1.3 الكيرن هايسود:
92	4.1.3 العنصرية الصهيونية:
97	5.1.3 الجانب العسكري في الصراع:
105	2.3 المبحث الثاني: الموقف من الاتصالات غير المباشرة مع إسرائيل وتوجهات
105	(م. ت. ف) من الاتصالات
127	3.3 المبحث الثالث: المفاوضات المباشرة مع إسرائيل وموقف محمود عباس منها
135	1.3.3 اتفاق أوسلو:
139	2.3.3 القدس
140	3.3.3 اللاجنون:
142	4.3.3 الحدود والمستوطنات:
146	5.3.3 قمة كامب ديفيد الثانية:
	4.3 المبحث الرابع: محمود عباس رئيساً: الموقف من السلطة الوطنية ومنظمة التحرير والآراء والرؤية من الصراع والتسوية.
156	
158	1.4.3 البرنامج السياسي لمحمود عباس (ابو مازن):
176	2.4.3 دوافع توجه منظمة التحرير الفلسطينية والسلطة الوطنية للبحث عن حلول
177	3.4.3 ما بعد توجه الرئيس محمود عباس إلى الأمم المتحدة
185	4. الفصل الرابع
185	1.4 نتائج الدراسة

200.....	الخاتمة
204.....	قائمة المصادر والمراجع
209	الملاحق:
218.....	فهرس المحتويات